ANCORA IMPARO



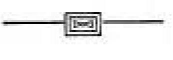
العصور

السنة الثالثة

سبتمبر ١٩٢٩ اعرف نفسك بنفسك: فيثاغورس مجلد ٥ العدد ٢٥

الثقافة اليونانية

وعلاقتها بحضارات الشرق القديمة



— ١ —

١ — مفترق الطرق

قبل أن نمضي في هذا البحث نرى واجباً علينا أن نتناول بالكلام فكرة صدرت عن فئة من مفكري المصريين الذين أجلهم كأصدقاء واحترمهم كرصفاء في مهنة الصحافة . فقد انفقت فكرة فئة غير قليلة من نابهي الباحثين الذين يجب أن نقيم لآرائهم الاجتماعية والسياسية وزناً كبيراً ، أن مصر يجب أن تصدف بمصريتها عن شرقيتها وأن تقيم أرض الفراعنة من فوق ثراها المقدس المحبوب ، حضارة مصرية لحماً وعظماً ودماً كما يقولون . وانى لأومن بنبل هذه الفكرة بل وأذهب إلى أكثر مما يذهبون اليه مغالاة في تقدير الفكرة من حيث أثرها السياسي والاجتماعي في نفسية أمة تريد

أن تكون اليوم لاشرقية ولا غربية ، بل مصرية بكل ما تتسع له معانى المصرية من الصور والظواهر الثقافية . غير أنى على الرغم من هذا قليل الايمان مزعزع العقيدة فى الأثر العملى الذى يمكن أن يجنى من وراء فكرة كهذه هى بمثابة البلقع الخراب فى واد مخضوضر خصيب

ليس من ينكر أننا قطعنا بالحكم الرومانى والحكم الاسلامى كل علاقة لنا بعصر القديمة . لا من حيث الأصل والنشأة والسلالة ، على الرغم من أن هنالك شكا كبيراً فى هذا أيضاً ، بل من حيث الصور الثقافية ومظاهر الحضارة . فان مختلف الحضارات التى توالت على مصر صورها ، قد ركزت فى نفسية الشعب المصرى صورة خاصة من التناوب وعدم الاستقرار وقلة الايمان بما للصور الثقافية من قوة الاستمرار . فان شعباً توالى عليه خلال العصور لا أقل من عشر حضارات متوالية تمحو كل تالية منها آثار سابقتها أو تدمج فيها أو تنحلها بالتقادم ، لا يمكن أن يكون ثابت العقيدة فى حقيقة الصور الثقافية ومقدار مالها من قدرة على البقاء . وهذا ولا شبهة كاف لأن يجعلنا من المرونة بحيث نستطيع أن نتخير من الصور الثقافية ما يلائم حاجاتنا ويتصل بضرورات حياتنا الاجتماعية . ولا جرم أن هذا مثلا ظهرنا على أن من قلة الايمان ما يمكن أن ينتج نتائج إيجابية ، توازى ماينتج عن قوة الايمان وثابت اليقين مع مراعاة الاشياء التى يؤمن بها الانسان ويعتقد بصلاحيتها أو فسادها بقوة استمرارها أو ضعفها عن مقاومة ما يقوم حولها من أعاصير الفكر والطبيعة الانسانية

وفى مستطاعنا أن نضرب لك مثلا آخر . فان المصريين اليوم لأشد الناس اقتناعا بأن الصورة التى صبغت بها انجلترا الثقافة المصرية خلال عشرة العقود الفارطة فى السنين ، لن تدوم ولن يكون لها من الثبات والاستقرار الا بقدر ما كان لما سبقها من الصور الثقافية التى توالت على مصر منذ أبعد الازمان . كذلك تجد ان المصريين أشد الأمم اقتناعا بأن يوم استقلالهم التام لابد آت يوماً من الأيام . فنحن ننظر للمستقبل بقلوب ملؤها الأمل ونفوس مطمئنة إلى النتيجة ، بصرف النظر عما يمكن أن يحتوى هذا الاعتقاد من مناحى النقص أو الفساد . فقد ثبت على الصورة التى صبغتنا بها حضارة الامبراطورية الانجليزية ، وقد يكون يوم الاستقلال التام بعيداً جهد مايذهب بك الخيال . غير أننا نقيس على تجاربنا القديمة . فقد انهارت فى مصر

صروح دول وامبراطوريات وتهدمت أركان مدنيات لاتزال آثارها ماثلة أمام أعيننا ولا تزال ذكرياتها قائمة فى أذهاننا . ولا جرم أن هذه ظاهرة نفسية أو قل عقيدة يجب علينا أن نحسب حسابها وان نقيم لها وزنها الصحيح فى ميزان الاستنتاج النظرى على الأقل .

نعم قطعنا صلتنا بمصر القديمة . مصر الاهرامات والهياكل واللغة الهيروغليفية وأبتت صلتنا بمصر الفارسية والرومانية وعقدنا أواصر العلاقة بمصر العربية الشرقية، مصر المساجد والزوايا والمآذن والثقافة العربية على جملة من القول . فلسنا نعرف اليوم آمون ولا رع ولا هوروس ولا إيزيس . بل نعرف الله الواحد الاحد ونعرف كتابه المنزل على لسان نبيه المرسل . ولسنا نعرف الخط المسمارى ولا اللغة القديمة،بل نعرف الحروف الهجائية العربية واللغة العربية وآداب اللغة العربية . فنحن فى أغوار من المدنية العربية لن يمكن بعدها أن نتخلص منها أو أن ندعى حقاً أو باطلا ،أن فى مستطاعنا أن نغرس بذور ثقافة أو حضارة مصرية بحتة ، تقطع صلتنا بهذه الحضارة ، اللهم بمعجزة كمعجزة العرب فى تعريب الامم التى غزتها فى ثمانين عاما من عمر هذه الدنيا الطويل .

غير أنه لايغيب عنا أن هذه الحضارة العربية الرسيسة ، على قدر ماقرت من قلوبنا وأفكارنا ، لاتزال قليل الايمان بصلاحيتها فى العصر الحاضر للتعبير عن كل حاجاتنا وضروراتنا الاجتماعية مقيسة بمطاليب الحياة الحاضرة .وهذه المرونة التى كسبناها من قلة ايماننا بثبات الحضارات تجربة مع طول الزمان ، هى التى تجعلنا نصرخ اليوم هذه الصرخة العالية مبشرين بثقافة مصرية بحتة لحماً وعظماً ودماً ، من غير أن نجعل لهذه الاعتبارات أى وزن يذكر . أما إذا فهمنا هذه النظرية على هذه الصورة ، فلا شك فى أننا نكون أقرب إلى الصواب منا اذا فهمناها على الصورة المطلقة التى يفهمها بها الكثيرون من مفكرى هذا الجيل

٢ — الحضارة العربية

لست ممن يقولون بأن هنالك حضارة عربية ، بل هى لدى الواقع حضارة اسلامية ،ليس فيها من العربية الا اللغة وحدها . لا تنكر أن للعرب وللروح العربية فيها أثرها الثابت ،

ولا ننكر ان الصبغة العربية مركزة الاثر في كثير من مظاهرها، ولكن من ينكر بجانب هذا أن المدنية الاسلامية العربية ليس فيها من العرب إلا القرآن ، وإلا قانون الاحوال الشخصية، و إلا مراسم العبادات. فان هندسة البناء العربي خليط من هندسة البناء الاغريقية والرومانية والمصرية و الفارسية . وحتى الفلسفة العربية فأنى من المؤمنين بانها كانت في اصلها مذاهب لاهوتية استمدت من فلسفة الاغريق أسسا تقوم عليها ، كما كان شأن النساطرة واليعاقبة في جزيرة العرب ومصر وسوريا وبلاد العراق قبل الاسلام . بل لم يعرف العرب المدن قبل الفتح الاسلامي ولا عرفوا كراسي الحكومة إلا على صورة بدائية. بل ان لباسهم مزيج من اللباس الفارسي والرومي ، بعد أن دوخوا امبراطورية فارس وانتقصوا امبراطورية الرومان من اطرافها .

من هذا المزيج الغريب خرجنا بما يسمى تجاوزا مدنية عربية ، وحقيقة مدنية اسلامية . وعلى قدر ماثبتت هذه المدنية على ضفاف نهري الدجلة والفرات ، وعلى قدر ما امتدت فروعها في فارس وبلاد الافغان ، وعلى قدر ما تمكنت من المسلمين من اهل سوريا وفلسطين وشمال افريقيه ، كانت في مصر لا أكثر من اداة تؤدي بها الحاجات الضرورية . فاخذنا اللغة العربية وقمنا عليها ، ولكنا استعربنا عندما حكمنا العرب ، واستتركنا عندما حكمنا الترك والمماليك ، وتفرنسنا عندما غزانا نابليون ، ونحن اليوم نتكلز بحكم الضرورات وتحت ضغط الظروف القائمة حفافينا . ولا جرم انا نخطىء كل الخطأ اذا لم نحمل هذه النظرية أو بالاحرى هذه الظاهرة وزنا نعترف به في ميزان الاستقراء والاستنتاج . ومن هذه المرونة الغريبة التي اتصف بها الشعب المصري، سنفوز بخلق حضارة جديدة يمكن ان نتجاوز وندعوها مصرية ، ولكنها لن تكون مصرية لحماً وعظماً ودماً كما يذهب اليه فريق من كبار مفكرينا ، بل مصرية بقدر ما ندعو مدنية الاسلام مدنية عربية .

٣ — تلاقح المدنيات

تكتب هذه الصفحات لندلي برأي في مسألة ثار غبارها المرة بعد المرة واتسعت لها صفحات مجلاتنا وصحفنا السيارة. ولا شك في انا انما نذهب هذا المذهب قياساً على ما نرى من تلاقح المدنيات قديماً وحديثاً . واذا اردنا ان نضرب على اختلاف الرأي في هذه

المسألة مثلا، فليس تحت اعيننا من مثل هو ابلغ مما ذهب اليه فريق من اعلام الباحثين فى مدينة الاغريق القديمة .

ولا يغيب عنا فى بحث كهذا أن تلاقح المدنيات قديم يكاد يكون ونشأة الجماعات الانسانية شيئاً واحداً . هذا اذا تجاوزنا فى التعبير وسمينا النظامات الاجتماعية البدائية مدنيات . وانه لدى الواقع مدنيات او حضارات اينعت فى ظلالها الانسانية، وبنت مجدها الخالد .

ولقد يكون من ماحل الرأى ان تقيس مدنيتنا الحاضرة أو المدنيات القريبة منها والتى ترجع نشأتها الى أربعين قرناً قبل التاريخ الميلادى بالمدنية البدائية التى نشأت فى ظلالها الانسانية خلال العصر الظرانى القديم أو الحديث او ما قبل ذلك . غير أن هذا لا يحول دون القول بان الانسان كان له فى كل عصر من عصور اجتماعه مدنياته على قدر ما احتملت عقليته وتطلبت حاجاته . فكانت النظامات . وهو اصطلاح افضله على اصطلاح المدنية فى العصور البدائية - التى هى اقوم من غيرها . تلاقحها النظامات التى هى احط منها واقرب الى الفطرة ، فاما أن تندمج فيها وتبيد . واما أن تخلص النظامات الانسانية من هذا التداخل أو التلاقح او ما شئت فسمه ، بنظامات جديدة تؤدى اليها ضرورات الزمان والمكان . فما لا شك فيه مثلا أن الجماعات التى عرفت كيف تعيش فى الكهوف قد امتازت بهذا الاستكشاف على الجماعات التى ظلت تعيش فى الاشجار . كما أن الجماعات التى عرفت كيف تستعمل القوس والنشاب قد استطاعت بهذه الوسيلة أن تستولى على جماعات الكهوف التى كانت تدفع عن نفسها بالهراوات والاحجار . فى حين أن الجماعات التى عرفت كيف تستخدم النار قد اتخذت من معرفتها هذه قوة مكنتها من الضرب فى بقاع اكثر برودة واقل اعتدالا من البقاع التى حوطت نشأة الجماعات الانسانية فى بداية ظهورها . على أننا لا نكون ابعد عن الصواب منا اذا اعتقدنا بأن الجماعات البشرية التى كانت اكثر ضربا فى مجالى المدنية بمثل هذه المستكشفات ، قد افنت كل ما عداها من الجماعات عند أى احتكاك بينها . بل الطبيعى ان يكون احتكاكها ، وأن انقص فى الجماعات من الانفس والثمرات ، سببا فى أن تتلاقح مدنياتها وتتداخل نظاماتها . فتقوى العناصر الضعيفة بانتحال الاسباب

التي فوت غيرها من الجماعات . وبذلك لاتزول العناصر الضعيفة زوالا تاما ، ولا تسود العناصر القوية تسودا تفرض معه غيرها من السلالات . هذه الحال بعينها يمكن بسهولة ان تطبقها على المدنيات العليا كما طبقناها على النظامات البدائية .

٤ — مدنية مصر واليونان

لا نستطيع أن نمضى فى بحث العلاقة الواقعة بين مدنية اليونان ومدنية مصر على الأخص من غير ان نرجع فى ذلك الى ثقات الباحثين ، ونخص بالذكر منهم العلامه « البرت فور » الفرنسوى الذى ننقل عنه هذا التقرير المطول وقد ترجم الى العربية ترجمة أدت المعنى احسن اداء وحوفظ فيها على الاصل بكل أمانة .

قال البرت فور :

إذا تأصلت فى الدهن بتقادم التقاليد اصول فكرة من الفكرات سواء أ كانت هذه الفكرة عقلية أو فنية أو اخلاقية أو من أى ضرب من ضروب الثقافة والمعرفة ودرجت عليها الأجيال المتطاولة ، فانها لا تمحص ولا تختبر ولا تعرض على محك النقد لتبلوا نصيبها من الصحة أو الخطأ ، وذلك لأنه من وقت تقريرها فى الاذهان الى مابعده ، تكون قد دخلت فى حظيرة المحل المقدسة ، وارتفعت الى مرتبة العقيدة الثابتة التى يعد بحثها تدنيسا لقداستها وتهجماً على حرمتها . لهذا السبب نرى كثيرين من مشاهير العلماء والفلاسفه ونابهى الكتاب والمفكرين ، قد أخذوا بأفكار فى منشأ الحضارة اليونانية ، بطلانها من الوضوح والجلاء بحيث يمكن أن تدركه عقول أقل من عقولهم همة واستعدادا

وبتأثير هذه النظرية كان المعروف منذ مدة طويلة ، أن الحضارة اليونانية ، أم حضارتنا الغربية ، ليست مدينة الا لنفسها ، وطالما كرر الاكثرون بلهجات مختلفة من التأكيد أن فى تلك البقعة الفريدة الممتازة استقى شعب من الانسانية مختار من اعماق نفسه الداخلية ، كل غرائب الفن ومدهشات العلم وروائع الأدب والفلسفة . وموضوع تقريرنا هذا اثبات عكس ذلك واظهار أنه على الأخص فى فرع الفلسفة ، كانت اليونان ، إلى حد معين ، آخذة عن مصر القديمة .

والاثبات الكامل الواقى ممتنع هنا . لأن المشكل لا يمكن أن تحل عقدته اليوم . ولكن لا يخلو من بعض الفائدة تفسيرنا وشرحنا للقاعدة التى سيرتكز عليها ،

وسنقوم بعمل مباشر مثمر ، إذا أعددنا حجراً واحداً للبناء الذى سيتمه غيرنا فى الأيام المقبلة ، عندما يكون علم الآثار المصرية قد قطع فى طريق التقدم الشوط الذى يحق لنا الاستبشار به والاسترسال فيه مع الأمل ، لما تم على أيدى العلماء الذين ترسموا خطوات شمبوليون ومن تقدمه من البحثة المنقبين .

* * *

لقد عملت معاً على خلق الحضارة ثلاثة شعوب ممتازة بمقدرتها الابتكارية الخلاقة . وهم المصريون والكلدان وأسلاف اليونانيين . واليهم ترجع الثقافة اليونانية . ولقد لعبت مصر فى هذا العمل المشترك دوراً خطيراً إذ وقع تأثيرها قبل الجميع على أسلاف اليونانيين — وهم الذين ورثهم اليونان الأيونيون ويونان العصر الأول . وقد دلت الاستكشافات الحفرية الناجحة فى جزيرة كريت وبلوبونيزيا وآسيا الصغرى من حول مدينة طروادة ، على وجود حضارات متقدمة فى الألف الثانية والثالثة قبل الميلاد . وتلك الحضارات — وإن شئت فقل منه الحضارة بصيغة المفرد لأن لها سمات عامة مشتركة — تكشف عن تأثير شرقى بقدر ما . من ذلك مثلا أننا نجد أوجه شبه كثيرة بين أشياء من منشآت الفن « الميسينى » وأنواع من الفن المصرى ، سواء أفى الزخرف الصناعى أم الفنى .

وهنالك دليل قاطع على أنه قد وجدت علاقات بين سكان اليونان وبين المصريين . وهذه العلاقة بينة تماماً ، حتى لو آثرنا القول بأن الفن « الميسينى » هو الذى أثر فى الفن المصرى ، لا العكس . كذلك نجد أن قصر « كنوزوس » الذى استكشفه فى جزيرة « كريت » مستر « إيفنز » الانجليزى ، قد شيد على مثال الفن المصرى ، وطبقاً لقواعد البناء والعمارة المصرية . ولابد من أن يكون تشييد هذا القصر قد وقع بين سنة ٢٥٠٠ و ١٨٠٠ ق م ، كما يحتمل أن يكون بين سنة ٢٢٠٠ و ٢٠٠٠ . وفى هذا دلالة على أن العلاقات بين اليونان ، وعلى الأقل بين أسلافهم ، وبين المصريين كانت موغلة فى القدم .

غير أننا نذهب إلى أكثر من هذا . نذهب إلى حوالى سنة ١٢٠٠ أو ١٣٠٠ ق م . فانه من المؤكد تاريخياً أن بين سنة ١٠٠٠ و ١٤٠٠ ق م وفى خلال حرب طروادة أو قبل نشوبها بقليل ، قد تحالف أهل آسيا على المصريين . وكان هذا

التحالف قائماً بين التكريين و الدانيين و التريفيين ، وقبائل غيرهم . ولقد قال الباحثون بأن الملحمة التى نظمت فى التغنى بانتصار الفرعون « رمسيس الثانى » وكان يسمى « سيزوستريس » وهو من ملوك الأسرة التاسعة عشرة ، على أهل سوريا ، قد أوحت إلى « هوميروس » فكرة نظم الالياذة . ولا مسوغ للشك فى أن هذه الملحمة قد أثارت ضجة أولا — وكما هو طبيعى — فى مصر نفسها ، لأن اصلها حفر كله أو بعضه فى معابد وآثار كثيرة . أضف إلى ذلك أن الاسيويين الذين انتحلوا حضارة النيل فى الحرب أو التجارة أو المعاهدات السياسية ، قد حملوا بلا ريب صداها إلى أسماع اليونانيين الذين كانوا فى بدء الدخول على دورهم التاريخى المجيد . غير أن استنتاجنا أن الملحمة المصرية قد أثرت فى نظم الالياذة ، لا يزيد عن أنه أمر نظرى سطحى . فقد يمكن أن نتساءل أى تأثير يمكن أن تنقله مصر إلى اليونان من هذه الناحية ؟ لا جرم أن الجزم بأن هنالك تأثير ما يكون عرضة للشك والرجم بالغيب . ومن العبث المضنى فى بحث مثل هذا هنا .

ولكننا عندما نتأمل التشابه فى الشكل بين تمثال « أبولون » الذى عثر به فى « تينيا » على مقربة من « كورنثيا » ، وبين التماثيل المصرية للدول القديمة ، نترك الفروض ونتدلف إلى عالم الحقائق . ولما كان الاسلوب التقليدى هو الطراز الذى كان سائداً فى العصور المتأخرة من تاريخ مصر ، ولما كان الفنانون يقلدون الآيات الفنية التى جادت بها قرائح أسلافهم ، سنحت الفرصة لليونان فأخذوا يقلدون النماذج المصرية وينسجون عليها ، فى كل عهد ونقلا عن كل مدرسة ، حتى قبل أن يرخص لهم الفرعون « بزاماتيك » بالدخول فى وادى النيل . ومما هو أكثر استثارة للعجب من هذا ، التشابه بين التماثيل القعداء — الجالسة — التى تحف جانبى الطريق المقدس الموصل إلى معبد « أبولون » فى « ميلتيس » ، وبين التماثيل الجاثمة فى مصر ، والتى يرجع عهد بعضها إلى أبعد العصور ، مثل تماثيل « كيفرن » من الأسرة الرابعة مثلا . وتماثيل « ميلتيس » قد وضعت أيديها على الركب وتلاصقت سيقانها ، شأنها فى ذلك شأن التماثيل المصرية تماماً . ويمكن للانسان ان يلحظ هذه المشابهة بسهولة ، إذا قارنها بتماثيل « ممنون » التى أقامها أمنوفيس الثالث ، من الأسرة الثامنة عشرة ، وهى متقدمة على النماذج اليونانية بقرون عديدة ، وربما قاربت ثمانية عداً . ومثل

هذه النماذج ترينا كيف أن الحضارة اليونانية الأولى ، أو بالأحرى حضارة أسلاف اليونان والحضارة الأيونية المستنيرة قد تأثرت بالحضارة المصرية القديمة .

وبعد أن حل شمبوليون الرموز الهيروغليفية ، وبعد أن جاهد غيره من العلماء صارفين كل جهدهم فى إعادة الحياة لمصر القديمة ، أصبحنا فى موقف يمكننا من تكوين فكرة عن الأصول المنقوشة على الحجر أو المكتوبة على أوراق البردى . وقد تكونت مجموعة وافرة من المخطوطات من كل نوع بفضل جهد علماء العاديات المصرية الذين زادوا إلى ثروة العلم باستكشافاتهم وباصلاحهم أخطاء عدة ذاعت على أنها حقائق ، عن حضارة مصر ، وبعد أن كانت قد حازت الثقة بين العلماء . غير أنا نقول مع الأسف أن هذه المخطوطات على كثرتها ليست فى الحقيقة إلا جزءاً قليلا من الكتب الكثيرة المكدسة فى المكاتب وفى معابد الفراعنة . ولهذا لا تزال عملية سد الثغرات باقية ، كما أن هذا هو السبب فى اختلاف المؤرخين وتفرقهم شيعاً وأحزاباً ، وعلى الأخص لدى النظر فى تفسير ديانة مصر القديمة . ونحن مرغمون على الرجوع إلى المخطوطات التى بأيدينا وتحت تصرفنا ، ومضطرون إلى أن نستنتج منها النتائج التى تعتبر بالنسبة لحالتنا العلمية محتملة ، إن لم يكن بانة ثابتة . ويمكن أن يكون فى استطاعتنا تصوير فكرة حقيقية عن الحياة العقلية والأخلاقية لمصر من السنة الاولى قبل ميلاد المسيح ، وعلى الأخص فى القرنين السادس والسابع ق م — أى من ذلك الوقت الذى تأكدت فيه العلاقات بين مصر واليونان .

حوالى سنة ٦٥٠ ق م ولأسباب سياسية لا تعنينا ، دعا الفرعون «بزاماتيك الأول» مؤسس الاسرة السادسة والعشرين ، اليونان من آسيا الصغرى لنصرته . ومن ذلك الوقت إلى ما بعده ، وفى ظل رعاية هذا الملك وخلفائه ، اعطيت لهم اقطاعيات خاصة عند مصاب النيل . وفى القرن السادس اشتهر الفرعون «أمازيس» بسياسة العطف على الهيلينيين — اسلاف اليونان — وقد خصص لهم اقليما لاستعمارهم ابتنوا فيه مدينة يونانية كاملة سميت «نوكراتيس» وألقوا رحالهم أيضا فى بلاد مصرية اخرى ، فى منفيس وعبيدوس وفى الواحات الكبيرة . وهكذا انتشرت فى مصر طوائف واشتات من اليونانيين مختلفة الأصول والسلالات : منهم اليونان الايونيون والكاريون ، ويونان من آسيا الصغرى ، ويونان من الجزائر ومن سيرين . ومن أسباب هذا النبوغ والتكاثر وفرة الخصب ورطوبة

الثرى ورخاء الحياة وسلاستها . ولم تكن أسباب هذه الرفاهة مقصورة على ليونة العيش وغزارة الموارد المادية ، بل ترجع أيضاً الى خلق الهدوء والسكينة الذى اختص به سكان الوادى . ذلك الخلق الوديع المتشبع بالحضارة السياسية والذى صقله التمدين الراق «قال ملهوده»

« من الحقائق الكبيرة الهامة أن العلم والحضارة اليونانيين لم ينتعشا إلا بعد الهجرة »

وفى ذلك الوقت كانت الحضارة المصرية فتنة الناظرين وعجب السائحين . ورغم الانحطاط والتدهور السياسى الذى استمر عدة قرون والذى بدت اعراضه فى كل ميدان من ميادين العمل ـ ولو أنه قد غولى فيه كثيرا ـ فان تسنم الأسرة السادسة والعشرين لعرش مصر ، كان علامة لعود الحياة الى الفن ، ودليلا على ان العلم والأدب قد نهضا نهضة ردت الى الحياة عهد الفراعنة السابقين الزاهر من رموس الماضى .

وكانت التصورات الاخلاقية الراقية قد ملكت نفسية المجتمع . وكانت مبثة فى مجموعة منظمة من القوانين المدنية والجنائية قدير تنسيقها وحسن نظامها القدماء . والفصل الخامس بعد العشرين من كتاب الموتى ، وهو الذى يشمل تزكية الروح . والمسمى بالاعتراف الاساسى أمام محكمة أوزيريس ـ يكشف لنا عن خلاصة الآداب المصرية ويرينا سمو ادراكهم الاخلاق ورفعته وتهذيبه . ولأسباب معقولة قورن هذا الاعتراف السلبي بالوصايا العشر عند العبرانيين . ونجد من المؤلفين القدماء الذين وصلت الينا كتبهم على مهابط السنين وعلى الأخص « هيرودوتس » و« ديودوروس» من يبرهن على أن هذه الشريعة الاخلاقية كانت منتحلة عن القوانين والشرائع المصرية

ويحاول «ديودوروس» أن يحملنا على الاعتقاد بان «صولون» قد استعار بعض شرائعه من المصريين وهذا محتمل الى حد كبير بالنسبة لتفوق مصر على جيرانها تفوقا عظيما وللتأثير الذى لايدفع والذى لم تكن مصر لتضعف عن تسليطه على قومه فى زهرة شبابهم الاجتماعى ، متلهفين على العلم ، ولهم مواهب سامية . ولم يكونوا بعد قد أطلقوا العنان لقرتهم الابداعية . وكانت عبقريتهم الغريبة الباهرة ستفتح عن أكمامها بعد «صولون» بقرن واحد من الزمان . وقبل ظهور اليونان فى التاريخ الحقيقى ، كان المصريون هم الذين استحدثوا أكمل حضارة وأتقن مدنية وأزهرها . وكان التعليم

منتشراً فى مصر انتشاراً واسعاً . وعلاوة على طبقة الكهنة الذين كان لهم احتكار العلوم والآداب ، كان هنالك عدد عظيم من كتاب الدواوين ورجال الحكومة يمثل العنصر المثقف من السكان . وكان بكل مدينة عظيمة مدرسة واحدة أو عدة مدارس متصلة بالمعابد ويتكون منها كليات دينية حقيقية . وتدلنا التقاليد على أن أعظم علماء اليونان وأجل فلاسفتها كانوا يترددون على هذه المدن العظيمة . وكانت أكثر المدن زواراً وقصاداً مدينة «صان» ـ سايس ـ وفيوسطه ـ تل بسطه وهى أنقاض الآن بجوار الزقازيق ـ وتليس وعين شمس وعيدوس وطيبة . وكانت كلية عين شمس الكهنوتية طائرة الشهرة ، وكان يؤمها اليونانيون ويعتبرون امهم لها جزءاً من برنامج تعليمهم .

وفى عهد سلطة الأسرة السادسة والعشرين ، أى من وقت أن تولى الفرعون «بزاماتيك» الاول الى موت الملك «أحمس» واستيلاء الفرس على مصر ، أى من سنة ٦٥٠ الى ٥٢٥ ق م كان يمكن لليونان أن يؤموا وادى النيل ويعيشوا فيه فى أحوال مواتية لا تقطعهم عن الدرس والمطالعة ولا تحول بينهم وبين اجتناء ثمرات المعرفة . بل أكثر من ذلك تحت سيطرة الفرس لم يكن هنالك ما يعوق المسافرين والمؤرخين والسياسيين من السفر والتنقل خلال الديار المصرية ، يدرسون عاداتها وفنونها ومعتقداتها الدينية . وهيرودوت خير مثال على ذلك .

ولقد اظهرنا امكان وجود العلاقات العقلية بين مصر واليونان . والآن سنختبر طبيعة هذه العلاقات . وليست المسألة اثبات وراثة فلاسفة اليونان المبكرين المباشرة للافكار والتصورات المصرية فان هذا شيء عسير يصعب ان نحلم به فى حالتنا العلمية الراهنة . والامر هنا يدور حول اثبات أن الفكر المصرى يلزم أن يكون قد أثر بعض التأثير فى الفكر اليونانى . ومن ناحية اخرى نرى أنه من الضرورى تجنب الخطأ المضاد لذلك وهو إنكار أية علاقة لمملكة بالممالك التى تجاورها ، حتى بالممالك البعيدة عنها وبخاصة إذا كانت الأخيرة منازل للعلم والأدب والفن .

أخذ اليونان فى أفكارهم عن يوم الحساب بعض الشيء عن المصريين . ومن أجل هذا كانوا كالمصريين يعتقدون بوجود روح مجنحة وبخلودها ، وكانت تمثل الروح على الآثار المصرية وفى المقابر بصورة طائر ذى رأس بشرى . ومن المحتوم أن يكون اليونانيون قد أخذوا صورة الجنة من مملكة الموت التى كان يحكم فيها أوزيريس .

وحقيقي أنه لامجال لنكران المشابهة والتقارب فى الرنة بين كثير من الكلمات المصرية وبين عدد عديد من الكلمات اليونانية التى تدل على معنى واحد.

وفضلا عن ذلك فان الترع والنيل التى تصور المصريون وجودهما فى العالم الآخر على مثال النيل الحقيقي وترعه الأرضية قد اتخذها اليونان نماذج لأنهر العالم السفلى ومجاريه وقنواته . ومن الصعب أن نشك فى الاصل المصرى لكلمة — Rhudamanthu فهى مأخوذة من الجملة المصرية المعروفة — Ra - in - amenti أى آلة الشمس فى آمنتى — A Menit وهى الحياة المقبلة . وكلمة شارون - charon - للملاح فى العالم السفلى ، مأخوذة من الكلمة المصرية - Karon - — ومعناها زورق أو نوتى ولقد أوحت فكرة محاسبة الموتى امام محكمة أوزيريس الى اليونان افكاراً مشابهة لها

والاحرف على ترس « آخيل » - Achiles - البطل الطروادى المعروف مستمد من التماثيل النصفية المصرية - وقد صبغت الأساطير اليونانية الكثيرة من عناصر مجلوبة من مصر ، مثل اسطورة « هيرقل » فان الاصل المصرى ظاهر بها . ومثل اسطورة « اطلس » الحامل الدنيا برمتها على منكبيه ، وهى فكرة تضرب جذورها فى اصول أشهر الاساطير المصرية

وكان اليونان وهم يطوفون بالمدن المصرية يجعلون الآثار والمعابد قيد عيونهم ومرمى أبصارهم . وكانت هذه المشاهد جل ما يحتاجون اليه لتدريب خيالهم اليقظ الوثاب القدير على التصور

واذا انتقلنا من الاساطير والمعتقدات الدينية الى الافكار الاكثر إستغراقاً للفلسفة، نجد أثر التأثير المصرى فى اليونان . ففكرة العدل العالية التى تراها فى « هسيود » هى فكرة مصرية بحتة « وتيمز » اليونانية هى « ما » - Ma - المصرية آلهة الحق والعدل، ويتمثل فى شخصها القانون الاخلاق والسنن المرعية عند المجتمع ويعنو لهيبتها الفرعون نفسه « وهسيود » يجعلنا نفكر فى مصر عند امتداحه لحياة العمل والسير فى منهاج الفضيلة وكذلك عند ما ينصح لنا بالسعى الحر الجرى.

هذه خلاصة وافية من تقرير العلامة « البرت فور » الفرنسوى اتينا عليها تتخذها لهذا البحث اساساً وركيزة ولا شبهة مطلقاً فى أن المدنية اليونانية القديمة هى أرق المدنيات التى قامت على وجه هذا البسيط فى الاعصر القديمة . ويبرى هذا الحكم

على كل الوجوه التي تغلب عليها صفة هذه المدنية . فهي في الفن كما هي في العلم والمعرفة والآداب مثال لما وصلت اليه مدارج التثقيف العقلي في الاعصر القديمة . غير أن هذا لا يقوم حائلا دون القول بان المدنية اليونانية لم تبدأ في الارتقاء الحقيقي الا بعد احتكاكها بالشرق في « إيوليا - Aeolia - و « ايونيا » - Ionia - في آسيا الصغرى حيث كان في تلك البقاع مدنية أرقى من مدنية بلاد اليونان لدى أول تحضرها (١) كذلك لم يبق من شيء في مدنية اليونان لم يتأثر باحتكاكهم بمدنيات آسيا الصغرى ، حتى دينهم . فانه على الرغم من أنه يكاد يكون خاصاً باليونان وحدهم ونشأته ذاتية بينهم ، فانه تأثر بأديان الشرق واقتبس الكثير من قواعدها ومعتقداتها (٢) ومهما قلبنا وجوه الرأي وأمعنا في البحث ، فأننا لا نستطيع أن نعثر على مدنية يونانية صرفة ، أي مدنية ليس فيها أثر من مدنيات أخر

غير أن الاعجاب الشديد باليونانيين القدماء ، قد دفع الكثيرين من الباحثين وأصحاب الرأي الا أن يقاوموا حقيقة تأثر اليونان بمدنيات الشرق القديمة ، حتى انهم لم يكتفوا بانكار ذلك الأثر ، بل تطرفوا الى القول بأن الفكر اليوناني وليد بلاد اليونان ، تأصل فيها ونشأ غير متأثر بشيء مما سبقه من نتاج الفكر الانساني وجهوده وحضاراته وصور ثقافاته العديدة (٣)

كذلك نجد أن التعصب لبعض الصفات التي تتصف بها الامم ، والتشبث بما لبعض الامم من النبوغ وفائق المقدرة ، امران ساقا فئة من كبار الباحثين الى العكوف على فكرات هي الى ناحية الرجم بالغيب أقرب منها الى مناهج العلم اليقيني . على انه من أقرب الاشياء الى الحق انك اذا رأيت أمة في التاريخ اخذت تضرب بسهم في مدارج الارتقاء الفكري والفنون وبقية مطاليب الحياة ومستحدثاتها وضروراتها ، وانها بدأت تخطو في سبيل ذلك خطوات سريعة ثابتة ، حكمت بأن تفوقها على هذا النمط راجع الى ما أحدثه احتكاكها بامم أجنبية عنها من الانعكاس الذي يظهر أثره في صفاتها

---

(١) راجع Meyer الالماني

(٢) راجع - Meyer - الالماني — ودنكر Dunker

(٣) راجع روبرتسون في كتابه تاريخ حرية الفكر . ومن الذين يقولون باستقلال الثقافة اليونانية العلامة Ritter في كتابه تاريخ الفلسفة القديمة ، وريتان في كتابه تاريخ الاديان وزيلر الالماني في كتابه تاريخ الفلسفة اليونانية . فان هؤلاء وغيرهم يقولون باستقلال الثقافة اليونانية عن غيرها ولكن رأيهم ظاهر الخطأ

ومشاعرها . أنظر فى المدنيات الاولى ، مدنية اشور وبابل والكلدان ومصر ، فانك تجد ان ارتقاءها المدنى كان بطيئا واستجماعها لاسباب الرق والحضارة والتثقيف العقلى كان أبطأ وذلك يدل على أن سرعة الارتقاء المدنى يرجع الى ما يؤثر فى الامم ذوات المدنيات المستحدثة الثابتة القوية فى عصر ما ، من المنبهات التى تستمد اسبابها من معارف الأمم الاجنبية عنها وفكراتها وطرق تثقيفها عامة .

أما تفوق اليونانيين فى عصور مدنيتهم القديمة المعروفة فى التاريخ ،فلا يرجع على ماتقدم الى نبوغهم وتفوقهم الذاتى تفوقا خارقا للطبيعة كما يدعى كثير من الباحثين . بل يرجع استثنائها الى ماطرأ على صفاتهم المدنية من نشوء وتطور : كان سببه اختلاطهم بغيرهم من الشعوب المجاورة لهم من جهة ، ومن طريق ماوضعوه من النظم الاجتماعية من جهة اخرى . ناهيك بموقع بلادهم الجغرافى وتقسيم أرضهم فى الداخل تقسيما أوسع بين المدائن المتفرقة سبيل المنافسة ،خلاما تؤدى اليه المنافسة من رقى فى الصفات المدنية التى ترتكز عليها قواعد العمران .

قال روبرتسون :

تدل المباحث التاريخية على أن اليونانيين القدماء فى فجر مدنيتهم ، كانوا خليطا من قبائل شتى . وزاد اختلاطهم على مدى الأيام . كما أن معارفهم وعلومهم ترجع فى مبدإ الأمر الى أهالى ،ترافيا، وهم ليسوا أغريقاً Non-Grecians وكانوا يعبدون آلة الشعر (١)

كذلك ذكر هيرودوت أن أصل اليونان قبيلة حربية ذات نفوذ واحترام عظيمين تبعها كثير من القبائل الأخرى التى كانت آخذة بتعاليمهم ، وصرفت على نفسها اسم تلك القبيلة (اليونان).

وقال ثيوسيديدس :

لا يمكن أن نعثر فى العصر التاريخى على شعب يونانى أصيل لم تجر فى عروقه دماء دخيلة من قبائل أخرى — كذلك لاينكر مؤرخ أن الاسبارطيين يونان . وأما الآثينيون فبيلاسيجيون- Plasgians- ولكنهم مع الزمن اصطبغوا بصبغة اليونان

---

(١) تاريخ حرية الفكر مجلد ١ ص١٣٢ .

وتعلموا لغتهم . ولا جرم أننا اذا قلنا اليونان عينا أهل أثينا قبل أهل بقية المدائن الاخرى . وفى هذه الأسانيد التاريخية دليل على أن الحضارة اليونانية قد تطورت بالقاح السلالى عدة تطورات هامة ضاع تاريخها ، وانها لم تنشأ غير متأثرة بغيرها من الحضارات القريبة منها والبعيدة عنها .

* * *

اما اذا رجعنا الى النماذج الفكرية نتخذ منها دليلا على تلاقح الفكر بين اليونان وغيرهم من أهل المدنيات القديمة ، فأننا نقع على سلسلة طويلة من الأفكار والصور تثبت علاقة اليونان بمصر على الاخص . لهذا نمضى فى بحثنا متخذين من مظاهر المدنية اليونانية ظاهرة التثقيف العقلى موضعاً لابحاثنا

يتبع

اسماعيل مظهر

شعر التصوير

مرقش

— Motley —

(من تصوير لورا نايت — Laura Knight ، وقد عرضت فى
الأكاديمية الملكية بلوندرة سنة ١٩٢٩)

هو مشهد تجد الفكاهة مرة   فيه، وتعبس — إن بسمت — ثغور
تلقاه من خلف الستار، ودونه   يشتاق طلعة صفوه الجمهور
ما الألعبان — وإن ترنح — ما ترى   بل حظه فى حسرة مغمور
مسك الإوزة — وهى وهم مثله   فى إثره — فغؤاده المرور
وتسلل المتبار من قنائه   للسخر، وهو ببؤسه مجرور
وترى على الوجه الحزين تقطعاً   وعليه من هزل الحياة سطور
وتراه ينظر للرفيقة فى أسى   نظر الشريد وقد جفاه النور
أخذت تجرب رقصة، لكن لها   فى غير ما قد جربته شعور
هى تحفة للفن فى هندامها   والفن عن آمالها محجور
تعبت وصيفتها ليبهج لبسها   فى حين لم يبسط عليه سرور
وترى جموع اللاعبين ازاءها   كل له سأم يكاد يثور
هذى الوجوه العانيات جميعها   صور الحياة يسوقها المقدور
فترى العناة بها يعد تنعماً   وترى الحبور بها جفاه حبور
وإذا برغم تنوع وتباين   تعب الحياة موحد منظور

أبو شادى

منبر العصور

جعلنا هذا القسم من «العصور» منبراً حراً لمساجلة القراء في شؤون المجلة المتنوعة باعتبار أن الحقيقة بنت البحث، ونحن نرحب بجميع الآراء الناضجة المستقلة وإن لم تكن على اتفاق كلي مع أصحابها، وغاية ما نشترطه مراعاة آداب المناظرة، ومبادىء المجلة، وحدود القانون.

شعر شكرى

لقد أصابت (العصور) وأحسنت فى قولها عن الاستاذ عبد الرحمن شكرى إن «كل دراسة للشعر الحديث لا تتناول أجزاء ديوانه الحافل تكون فى اعتبارنا ناقصة» ... وإنه «تكفيه مدى العمر فتوحاته الماضية». وهذه شهادة صادقة حاول عكسها من للاسف الواقى بعض من يدينون لشكرى بمحاولة تثبيطهم وإنضاجهم، وفى مقدمتهم الاستاذان عباس محمود العقاد وابراهيم عبد القادر المازنى. وهذا غير مستغرب على كليهما، وخصوصاً بالنسبة للاستاذ العقاد الشديد الكفران والتصنع والذى وصف أساليبه ناقدكم الكبير أنزه وصف، وأظهر بكل أمانة معايبه الفاضحة حينما استعرضه «على السفود». فالعقاد ما يزال يقلد استاذه شكرى تقليداً أعمى فى مواطن الاجادة، كما أنه يغير بمهارة (وإن كان اطلاعه محدوداً) على الآداب العربية والأوروبية التى تنكب بالتفاته إليها، وينسب لنفسه حتى حسنات معاصريه من الشعراء والكتاب — أى تلك الحسنات التى يستطيع استخلاصها ووضعها فى نظمه أو نثره، ثم هو بعد ذلك لا يذكر فضل أحد عليه، ويسيء بالدس والمحاربة الخفية حتى لمعلمه الأول الشاعر العبقرى الجليل الاستاذ عبد الرحمن شكرى. ولكن فضل مثل هذا الشاعر المجدد العظيم لا يمكن إخفاؤه، وإن أطال جحوده أول من استفادوا منه واتسموا به.

لم يدعني الى كتابة ما تقدم سوى الملاحظة الآتية فى ختام ديوان (الشفق الباكى)

من قلم الكاتب الناقد المعروف الاستاذ حسن صالح الجداوى حيث قال : « . . . لابد من الاشارة فى ختام هذا الاستعراض الى تباين الأذواق فى الحكم على الشاعرية ، ولكن اذا اتبع حكم الناقد الدليل العلمى الفنى من تقدير معين لمبلغ القوة الفنية والخيال والمعانى وقوة السبك أمكن الوصول الى نتيجة منصفة للحقيقة ، وتقاربت بذلك أحكام الناقدين بدل التضارب العجيب الذى نقرأه فى كثير من الأحوال . وأقرب الشواهد على ذلك ما قيل عن الاستاذ عبد القادر المازنى ، فقد اتهمه كل من الاستاذين عبد الرحمن شكرى وعبد المجيد حلمى بالسرقة ، وشبه شعره الاستاذ حسين شفيق المصرى بالوحول فى طريق العميان ، وقال إن ديوانه كله ركاكة وأغلاط بلا طائل من معنى حسن أو غرض ذى شأن ، بينما أطنب فيه أمثال الاساتذة عباس محمود العقاد وعبد الرحمن البرقوق وأحمد شاكر الكرمى وغيرهم كما أنشدنا الاستاذ محمود رمزى نظيم :

قد روى (المازنى) غلة نفس * ما شفاها مرور عام فعام
وطوى شعره قريض (ابن هانى) * وطوى بعده (أبا تمام) !

واذا بالمازنى يعرض أمثلة من شعره الفنى الحق ، كما يعرض علينا هذا الشعر الوجدانى الرقيق فى الوردة الذابلة :

أرج كأنفاس الحبيـ * ـبة حين تدنى منك فاها
وغلائل بات الغمـا * م يجودها حتى رواها
ذبلت وأخلق حسنها * ياليت شعرى ما دهاها ؟
رويتهــا بمدامعى * لو كان يحييها حياها
وضممتها ضم الحبيـ * ـب عسى يعود لها صباها
وزفرت على زوافري * بجدى فزادت فى ذواها
فرميتهـا وبرغم أنـ * ـفى أننى من قد رماها
ولو استطعت حنيت أضـ * ـلاعى على ذاوى سناها
وجعلـت صدرى قبرها * وجعلت أحشائى ثراها

وفى رأيى أنه من الضرورى ــ خدمة للأدب وإنصافاً للنبوغ ــ التباعد عن

الاسراف فى الأحكام تجنباً لأمثال هذه المناقضات ، وتشجيعا لمن يستحق التشجيع وصيانة لحقوق الأدباء » . ا . هـ .

***

هذا ماذكره الأستاذ الجداوى ، وهذا مادعانى الى كتابة هذه الكلمة ، لأنى أخشى أن اقتضاب عبارته ربما يؤدى الى سوء تفسير مرماه لدى من يجهل مبلغ إكبار الاستاذ الجداوى لشاعرنا شكرى ، فيحمل خطأ رأيه فى التوفيق بين التناقض الذوق فى الأحكام على محمل رغبة الاستاذ الجداوى فى مؤاخذة الاستاذ شكرى ، وهذا غير صحيح بدليل امتعاض الاستاذ الجداوي — كامتعاض كل أديب مستقل — لما ناله هذا الشاعر العظيم من جحود ، بل من اساءة بالغة ، بأيدى العقاد و المازنى اللذين تآمرا عليه بعد أن انتفعا من شرف صحبته وتهذيبه وارشاده لهما أيام كانا من النكرات . . .
و من لطائف القدر أن العقاد (بعد أن فرغ من التآمر على شكرى) التفت أخيراً الى هدم المازنى حينما هو فى الوقت ذاته يستغله كطبل له أمام الجمهور !! والنتيجة لكل هذا أنهما صارا سخرية أمام خاصة الأدباء بسبب هذا الرياء والتحول والاساءة ، فضلا عن التصنع البهلوانى للعظمة الذى اشتهر به العقاد ، وبرزت عن ذى قبل مكانة الاستاذ شكرى أدباً وخلقاً ونفساً ، حتى نادى أكثر من ناقد ممتاز بدراسة شعره فى مدارسنا الثانوية . وأعود للمازنى فأقول عن نقد شكرى له بعد ان كان يحسن الظن به ويعمل لتهذيبه و ترقيته :—

(أولا) ان شكرى لم يذكر مآخذ المازنى إلا بعد أن شاعت وأضاعت الثقة بالأدب الجديد عموماً .

(ثانياً) عند ذكر كل قصيدة كان شكرى يذكر الصفحة والطبعة من ديوان الشاعر الأوروبى الذى كان يسرق المازنى منه ، ولم يذكر شكرى قولا مجملا عاماً ، كما أنه كان ينقل القصيدة الى العربية نثراً للمقابلة .

(ثالثاً) أن المازنى نفسه كان يرد القصيدة الى صاحبها ويعترف بذلك كلما ظهر أن قصيدة فى ديوانه ليست له !!

(رابعاً) ان العقاد لم يخالف شكرى فيما ذكر من المآخذ كما قد يفهم من قول الاستاذ الجداوى .

(خامساً) ان العقاد نفسه أرشد شكرى الى بعض هذه المآخذ وقتئذ ، وقال إنه سيكتب عن هذه المآخذ إن لم يكتب شكرى (وللاستاذ الجداوى العذر إذا جهل ذلك) . . .

(سادساً) ان مدح العقاد للمازنى — اذا كان قد مدحه — لاينافى ماذكر شكرى .

(سابعاً) قد تكون للمازنى بعض منظومات جيدة من وحيه وابتكار فنه ، ولكن ذلك لاينافى ماذكر شكرى عن سرقاته المتنوعة .

ولا أريد هنا أن أشرح أيادى شكرى العديدة على العقاد الجاحد ، فهذه مشهورة مذكورة عند الأدباء ، وحسبنا هنا الاشارة الى صاحبنا المازنى لمناسبة ملاحظات الاستاذ الجداوى ، فأقول ختاما إن شكرى أول من شجع المازنى ، ويرجع أول تعلق المازنى بالشعر الى إهداء شكرى إياه نسخة من ديوان الشريف الرضى كما أعاره كثيراً من دواوين الشعراء ، وكانت لاتتاح له فرصة إلا آزره أخلص مؤازرة ، وبذل جهده لانضاج ذوقه الأدبى ، فكان جزاء شكرى من المازنى والعقاد على السواء جزاء الحريري من تلميذه . . . وما يزال هذا الحادث الأدبى التاريخى عبرة المتأدبين وحديث مؤرخى الأدب المصرى ، ولعل كثيرين منهم يرحب — لهذا السبب — بتأليف (رابطة الأدب الجديد) بالقاهرة ، حتى تقضى على تلك الروح الممقوتة — روح الأنانية والتخاذل والجحود والتصنع الغريب — وتلك أظهر صفات العقاد والمازنى ، حتى استحالت الى مرض نفسى تخشى بحق من عواقب نشره بين شبابنا المخدوع .

(مؤرخ)

شيطان بنتؤور

— ٢ —

(المحادثة الثالثة)

قال الهدهد : كنت فى صدورى عن ميت رهينة تحت سماء الليل أنظر قلة الرسوم لديها . وأرى تدور الاطلال عليها ، وما هى الا مقابر بعض الملوك ، ومدفن العجل أبيس وذلك التمثال فى حفرته التى تنزل به عن سطح الارض بقدر ما جرى الدهر على منفيس فى سالف الاحقاب ، وما عقدت سنابك خيله عليها من متراكم الحصى والتراب . فاعجب له كيف لم يبق من حواء العواصم غير بقية لا تذكر ، فى جانب ما رأينها عليه من السعة المتناهية والعظمة الجة والعمارة المدهشة ، وتبصرت مليا فى السبب فلم أر الداء الا موقعها الذى عرضها فى كل زمان للفيضان يعلوها ، وسلمها الى رياح الصحراء تختلف عليها فتذروها . وذهبت مع المؤرخ عبد اللطيف (١) الى ان معظم البلوى انما جاء من عبث الامم المختلفين أديانا ، الذين أغاروا على وادى النيل ، ومدهم يد الحسد الى آثار الفراعنة بمعاول الجهل ، وما زال الحسد بمرصد للفضل ، وما انفك الجهل عدو العقل .

قال ، وكان جؤجئى قد جاش بالشعر عند ما نظرت التمثال فى حاليه ، وخبرته فى يوميه ، فقلت فيه :

إن جئت (منفا) وهى أو	لى بازدبارك وانتيابك
ومررت بالاطـلال مرآ	فى بجيئـك أو ذهابك
بالأمس كنت مـؤلهاً	ماذا لقيت من انقلابك
لا ينظرون الى ذرا	ك وينظرون الى رحابك
ويخاطبـونك راغـد	ين الى ثوابك أو عقابك

***

أزرى برمسيس البـلى	وهوى به زمن هوى بك

(١) يشير الى المؤرخ الرحالة عبد اللطيف البغدادى صاحب وصف مصر المعروف

و قصار خطبك عند ذى　　نظـــر يبالغ فى خطابك
عاتبت احـــداث الزما　　ن فكنت اكل عند عابك

***

وحضرنى بشان هذا الاثر شيء من قبيل ما مر بالفكر بشأن الاهرام ، فأملت من جهة ان ينشط المصريون يوما ما لتشييد بنائه ، وتكملة اعضائه ، وتجديد حسنه ورونقه. عساهم يقضون بهذا العمل الجليل ، حق خير ملك لخير جيل ، رأى وادى النيل . وتمنيت من جهة اخرى ان تفشو التماثيل فى مصر ، لأن فيها بعض المكافأة لمن سلف ، وتعظيم شأن الحياة فى نفس الخلف . ثم فكرت فى رجل عظيم القدر جليل المقام خطير الشأن فى صحائف الايام ، لا صحف الاقوام ، تضيء مزاياه ثنايا التاريخ ، وترفعه اعماله فوق البرجاس والمريخ ، اذا مات رشحته الامة المصرية ، ليمثل بالحجارة الابدية ، ويبجل بالكلمات الذهبية . (١) فما زال فى الوهم والخيال ، حتى وجدت طلبتى فى الرجال ، ولم يبق الا عمل التمثال . فقلت حينئذ نفسى وأين من صنعوا وأين آلات ترفعه ، وكنت خرجت من احلامي فى المدينة الغابرة ، وبلغت مقامى فى ضواحى القاهرة ، فنمت أطيب المنام ، أصل الاحلام بالاحلام ، حتى اذا طلع الفجر ، انتبهت اشوق ما كنت الى النسر . يطول النهار ولا صبر ، كأن احدى ساعاته شهر ومالى لا اشتاق إلى معلمى الحكمة فى الحديث ، وملهمى القديم من العلم والحديث ، وممثل الحقيقة فى حسى ، وكنت أجهلها فى أمسى ، أو أغالط فيها نفسى ، ولما جاء الأصيل هجمت الى شاطىء النيل ، فوجدته كما عهدته ، والفت الحال مازال ، صغرت مدينة و كبرت مدينة ، وعطلت ضفة وضفت على أختها الزينة ، فاطمأن قلبي وقلت صدق النسر وعده وعمدت لأقرب الزوارق الحاضرة ، وهى كالعرائس فى النيل خاطرة ، بعضها فى جيئة وذهاب ، ومنها المتسابق فى كل منساب ، الآخذ بانواع الرياضات والالعاب ، حتى خيل لى انها التامين أو أنى لدى السين فى باريز . فطرت اليه وأنا أحسب أنى سأجد سارية أحط عليها . واستند فى وقوعي اليها ، فلقيت جزاء من ينقل قدمه ولا يبصر قدامه اذ علق جناحى فالتفت فاذا أنا فى يد رجل تعلوه كبرة وقترة ، ويضرب لونه الى الصفرة

(١) لقد سمت الامنية وتعلقت بتمثال المغفور له سعد زغلول باشا فقد اضاءت مزاياه فى التاريخ به ورفعة اعماله فوق البرجاس والمريخ ، والتاريخ له فى مصر من النفوذ مالم يتح من قبله لاحد ولا لابنه سليمان

وعليه ثياب مزركشة من ثمين الكتان ، وقد جلس امامه غلام من أوسم ما استخدم الكبراء. فقلبني قليلا ثم دفعني الى ذلك الغلام وقال هذه طلبتنا ساقها الآلهة الينا ، فتحفظ عليها فقد تفاءلت أن شفائي فيها . مازال طبيب الرأس يحيلني على طبيب الاحشاء ، وهذا يرشدني الى الطبيب الروحي ، وهو يرى دوائي في مسألة الماء كل وقد أعيت الجميع علتي ، حتى وصف لنا مضحكنا (أوتا) الذي اشتهر بصدق تجاربه على قصر قامته ، وتشويه خلقته ، أن رأس الهدهد اذا سحق وأضيف اليه قلامة من حافر البغل ، ومزج هذان بشيء من شحم الخنزير المذبوح قربانا لاوزيريس الاله والقمر في ليلة تمامه ؛ ثم تناولت كل يوم حبة من هذا التركيب ، فقد ينفعني ذلك في علتي التي حارت فيها العقاقير وعجز عنها الاطباء.

قال الهدهد فما استتم الرجل حتى ذبحت من الذعر بغير مدية ، وقلت في نفسي ما ذنبي حتى يختلط رأسي بحافر البغل وشحم الخنزير ، وليس أحقر من هذين . فجعلت أفكر في حيلة تنقذني من هذه الميتة الشنيعة فرأيت أن انطق لعل الامير يستعظم الأمر فيعفو عني . فبينما أنا أطلق الجناح أطير فنظرت تحتي فرأيت الرجل يشير نحوي براحتيه كأنه يستغفر لي أو يستغيث بي ، والزورق يكاد ينقلب بمن فيه ، من هول ما فاجأ رجاله من أمري ، وشهدوا من حالي مع مولاهم . فضحكت من رؤيتهم على هذا الحال ؛ وارتفعت في المطار ، حتى جاوزت المدينة فجعلت أحط تارة فوق جدار ، و استتر أخرى في الاشجار ، و انتقل من حانوت الى دار ، وانا في هذه الاثناء الحظ مجمل الاحوال ، وأتزود من المدينة نظرة عامة فرأيت حركة لم أر مثلها فيما غبر ، و شهدت من العظمة مايصغر المدائن الكبير . شوارع وسيعة ؛ ودور رفيعة ، وحدائق بديعة ، وجماهير متدفقة ، وشرطة منبثة متفرقة ، وخيل مركوبة ، ومركبات مجرورة ومخازن تفيض من صنوف المتاجر ، وحوانيت لاتحصى لديها ضروب الصنائع . و كان من أعجب مارأت العينان أنس الحيوان الى الانسان ، واطمئنان الطير اليه في كل مكان ، تمشي بجانبه آمنة ، وتتوثب حوله مطمئنة . وأعجبها الكراكي التي رأيتها تألف الاهالي ، و كنت أظنها لاتستأنس . ورأيت نساء العامة يحملن أحمالهن على الاكتاف ويحملها رجالهم فوق الرؤس ، وتلبس المرأة ثوبا واحدا ويلبس الرجل ثوبين وقد دهشت من توحد الزي عند القوم ، وايثارهم من اللباس الكتان والصوف

واختيارهم من الالوان الأبيض مع نظافة تضرب بها الأمثال، فكأنما كملت الجوامع فيهم حتى هذه .

وتحيتهم فى الطريق أن يعطي أحدهم يمناه الى الارض واذا عارض كبيرهم صغيرهم تنحى حتى يعبر، واذا مر به وهو جالس قام له حتى يمر . ورأيت جميع الحيوان فى الطريق الا الخنزير، ثم عرفت السبب اتفاقا . وذلك انى ابصرت بزحام فاقتربت منه فعلمت من تساؤل الناس أن أحدهم تمسح به خنزير فهم يسوقونه الى النهر ليغمس فيه بجميع ثيابه ، وهم يعتقدون أنه لايطهر بدون ذلك . فرثيت فى نفسى لحاله وضحكت من أمر هذه العادة . ثم احتوانى ميدان عظيم ينحسر الطرف فى جوانبه ، ولاتحيط العين باطرافه ، فابتهجت باستقباله ، وقلت لعله ميدان الملك ولعل الملتقى قريب .

وفى الواقع كان الاستاذ بنتوور أول أنسان وقع نظرى عليه . رأيته يشير بوجهه المتهلل نحو السماء، وكأنما يفتش عن الجواء ويتشوق فى طبقات الهواء . فلما أخذنى بصره رفع يده يستدنى فبطت فيها ، ثم وثبت منها الى كتفه متنفضا من التأنس والحبور، مرتقيا من غلب السرور .

فسألنى عن أمرى ، وما لقيت من وحدتى فى رحلتى . فحدثته حديثى أوله وآخره . فضحك من حادثة الزورق وقال تلك واحدة لم يكن لك عنها غنى ، وأنت فى أول أيامك بهذه المدينة . لأنى أردت أن تجمع فى حكمك عليها بين ماتسمع منى وما تراه فى خاصة نفسك من أحوال أهلها وأطوارهم واخلاقهم وعاداتهم . فما رأيك فى ذلك المريض ؟ قلت أحمق جاهل يامولاى ، وأطباؤكم أحمق منه وأجهل . وأنى لاعجب منهم كيف يبلغون فى الطب إجارة الجسد من الفساد ، وحفظه من البلى على مدى الآباد، ثم ينزلون الى الايمان بالرقى والطلاسم ، واعتقادهم ان رأس الهدهد وحافر البغل من العقاقير النافعة فى بعض الادواء ؟

قال: الخرافات يابنى وجدت مع الانسان منذ البداية ، وسوف تصحبه الى النهاية ؛ ولو بلغ من المدنية أقصى غاية . وأظنك عهدت باريز لاتخلو منها وهى فيما يزعمون عاصمة العواصم ، وكرسى التمدن القائم

قلت كذلك هي يامولاي . قال لكن هلا أخذت من عبارة المريض أن الاطباء في منفيس، ضروب ، وأن توزع الاعمال قاعدة التطبيب بينهم . فهذا للرأس وذاك للبطن والآخر لأمراض العين ورابع لأدواء الأذن . كل على قدر اجتهاده في الفرع الذي وقف نفسه عليه . وهذا ماصار اليه الطب أخيرا عند الغربيين ، وهم يعتقدون أن ذلك بداية النجاح الحقيقي وفاتحة عصر للعلوم الطبية ، لايقف ارتقاؤها فيه عند حد . فلو لم يكن من فضل اطبائنا الحقى الجهلاء سوى أن القوم أخذوا عنهم هذا المبدأ الجليل، لكفى

على أني عالم بان الطب لم يتقدم في هذه العاصمة التقدم اللائق بمنزلتها في الحضارة الجدير بمبالغها في المدنية ولهذا الأمر أسباب :

أهمها قلة الامراض في هذه الامة ، لأنهم من جهة يعتنون بامر نظافة الا بدان والملابس ، إذ من عادتهم أن يغتسل واحدهم ثلاث مرات بالنهار ومرتين بالليل . فثلهم كالمتقين منكم معشر المسلمين الذين يتوضئون خمس مرات في اليوم . و من جهة أخرى لأنهم في الغالب رجال عمل ونهوض وحركة ، واذا كان النشاط في الطباع ، سلمت الجسوم من الاوجاع .

وبديهي أن توسيع العلوم يكون بقدر الحاجة اليها فاذا عظمت عظم الاشتغال بها ، وكثر الاختراع فيها وإذا قلت قل . وأكبر برهان على ذلك ماأشرفت اليه من بلوغنا الدرجة القصوى في التحنيط والتصبير ، فلولا اعتقاد الافراد ان الاجسام بعد الموت مقدسة لاينبغي أن يصل اليها الفساد ، لما اجتهد الاطباء المختصون بهذا الفن فيما يمارسون من جليله وحقيره ، حتى بلغوا فيه درجة الأعجاز ، متسابقين برغبة الكافة ملبين منادى الحاجة العامة . وما يقال عن التحنيط يقال كذلك عن فن العمارة والانشاء ، فليس السبب في رقيه بيننا هذا الرقى المعجز الباهر ، إلا مبالغة المصريين منذ القدم في قيمة الآلهة وتصورهم إياهم في منتهى العظمة المؤبدة الأزلية ، فلا يرفعون لهم من الهياكل إلا ما يليق بمقامهم هذا ، ويسكنونه إلى الأبد . على أنك لو قسمت دور الأهالى من جميع الطبقات . وما رأيتها عليه من البساطة والاقتصاد في البناء ، بالهياكل وما شهدت من فخامتها ، واجتليت من زخرفها ، لعلمت أن دعواى مبرهنة من نفسها ، ولأيقنت أن قصور المصريين في الطب لم يكن عن جهل وقلة ذكاء ، لكن عن عدم حاجة ماسة وقلة اعتناء .

قلت «صدق مولاى وأفاد . لكن هذا ميدان الملك فأين قصره ؟» قال «تفضل تحلم بالملك وقد أذكرتنى أن لى كلمة أقولها لصائغه الخاص بأمر جلالته ، فلنبدأ به الآن» . قلت «الأمر اليك يا مولاى» . فمشى النسر وأنا فوق كتفه حتى مر بحانوت ضيق المدخل زرى المنظر فرأيته يهم بالولوج ، فقلت «لعلك ضال يامولاى ، فمثل هذا الحانوت لا يكون لصائغ الملك» . قال «بل الضال أنت يا كثير العجلة» . فخرست ودخل الأستاذ فخف لاستقباله رجلان كهل وغلام ، وكانا ساعة دخولنا متقابلين على منصة للعمل مكبين على الذهب يفرغانه ثم يصوغانه ، فحياه حق تحية ، ثم عادا إلى العمل وأخذا بما كانا فيه وعندئذ قال الرجل للاستاذ «أتأذن يا مولاى أن أتم حديثى مع هذا الغلام ثم أتلقى أوامرك» . فأجابه «افعل فلا نكره أن نشاطره الفائدة» . فاندفع الرجل يقول :

«اعلم يابنى أن الأمانة رأس مال التاجر ، وهى والاتقان كلاهما رأس مال الصائغ . وقد صيرتهما لى عادة منذ مارست هذه الصناعة ، فلا أكلف عملا إلا استجمعت قواى لتحديده وأحكامه ، وفكرت فى اتقانه قبل الفكر فى اتمامه ، فان بدا نقص بعد ذلك رأت نفسى وقلت على بذل الجهد ، وليس على أخذ المستحيل . وكنت فى بدء تعاطى هذه الحرفة مساعدا لمحب الحقيقة استاذى الذى انتقل إلى الدور الأبدية ؛ فتعلمت منه محبة العمل والاخلاص فيه وبذل الجهد فى اتقانه ، وهو الذى ذهب تابوت الملك سيتى والد جلالة الملك ونقشه فأبدع نقشه وكان أجره عن ذلك مائة قلادة من الذهب خرجت اليه من الخزائن الملكية فهنأته يومئذ بما نال من جسيم الربح فكان جوابه لى :

«اعلم أنه لو عرضت على خزائن الملك جمعاء وأنا فى العمل أصنع التابوت لما أعرتها نظرا لأنى رجوت أن يقال ملك الصناعة ، شرفها يوم مات ملك الجماعة . فوعيت هذه النصيحة كما يوعى الوحى الآتى من جانب الآلهة وهاأنا أبذلها لك كما بذلت لى من قبل فكانت ، أصل سعادتى وسر نجاحى والسبب فى تحصيل هذه الثروة الجسيمة وارتقائى فى القصر هذه المنزلة العظيمة» .

قال الهدهد : وكان الرجل يقدم النصائح لتلميذه وكأنها قلائد يصوغها وينثور ر يتثاءب ويتمطى فخشيت أن يحول بنومه المعهود دون سماعى مقالة الصائغ إلى آخرها

فكان ماخفت أن يكون ، وغلب على النسر النعاس فقال لى بلسان متلعثم اذاجاء الليل نامت الشياطين ، فارجع الى عشك الآن والقنى غدا فى هذا الحانوت

قال الهدهد: لم يكن الا اغماءة حتى رأيت نفسى فوق سطح بيت العمدة فى ميت رهينه فاستعذت بالله واقلعت من فورى للطيران أؤم عشى فى حلوان.

(الحادثة الرابعة)

قال الهدهد : وكان الغد فأصبحت فيما أمسيت فيه أهفوالى النسر ، ولا اطيق عنه صبرا ، والنفس الي ما يشغلها شيقة ولعة . فما زلت رهن أحوال وجار عيش وأشغال ، حتى زينت السماء الدنيا بالآصال ، وإذا أنا من جوجتى فى سفينة عند دأماء ، وهى تجرى فى بحر ولا ماء ، من مذاهب السماء . دفتها ريشتان ، وشراعها جناحان . فاستوت على ما وراء النهر . واتى لفى الحانوت كأنى لم أبرحه ، أرانى فوق كف النسر ، أنظر الى الصائغ والغلام وكأن ما مر فترة من حلم . اذ الحديث متصل والصائغ يقول : هذا يلبى صاحب الملك وشاعره ، وبوقه فى الغزاة وظله فى النقلة ، وداعيه فى الامة ، وآية ملكه فى الاولين ، وحديثه من بعده فى الآخرين أوفده حفيد السموات ، وشعاع الشمس فى الجماعات ، برسالة عملت بها قبل أن تبلغ الى .

ثم التفت الى بنتوور وسأله قائلا أليس أمر الملك يامولاى أن تنقش على القلائد الثلاث صوره الثلاث يوم قدم طيبة ظافرا ، ويوم صلى صلاة الظفر فى هيكلها ويوم المهرجان وكانت اشارته السابقة أن تتضمن الصور الثلاث حملته على الاعداء فى آتيش ، ودخوله المدينة فاتحا ، وجلوسه لملكها ومترفوها يأتون أذلة صاغرين . ؟ قال فى هذا جئت ، فلعل انسانا جاءك به قبلى

فتبسم الصائغ حينئذ وقال انه ليس انسانا . إنه الملك بذاته أشرق هذا الحانوت بنوره ، وكأنى به قائم عند رأسى : يقول اصنع كيت وافعل كيت ، وأنا جالس كما أنا الآن أحدثه كما احدثك ، ثم مشى تظلله السماء وتحرسه عين ذكاء .

قال الهدهد : قد دهشت مما سمعت ، وودت لو كنت حاضرا فى تلك الساعة أرى الملك وأسمع حديثه وتحسر الغلام كذلك وسأل استاذه قائلا وأين كنت يا مولاى عند ما تقدس هذا المكان بالملك ؟ قال كنت فى اصباحك لم تغد

بعد الى العمل فلم أشأ أن يخجلك ان تعلم أن ملك الملوك سبقك الى حانوت أنت فيه صبي تتعلم صناعة . فخرس الغلام وتلون ألوانا من الخجل .

ثم قال الصائغ يخاطب الاستاذ ليس العجب يامولاى أن يسعى الملك الى عبده فان دأبه الأخذ بيد العاملين ، فكيف بعباده المخلصين أمثالى ؟ على أن كبار الملوك يتنكرون لأخذ الحكم التى لاتنفذ على الملك حجابهم ، وطلب الحقيقة التى لاتلج عليهم أبوابهم ، كما يتنكر صغارهم ليزدادوا من الصغائر لكن العجب كل العجب أن يلغينى الملك قد الغيت العمل بأمره الاول ، قبل أن ينقضه ، وعملت بما جاء من أجله قبل أن أعلم به .

أمهلته ريثما تكلم وأشار وأمر ، ثم كشفت عن القلائد بين عينيه ، فاستغرب الأمر و سأل عن السبب . فقلت له : القلائد يامولاى للملكة الصغرى وهى بنت ملك آتيش الذى كان عزيزا فاذللته ، وملكا فاستعملته ثم صاهرته ، وأنت تحبها وتفضلها فى هوى القلب على سائر نسائك ، ولحبل من مسد تحمله فى جيدها ، أحب اليها من قلائدك التى تذكرها فشل قومها وذل أبيها . فسر الملك بما قلت له وأقرنى على من أخذت به من العمل وقال خلق الغرور للملك ، وقد يبلغ بنا معشر الملوك حتى نسىء الى أعز الناس علينا ، ونحن نحسب أننا نحسن اليه .

قال الهدهد : ثم ودع الاستاذ الصائغ وخرجنا وأنا أقضى العجب عما سمعت ورأيت ، ولا استطيع مع الاستاذ صبرا .

فلما صار وحده قلت له : حفظت أشياء وغاب عنى شىء واحد يا مولاى . قال وما ذاك . قلت انفاذ الملك اياك فى أمر سبقت به كلمته للصائغ . فتبسم ثم قال : هذا من تأديب رمسيس صحابته لكيلا يطغو ، يعلمنا أن له جسدا قدمين ، ولسنا وعينين وأن يبين غمر العامة ولفيف الخاصة من لايحوزه مجلسه ، من يليق أن يسعى الملوك اليه ، ويأخذوا الحكمة عنه . قلت تظل تشوقنى اليه فهل آن أن أراه أمهل يأن يامولاى ؟

قال لكل شىء ميقات ، وليس هنا وقت رؤية الملك فاصبر معى أو انقلب إلى عشك جاهلا محروما ، فاستعنت بالله على الاستاذ فى نفسى ، ولذت بالصبر فى أمرى .

وطفق يجوب بى الطرق ويجول فى الازقة ، حتى خرجنا إلى بناء رفيع فوق طريق وسيع فقصد الاستاذ قصده فسألته ماهذه الدار يامولاى ولمن؟ قال هذه يابنى شمس النهار ومشرق الانوار ، ومهبط الحكمة والاسرار ونقطة تلاقى العقول الكبار دار الادب والفلسفة أسساها على مثال الدار الكبرى فطيبة وكنا أربعة فلم يمض علينا عشرون عاما حتى نمت وربت ونجحت ورقت ، وأصبحت من تعدد الاساتذة وتكاثر الطلاب وتهافت المستفيدين من الاجانب ، علماء وفلاسفة بحيث تضارع اختها فى طيبة ويميزها أن ليس للملك ولا الحكومة ولا لكهنته يد فى التأسيس ولا سبيل على التدريس وانها غراس الأفراد وإحدى هممهم ، فانظر إلى الكثير كيف يأتى من القليل

وعن ميمون أمر هذه الدار أن وزير الخزينة السلطانية لما سمع بها وزارها وهى فى أيامها الاولى كتب لها صكا بربع ثروته الواسعة تستوفى ذلك فى حياته وبعد مماته ثم مات وانتقلت روحه الكريمة إلى (المغرب)(١) وكان قد أدخل ولديه فيها فلا ورأس الملك يابنى ما رأيت أنجب منهما ولا أحب للعلم ولا أصبر على تحصيله ، ولا أطلب للغايات ثم إذا ذكر فتيان المملكة فى مجلس صاحبها سماها وأثنى عليهما ، وسمع ثناء الناس فيهما . فليت اباهما يرد الى الحياة لينظر كيف تجزى العناية المحسنين ، وتجعل عماد بيوتهم من بعدهم البنين ؟

قلت سعداء انتم معشر الآباء ، اتفق اربعة منكم ولن يتفق اثنان منا وبذل احدكم ربع ماله فى البر ، ولن ينفق أحدنا دخل عام واحد فى صالح الاعمال . ونحن الذين قال بعضهم فينا (اتفقوا على ان لا يتفقوا) (٢) فاحفظت عبارتى الاستاذ وقال: ما هذا السم فى الدسم ، ومن ذاك الذى يثبط الهمم ؟ هذا ومثله أيها الهدهد من الاوهام وأنها لتخامر العقول فتعقلها ، وتداخل النفوس فتقتلها . الاوهام داء الامم ومنية الشعوب ، اذا تمكنت من قوم كانت كالفأس فى الاساس ، وكالنار فى الثمار ، وكالحبل فى الخناق ، وكالعلة فى القلب لا تخفق معها الا الى حين . ومن تبالغ نكد الدنيا على الشرق الحاضر ، تبالغ هذا الداء فيه . حكومته دواليب تدور بالاوهام ، وبلدانه مملوءة

---

(١) كانوا يعتقدون أن الروح بعد مفارقة البدن تذهب الى حيث تغرب الشمس .

٢ كلمة معروفة للسيد الافغانى اتفق المصريون على ان لا يتفقوا ولعل زمانها قد مضى الآن .

ما بين الساكنين من الاوهام ، وأمه تروح وتغدو حيث تجعلها الاوهام . نظر الواحد منهم فى الأمور عرضا وبعين غيره ، وحكمه فيها من الهوى ، وانقياده فى ايرادها واصدارها بأزمة الاوهام .

قال لكم رجل قولاقو همتكم فتم أحياء . ليس مع السلوة عيش ، ولا مع القنوط عمل ، ولا مع اليأس حياة . وليس أجلب للشر والضر من الدعوة الى الربوض وتوهين العزائم ، وامانة القلوب ، واخراج النفوس من الرجاء الى اليأس ، الذى هو الموت فى أشنع صوره ، وأقبح احواله .

قلت الأوهام يا مولاى داء الامم ، منذ القدم ، لم تخل منها أمة خالية ، ولن تخلو منها أمة آتية . فما بالك تلزمها فريقا دون فريق ، وتنكرها على قوم ولا تنكرها على آخرين ؟ قال خلق الانسان

من ضعف ، فكان الوهم أول دين دان به ، وأول حكومة دان لها ، وأول شيطان سكن اليه كان على وجه الدهر يستقبل المحسيات ، ويتخذ منها آلهة يسجد لها ، ولا يزال آخر الدهر يتوجه اليها بالتأليه والتقديس والتنزيه . وإذا عبد الله كما تعبدونه أنتم والنصارى واليهود ، كان لله الشطر من تلك العبادة ، وللاوهام الشطر . فالمسيحى يبلى الحديد فى كنيسة القديس بطرس بروما استلاماً وتقبيلا ، كما يضع المسلم خده فى عتب الاضرحة بالقاهرة تمسحاً وتأميلا وتعظيما وتبجيلا . وكان فى شيبة الدهر يؤله الجبابرة من البشر أمثاله ، ويحكمهم فى عرضه ودمه وماله . ولا يزال معظم الخلق حتى الآن عبادا للملوك يأتونهم طائعين ، غرهم التاج ، وخدعهم العرش ، وغشيهم الحجاب وضللهم الاستبداد .

فالسلطان فى الأصل للوهم لا للسلاطين وحقيقة الطاعة له لا للمالكين ، وكان الوهم أول شيطان سكن اليه الانسان تولد منه يقينه وتشأ من علمه وجرت عليه أموره ، وانبنى عليه حكمه ، وتألف منه مألوف من عاداته . يحس به ويشعر ، ويسمع به ويبصر ، ويعجز به ويقدر . وبه يعيش ، وعليه يموت . خلت آلاف من السنين وحافر البغل فى مصر حافر البغل فيها ، يمسح فى وهم بعض الناس من بعض العلل ، ويشفى من بعض الأمراض ، ومضت مئات من القرون والميت فى مصر يهتز آخر الدهر كما كان يهتز أوله فلو رفع الصليب من جنازة قبطية ، وصين القرآن ، عن أن يرتله

الحمل فى جنازة مسلمة ، لخيل لك أنها جنازة ميت منا معشر القدماء . رسوم احتفال وقربان ، وأكل وحثو تراب ، وشق جيوب ، وولولة نساء ، وعويل عبيد واماء وندب الميت ونعته بكيت وكيت . والأوهام يابنى كما قلت لا تخلو منها الامم الكبيرة والشعوب الحية ، الا أنها تقف حينئذ حيث العامة . لا تجاوزها الى الخاصة ، إلا ما ندر. كما أنها تتملك الأمم الصغيرة والشعوب المنحطة ، فيكون للخاصة منها مثل حظ العامة ، وهنا عظيم البلوى ، ومنتهى نكد الدنيا .

أليس من الوهم القاتل للأنفس ، المميت للقلوب ، أن يصح فى اذهان خاصة المصريين من امراء وعظماء ، وأدباء وعلماء أنهم أمة ليس فيهم فلاح ، ولا يرجى فى أمرهم صلاح ، وأن اتفاقهم سابع الجهات ، ورابع المستحيلات ، وان الوطن ميت وانهم ميتون ؟ وما أشبه ذلك من الدعاوى الباطلة التى لا تنطبق على نواميس الوجود ولا ترد الى احوال البشر ، وحوادث التاريخ .

الأمم يا بنى لا تموت ولئن بدت عليها دلائل الموت فى أزمنة الاضمحلال ، فما تلك الا بؤسى تزول ، وحال ستحول . الأمة تصح ثم تعتل ، ثم تصح . تتجدد من حيث تبلى ، وتقوم من حيث تسقط ، وتصح بالعلل .

هذه اليابان . هل كان فى حسبان أحد أن تضم صوتها يوماً ما الى أصوات دول الغرب فى مسألة من أكبر مسائل العصر ، وتطمع مع الممالك الطامعة ، وتسير الجيوش فى البر ، وتخرج الاساطيل فى البحر ؟ (١) وقد كانت وأنت فى زمن الدراسة لا يذكر اسمها الا مقرونا باسم الصين ، عنوان الهمجية ، وعنوان التوحش . والمشبه به اذا ذكر التأخر والانحطاط . وعرض على المسيو « تيرس » الوزير الفرنساوى المشهور مشروع يراد به انشاء السكك الحديدية فى فرنسا فسخر منه علانية فى المجلس ، وعده ضربا من الهذيان ، ثم لم يمض نصف قرن على ذلك حتى اصبحت سكك الحديد فى فرنسا تكاثر الانعام . وقارن المؤرخ فولتيه الشهير باسفاره الطويلة فى الشرق وكتبه الجليلة عنه ، بين القاهرة وباريز على عهده ، فذهب الى أن عدد أهالى القريتين واحد ، وأنهما كليتهما تضاءان بالسيرج وزيت الزيتون وتحصنان من الخارج بالاسوار ، ومن الداخل بالابواب ، وأن الانسان لايخرج فيهما

---

(١) اشارة الى حرب اليابان مع روسيا وهزيمتها لها .

بعد ساعة معلومةمن الليل ، الى غير ذلك من شبه التأخر ومخايل الانحطاط . و «فولينيه» هذا قدم القاهرة فى أيام المماليك ، وكتب ما كتب عنهما فى القرن الثامن عشر . فانظر كيف تبدلت الامور وتحولت الاحوال ، واصبحت باريز كما عهدت عروس عواصم الغرب ، تمتاض كل يوم عن ضوء بضوء ، وتبدل حصونا بحصون ، وتذهب مخترعات وتأتى مخترعات ، وتخرج المدنية من ابوابها ، وتمتد الى ماوراء أسوارها ، من تكاثر الاعمال ، وتزاحم العمال ، على كثرة ما أصابها بعد « فولنيه » من مصائب الدهر ونوائبه ، فكم هول ثورة لاقت ، ونار حرب ذاقت ، وخراب اليه انساقت . وكم حكومة قلبت ، ودولة غيبت وملك قتلت ، وقيصر عزلت .

كل ذلك فى قرن ونصف قرن ثم كانت النتيجة خروجها من دجنة هذه الحوادث سافرة زاهرة ، عظيمة فاخرة فلو أن أهلها دعوا الى اليأس فلبوا . وقال لهم عقلاؤهم موتوا أحياء فسمعوا . لكان النتيجة بقاءها على ما وصفها عليه «فولنيه» أو اضيق حلقة وأشد انحطاطا من هذا ومنه تعلم يابنى أن العلم والعمل خلقا ليكونا حرباً على الاوهام : ونوراً يخرج اليه الامم من الظلمات وان حاملهما مطالب بالعمل والدعوة الى العمل ، حتى النفس الاخير من الحياة فمن تعطل منكم من علمائكم وعظمائكم ، فازوا والوجوه عنه وانفردا بالاجماع منه ، ومن دعاكم الى حياة ، فذلك داعى الخير فاستمعوا له وانصتوا :

قال الهدهد : فما أنستم النسر حتى ملئت حياة واملاً وثقة من المستقبل الذى اعتقد أنه بيد الله ، اذا شاء صد عنه واذا شاء أقام فيه .

وكان للاستاذ درس يلقيه على الطلبة ، فادرك ان الوقت سرق بعضه بعضا ، وأن حديثه معى كان السبب فى ذلك . فغضب فى نفسه وهرول حتى دخل القاعة الكبرى وهنالك خف مئات الطلبة له اجلالا ، ثم انحنوا اكبارا ، وكان ملل الانتظار تبدو دلائله على وجوههم ، فتأملتهم وأنا لا أصدق حسى فيما أنظر وأسمع ، فاذا هم جميعا مرداً كالمرد ، لأن من عادتهم إزالة شعر الوجه كما قدمنا ، وعليهم أردية ضافية من الكتاب الأبيض .

ثم تصدر الاستاذ للتدريس ، كأنه الملك على عرشه ، فغلب على السرور وقلت فى نفسى الآن نلت من السعادة ما لم ينله أحد . لكنى ما أهبت للسماع حتى تناءب النسر وغشيته السنة المعهودة ، فالتفت الى يقول بلسان يعقده النعاس إذا جاء الليل ذهبت الشياطين . وموعدنا غدا هذا المكان ، فاستعنت بالله . وخرجت من أحلامى ، واذا أنا فى وكرى بحلوان .

(يتبع)

على السفود



جبار الذهن المضحك

— ٣ —

لابد أن يكون قراء العصور — ومن يستعيرون العصور من قرائها — قد تنبهوا إلى غلطات مطبعية تقع أحيانا فى هذه السفافيد لا تخل بالمعنى ، ولكن العجيب أن الأقدار أوقعتنا فى غلطة بعثت عليها العجلة — فى طبع العصور — فسقط سطر كامل من السفود الأول عن جبارنا المضحك . ولما تأملنا موضعه ظهر لنا أن القدر يلفتنا بهذه الغلطة المطبعية إلى جهلة من أقبح جهلات العقاد و بين لنا عن مقتل من مقاتل هذا المغرور لم نكن تنبهنا اليه من قبل وهو كما يقولون فى لغة الملائكة من مواضع الضربة القاضية

ولا ريب عندنا أن العقاد بعد هذه السفافيد كالمرأة بعد سقوط أسنانها !! لو وجدت من يطعم خديها من شجرة تفاح و ثدييها من شجرة رمان وشفتيها من فرع ورد وقامتها من غصن بان (و ثان) يجعل نظراتها من أشعة رتنجن وابتساماتها

من أشعة إكس ولملوبتها الغرامية من الأشعة التي وراء البنفسجية ــ لما وجدت مع انقضاض فيها و سقوط أسنانها وانخساف شدقيها من يعيرها نظرة أو لفتة ، إن كان في عينيه نظر قلنا في السفود الاول عن قول هذا الشاعر

انى إلى الرعي من عينيك مفتقر   ياضوء قلبي فان القلب مدجان

فسر (مدجان) في الشرح بقوله غائم ، ومدجان مفعال صيغة مبالغة ، فكيف تأتى صيغة المبالغة من الرباعي أي فعل أدجن ؟

وهنا موضع ماسقط من المطبعة وهو : « مع وضعهم وزناً خاصاً للمبالغة : في هذه المادة وهو فعل ادجوجن »

ولكن سقوط هذه العبارة جاء كما قلنا اعلاناً من القدر أنه لا يرضى هذه الضربة لأن ههنا موضع ضربة قاضية يجب أن يخر بها (الجبار) لليدين وللفم . وبيان ذلك أننا احسنا الظن بالعقاد وكانت في اعتبارنا بقية أنه على شيء من العربية لأننا إذا وصفناه بالعامي فلا نعني أنه من عامة السوقة ، بل من عامة محرري الجرائد ـــ وأكثرهم عامة فلما رأيناه يقول ان القلب مدجان لم يكن لنا سبيل الآن نعد (مدجان) صيغة مبالغة إذ أخبر بها عن مذكر وهو القلب وصيغ المبالغة لا تأتي من الرباعي إلا ألفاظاً مسموعة منها حساس من أحس ومعطاء من أعطى ومعوان من أعان ومتلاف من أتلف عند من يراها من أوزان الكثرة وهي في الحقيقة زيادة في وزن متلف لأنهم يقولون : فلان مخلف متلف فلما ارادوا الزيادة في المعنى قالوا مخلاف متلاف.

ولكن كل هذا انما هو سماعي في افعال لم تأت منها أوزان أخرى لتحقيق معنى المبالغة (وأدجن) وضعوا منه فعلا خاصا للمبالغة وهو قولهم (ادجوجن) فلا ضرورة لارتكاب الضرورة وبذلك لا يجوز قطعا لعربي ولا لأعجمي ولا لمولد ولا لعامي كالعقاد ان يجعل مدجان صيغة مبالغة . هذه غلطة فليعد القراء

اذن فن اين جاء العقاد بالكلمة . انه لم يصغها وانما نقلها وهنا موضع جهله العجيب فانهم يقولون : ليلة مدجان اى مظلمة ولا يوصف بها الا المؤنث لانها من الكلمات التي جاءت في نعت المؤنث بغير هاء وشبهت بالمصادر لزيادة الميم في اولها . ومنها امرأة مفتان ومبهاج و معطار ومئناث تلد إناثا ومذكار تلد ذكورا الخ الخ فظن العقاد ان الكلمة لمطلق الوصف ، فنعت بها المذكر وهم لا يقولونها الا في المؤنث خاصة . وهذه غلطة ثانية

وقلنا فسر (مدجان) في الشرح بقوله غائم . وسكتنا عند هذه العلامات ومعناها

ان هذا التفسير العقادى (بزرميط) كما يقولون لانه يشترط فى استعمال هذه المادة ان يكون فى الجو مطر أو أخفه أى الضباب ولذلك يقولون أدجن المطر فلم يقلع أياما أى دام عليهم و يوم دجن اذا كان ذا مطر . فاذا كان الغيم وحده ولا ضباب ولا مطر ولا جو ريان خففوا الكلمة فقالوا يوم دغن (بالغين المعجمة) والغين أخف من الجيم وهذا من مذاهبهم العجيبة التى تكاد تكون فوق العلم وفوق العقل أيضا مما يدل على ان هذه اللغة أراد بها الله الذى الهمها العرب ان يحميها بمعجزة حقيقية وهى القرآن . وأنت ترى أن الغين اخف من الجيم لتدل على ان خلة هذه أقل من تلك - وهى ايضا أجف منها فكأنهم يقولون بهذا التعبير ان اليوم غيم جاف لا مطر ولا ضباب ولا رطوبة . وهذه غلطة ثالثة

ثم ان كلمة مدجان ثقيلة أثقل من ذوق العقاد ولا تكاد تصيبها بهذه الصيغة فى نظم شاعر يذوق البلاغة و يعرف مواقع الحروف وسحر تأليفها ؟ ولما اضطر الشريف الرضى الى استعمال هذه المادة جاء بالمصدر منها فقال

يرتمى وجهة الرئال اذا آنس لون الاظلام والادجان

فانظر كيف جاءت الكلمة طريفة خفيفة كأنها من النور لا من الظلمة بعد أن جاء بها من المصدر وعطفها على تفسيرها أى كلمة الاظلام . ولكن أين من هذا العلم وهذه الصناعة وهذا الذوق صاحب

ياضوء قلبى :::: فان القلب مدجان

وهذه غلطة رابعة للعقاد فى كلة واحدة !!!

ثم إذا كانت هذه المرأة التى ابتلاها الله بثقل العقاد وأعنى غزله - اذا كانت (ضوء قلبه) وكان يعبر عنها بقوله (ياضوء قلبى) فكيف إذن يجوز له أن يقول (ان القلب مدجان) وأين ذهب الضوء يا عقاد مع أن العبارتين فى شطر واحد؟ هذه غلطة خامسة فى الكلمة نفسها

وهذا المعنى الذى جاء به (الجبار) فى بيته المتهدم الخرب كثير فى الشعر لان الجمال فى نفسه ضوء ولكن الشعراء يتفاوتون فى رسمه وتصويره والحيلة على إبرازه ويتفاضلون فى ذلك بمقدار ما يختلفون فى القوة والملكة والبيان كحالهم فى كل المعانى المشتركة

انظر مثلا قول ابن نباتة السعدى

عجبت له يخفى سراه ووجهه به تشرق الدنيا وبالشمس بعده

وتأمل فى وصف نور الوجه وقوله (وبالشمس بعده) ودقق النظر فى هذا التقييد لتعرف كيف يكون المعنى شعريا وكيف ينتقل عما يستطيعه كل انسان الى ما لا يستطيعه الا أفراد قلائل

وانظر قول بعضهم

الهجر ظمآن فى فؤادى   إسقوه بالله من سلامه
ماكان الا نهار حب   لما مضى صرت فى ظلامه

واقرأ قول العقاد

إنى الى الرعى من عينيك !!! مفتقر   ياضوء قلبى فان القلب مدجان

ألا تشعر إنك بعد الأبيات الاولى سقطت من علو ألف متر الى بيت العقاد فلا تتمه حتى تقول آه آه : الاسعاف الاسعاف : فهذه الغلطة السادسة فى البيت تظهر من مقابلته بالشعر الصحيح

وقد بينا فى السفود الأول خطأ قوله (الرعى) بمعنى النظر مع انها بمعنى الحفظ لاغير . تقول رعاك الله أى حفظك فهذه هى الغلطة السابعة

ثم هناك معنى آخر توهمه الكلمة فاذا فرضنا أن قائل هذا البيت حيوان فيكون معناه أن هذا الحيوان مفتقر الى (الرعى) من عينى الحبيب !! لانه وجد فيهما مرعى وهكذا تكون الألفاظ الشعرية : فهذه هى الغلطة الثامنة . نشدتكم الله أيها القراء أيستطيع أحد أن يرد على غلطة واحدة من هذه الثمان أو يكابر فيها : وهل من يغلط ثمانى غلطات فى بيت واحد مع سخافته التى هى الغلطة التاسعة ! يمكن أن يسمى شاعراً أو أديباً الا فى رأى الحمقى وفى رأى نفسه اذا كان من الحمقى .

هذا البحث يجرنا الى النظر فى ألفاظ العقاد وصناعته البيانية فان الشاعر يجب أن يكون شاعرا فى ألفاظه ومعانيه وخياله . فان كان كهذا العقاد وأعنى الجبار والجبار أعنى العقاد !!! جاهلا بطريقة سحر الالفاظ فى اختيارها ومزجها وتركيبها والملاءمة بينها واخراج الالوان المعنوية من ذلك النظم والتركيب — فقل انه رجل عامى بل العامية خير منه لان الملكة الشعرية فيهم تنصرف دائما الى ابداع التركيب فى أوضاعهم فترى لهم الاستعارات والمجازات كما ترى لفحول أهل البيان وهذا هــــو شعرهم . ولكن جارنا المضحك ساقط فى الجهتين لا الى العامة ولا الى الفصحاء

ومما يدل على بلاهته العجيبة وعلى كذبه ولؤمه وأنه ابن حقد تسعة أشهر ميراثاً ، فليس فى طبعه أن يقر لأحد أو يطيق احسان كاتب فى كتابته أو شاعر فى شعره — أنه كتب مقالات فى البلاغ الاسبوعى بعد موت المغفور له سعد باشا زغلول اطمأن فيها الى موت الرجل العظيم اطمئنانا تاما وذهب يرفع نفسه بأوضاع يزورها على سعد فكان مما كتبه انه جرى يوما فى حضرة سعد ذكر كتاب من الكتب الحديثة فقال سعد ، ان عيب صاحب هذا الكتاب كثرة استعاراته

قال العقاد : ألا ترى ياباشا أن الاستعارة فى الكلام كالاستعارة فى المال دليل على الفقر ؟

قال سعد للعقاد : ولذلك أنت لا تستعير

هذا ما كتبه الجبار المضحك ومعناه أن العقاد فى رأى سعد باشا أغنى الكتاب فى بلاغته بل هو بليغ لا نظير له فى تاريخ البلاغة إذ لا يحتاج الى الاستعارات لانه غنى عنها وعن كل الوسائل البيانية

ومعناه أيضا ان سعد باشا رحمه الله وكان أبلغ خطيب ومتحدث فى الشرق كله — هو فيما يعلن عنه العقاد أجهل الناس قاطبة فى الشرق والغرب بل فى تواريخ الامم كافة إذ يرى أن البيان والبلاغة فى تجريد اللغات من استعاراتها والرجوع بها الى أطوارها الاولى الساذجة من الاصوات والاشارات التى يكتفى فيها أن تدل دلالة ما على معنى ما بوجه ما . فالاستعارات فقر وعلى كل ذلك فكل أدباء الدنيا حمير والانسان وحده هو العقاد الذى لا يستعير واذا أنت رأيت استعارة فى كلام أمة من الامم فقل ان سعد باشا يراها أجهل الامم وأفقرها فى البلاغة . واذا قرأت فى القرآن مثلا قوله تعالى : « واخفض لهما جناح الذل من الرحمة » فقل ان سعد باشا يرى هذا فقرا فى القرآن فيما نقل عنه الاحمق الكذاب المغرور عباس العقاد

وانظر أين معنى « الاستعارة » فى المال من معنى الاستعارة فى الكلام؟ ولكن هذه هى طريقة العقاد فى جهله بالمعانى ومجازفته بالألفاظ وكذبه على الناس . وهل يبلغ سعد باشا من الجهل هذه المنزلة التى لا يفرق فيها بين اقتراضك شيئاً من مال غيرك لأنه ليس معك منه ، وبين إبداعك بقريحتك فى إخراج صورة جديدة من اللغة ليست فى اللغة تزيد بها الثروة البيانية به . وهل سعد باشا كان من الجهل بالفقه واصطلاحات القانون بحيث يسمى الاقتراض من المال « استعارة » فيقول استعار منه قرشاً كما يقول استعار منه كتاباً !!!

وليعلم القراء أن « الكتاب الحديث » الذى جرى ذكره فى حضرة سعد واستتبع ذلك القول فى رواية الكذاب اللئيم هو نفسه عينه الكتاب الذى أهدى إلى سعد باشا لما كان بمسجد وصيف وكان قد أعلن عن موعد سفره إلى القاهرة فاخر هذا الموعد أربعة أيام قرأ فيها الكتاب حرفاً حرفاً ثم كتب لصاحبه بصف

بيانه بالكلمة السائرة التى لم يقلها سعد فى أحد ولم يظفر بها منه غير هذا المؤلف وحده وهي قوله : كأنه تنزيل من التنزيل أو قبس من نور الذكر الحكيم » . (١)

هذه شهادة سعد باشا وقع عليها بامضائه فيكون فى رواية العقاد معنى ثالث وهو أن سعداً جبان منافق يخشى مؤلفاً من المؤلفين ـــ مع أنه لم يخش انجلترا ـــ فيتملقه بهذا الوصف البالغ على طبقات البيان الانسانى على الاطلاق .

رحم الله من قال : عدو عاقل خير من صديق جاهل . فالعقاد أراد أن يمدح نفسه بلسان سعد باشا فذم سعد باشا بل سبه بلسانه هو . ولقد اتفق أن اجتمع العقاد وصاحب ذلك الكتاب فى إدارة مجلة المقتطف فقال المؤلف للجبار العظيم الذى يخشاه كل أديب : أنت كتبت فى البلاغ الأسبوعى كيت وكيت . قال نعم . قال والكتاب هو كتاب كذا . قال نعم . قال وأنت كذبت على سعد فان الدكتور صروف كان حاضراً هذا المجلس ونقل إلى كل ما قاله سعد . فامتقع الجبار وخنس العقاد وبهت الذى كفر (٢)

أوردنا هذا كله ليعلم القراء أن هذا العقاد ليس فى طبعه البلاغة ولا أسبابها باقراره هو نفسه فكيف يكون فى طبعه الشعر إلا على الأسلوب الذى يجعل اللص دائماً قادراً على الغنى متى أراد ؟

انظر ألفاظ الشاعر الجبار وذوقه العجيب . قال فى صفحة ١٢٧ من ديوانه (بين محمد وعزوز) وفى الشرح أن محمد بن صديقه المازنى وعزوز ابن أخت صاحب الديوان :

مرحاضه أفخر أثوابنا ونحن لانقصر عن عذره
طرطوره ملقى على ظهره وحجره المرفوع فى خصره (٣)

إياك أن ترتاب أيها القارئ ففى مرحاضه ، مرحاضه ، وأفخر أثواب العقاد مرحاض !!!

---

(١) المصور ـــ هو كتاب إعجاز القرآن

(٢) وبعد أن رجع الدم فى وجه هذا الجبان قال لصاحب الكتاب : هل أخبرك الدكتور صروف (كتابة) أم بالكلام ؟ وهذا سؤال طبيعي من مزور لا يخشى إلا الشهادة المكتوبة كما هو ظاهر .
وفى هذا المجلس ادعى المغرور العقاد أنه أذكى من سعد باشا وأبلغ من سعد باشا ؟ وأشهد صاحب الكتاب رئيس تحرير المقتطف على ذلك . فالذى يبلغ به الحمق أن يقول أنه أبلغ من سعد وأذكى من سعد لا يستحى نفسه بأفصح من هذا

(٣) بين هذين البيتين اثنان آخران والأبيات فى عزوز بن أخت العقاد فلاتنسى هذا وخالة يقول فيه : عزوز حقه ولد فاجر : أحسبه أنكر من خاله ! ! !

والذين يرون أولاد العامة فى الازقة حين تجلس بهم أمهاتهم على الطريق وتريد احداهن أن تخ . . . ابنها يرونها ترفع حجره المرقوع فتجعله فى خصره ثم تجلسه على ساقيها وقد جعلت بينهما فرجة هى (مرحاض) الطفل فى الطريق العام كما يصف العقاد فى البيت الثانى تماما

هذه مسألة بسيكولوجية يؤخذ منها تاريخ العقاد وتربيته وأصله وذوقه الشعرى أيضا ومن أين ترى له هذا الذوق الخ الخ الخ وهى نص صريح فى اثبات أن الرجل من حثالة العامة وأى عامة يا أزقة أسوان ؟

ونظن أن رجلا مسلما متزوجا لو حلف بالطلاق أن لفظة (مرحاض) لاتخرج من فم شاعر فى شعره إلا اذا كان غبيا متشاعرا فاسد الذوق لئيم الطبع دنىء الحس — لبرت يمينه ولم يقع عليه الطلاق . وتكون هذه فتوى من الشرع فى وصف العقاد وشعره . فحبذا لو رفع أحد الادباء سؤالا فى ذلك الى العلماء والمفتين

ومن غفلة العقاد فى هذه القصيدة قوله فى ابن أخته أيضا

بينا يرى ينتش أثوابه قيظا كمن أخرج عن طوره
اذا به يضحك مستبشرا مصفقا كالديك فى طفره

يريد من ينتش أثوابه أنه يجذبها وقد يصح هذا على تأويل . ولكنك ترى القاموس يعرف النتاش (جمع ناتش) فيقول : والنتاش السفل (جمع سفلة) والعيارون (جمع عيار) وهم الناشطون فى المعاصى كالسرقة والفجور الخ الخ فسبحان من أجرى على لسان الخال وصف ميراثه فى الطباع والعامة يقولون (الولد لخاله) يريدون أنه مثله ينزع اليه فى الصفات الموروثة

وفى هذه القصيدة يقول العقاد :

وأيما أحلى وكن عادلا فأنت من يقضى على بكره
در الثنايا فى عقيق اللثى أم فمه الفارغ من دره

اللثى جمع لثة فى لغة العقاد وحده يعنى فى جهله وعاميته وانما تجمع على لثات لاغير وهى مغرز الاسنان سميت كذلك لان لحم الاسنان ليث بها أى دار بها ولو جمعت على (لثى) بالقصر لكان المفرد لثاة أو لثوة أو لثية وهذا كله يصلح فى لغة العقاد

وحدها لان جبار الذهن جاهل يتخبط بعجئاته جبار مثل ودون كويكشون ، ومن الفاظ الرجل الغريبة التى تدل على ذوق اسخف من ذوقه فى لفظة (مرحاض) قوله ق صفحة ٢١٥ وقد سمى الحب (الجحيم الجديدة) واخذ يصف هذه الجحيم التى يعذب فيها اهل الحب بمن يحبون فقال ملح الله ذوقه !!!

وتولى فيها عـــذاب المحبـــين بلاغ المنى من الأحباب

ليس غسلينهم سوى الشهد ممنو عا على قرب ورده فى الرضاب

فسر هذا المغفل فى الشرح فقال : الغسلين شراب أهل النار . والله تعالى يقول في وصف عذاب الجحيم ، ولا طعام الامن غسلين ، فما هو بشراب كما ترى . وجعل الغسلين طعاماً فى وصف القرآن آية من آيات اعجازه لايفهمها مثل هذا العامى الاسوانى لان هذا الغسلين هو ما يسيل من جلود أهل النار قيحا وصديدا فاذا كان هذا طعاما فلا شراب هناك الاشوبا (أى خلطا) من جحيم ، فالنار تهضمهم وهم يهضمونها لا هى تفنى ابدا ولا هم يهلكون ابدا

والآن تأمل أيها القارىء وقد عرفت ان الغسلين ما يسيل من جلود اهل النار . تأمل ذوق هذا المغفل الذى سمى رضاب الحبيبة غسلينا !!! ان كانت حبيبة العقاد ممن تصح معهن هذه التسمية فهى ولا ريب مصابة . . . على الأقل بتقيح اللثة !!! فليهنئه غسلينها ولكن لا يجوز له ان يقلب نفوس القراء ويحملهم على القىء من قراءة شعره البارد وان كان فى وصف الجحيم

ثم نحن نقر ونعترف اننا لم نفهم معنى البيت الاول لانه إذا اراد من (بلاغ المنى) بلوغها وانتهاؤها وانه لا يعذب المحب شىء كبلوغ مناه من حبيبه فهذا لايعذب بل يشفى العذاب وان عذب كان عذابه اخف من عدمه (بلاغ المنى) والظاهر ان الرجل جاهل بالحب أيضا وانما يقلد اناتول فرانس فى هذا المعنى وقد بسطه فى رواية الزنبقة الحمراء وجعله مقصورا على بعض النساء مبالغة منه فى وصف سعار الحيوانية وجنونها وكل ذلك تلفيق بعثت عليه طريقة فرانس فى الكتابة

هب العقاد أراد هذا المعنى فيبقى انه يكذبه فى البيت الثانى بجعله شهد الرضاب ، ممنوعا ، ووصفه اللذات كلها ، ممنوعة ، فى الابيات الاخرى فيقول بعد غسلين حبيبته قبحه الله وقبحها معاً

لا ولا جرمهم سوى الحد مشبو با يذيب الاحشاء قبل الاهاب
ويطوف الحسان فيها بخمر من رحيق الخلود لا الأعناب
فاذا أضرم الجوى قلب صب وتهاوى شوقا على الأكواب

قيل هذا للوصف ! لا للتعاطى ! . . .

اذن فما معنى (بلاغ المنى) وانه هو الذى يتولى عذاب المحبين به .

هذه معانى «البلوغ» فى اللغة . لعل فى القراء جبار ذهن غير مضحك يفسر لنا معنى البيت : بلغ بلوغا وبلاغا وصل وانتهى ، البلاغ ما يتبلغ به ويتوصل لبلاغ ما بلغك ، البلاغ الكفاية ، البلاغ إبلاغ الرسالة ، بالغ بلاغة وبلاغا اذا اجتهد فى الامر ، «هذا بلاغ للناس ولينذروا به» اى انزلناه (القرآن) لينذر به الناس . البلاغ جريدة البلاغ اليومى والاسبوعى !!!

ولم نر فى كل ما وقفنا عليه من الشعر قديما وحديثا أبرد غزلا من نسيب هذا الشاعر العقاد ، الذى لو كان فى الدولة العباسية ايام حفاظها وأدبائها وقيانها وامرائها الأدباء القادرين ، لكتبوا شعره الغزلى على جلد ثم صفعوه به فى المجالس .

وهل يستحق اقل من الصفع من يقول فى صفحة ١٠٩

« الحبيب الثالث »

« نظمت هذه الأبيات ردا على قصيدة الحبيبين لصديقنا شكرى . وقد شبه احدهما بالجنة والثانى بالجحيم وهذا الحبيب الثالث جامع بين الجنة والجحيم !!

قلاك من دفاع نار الجحيم ووصلك الجنة دار النعيم
وريقك الكوثر لكنه كالمهل !!! فى صدر المحب الكظيم
وخدك الزقوم !!! مر !!! لمن تزويه عنه وهو حلو الشميم

المهل دردى (اى وساخة) الزيت . وفى القرآن الكريم «كالمهل يغلى فى البطون» والزقوم عبارة عن اطعمة كريهة فى النار ومنه استعاروا قولهم تزقم فلان اذا ابتلع شيئا كريها .

هل يعرف القراء فى البله او الحمقى او المغفلين من يجعل الخد طعاما وطعاما كريها ومرا ؟ ولكن العقاد جعله كذلك ثم يزيد على هذا السياق قوله « وهو حلو

الشميم ، اى والحال انه حلو فى الشم ، فمن هنا لا يكون المعنى ابدا الا هكذا : ان خدك طعام من الاطعمة الكريهة لمن تزويه عنه على حين انه طعام حلو الشم طيب الرائحة فهو على كل حال طعام . لا يمكن ان يؤتى سياق الكلام غير هذا.

لعمرى لو كان هذا الغزل فى امرأة حقيقية لدبغت قفا هذا الاحمق . ولكنه فى امرأة يخلقها وهم العقاد من طباع العقاد.

ثم يالطيف يالطيف ! اى بليغ على وجه الأرض يستطيع ان ينطق (قلاك من دفاع نار الجحيم) انطقوها ايها القراء لتعرفوا ان فم العقاد يصلح ان يستخدم فى (طره) لقلع الحجارة وتكسير الزلط !!

على سفود آخر



يا موقد الجمر (والعقاد) فى يده . قد أنضجته على السفود نيران
شب الوقود بمسجور له لهب . كما تشب تنانير وأفران
وأشكلك شواءك بالسفود تصهره . كما تشك طباهيج وحيتان (١)
كأنما سقر قامت مرحبة . تنوشه عقرب فيها وثعبان
حضرة . . . . محرر العصور الغراء

لعلى أشد الناس ولعا بقراءة العصور وإعجاباً بما تحويه من أدب وبحث ، فقد أتيح لى أن أقرأ أعدادها الممتعة وأنا بين لذة دونها كل لذائذ الحياة وإعجاب لا حد له . وليس أجلب للسرور عندى من أن تصل إلى نسختها فأجدنى بين حدائقها الغناء ، ومنازهها الفيحاء ، ومعارضها الغنية بالطرف والنفائس ، متنقلا من موضوع إلى

(١) الطباهجة الكباب والجمع طباهيج والحوت معروف والجمع حيتان

موضوع ، ومن بحث إلى بحث ، حتى أصل أولها بآخرها ، وأنتهى من فاتحتها إلى خاتمتها ، وأنا استجلى فى مرآتها الصافية ما تشعه تلك العقول النيرة ، والأذهان الحادة من بحوث علمية وآداب عصرية وانتقادات تحليلية ونزعات تجديدية . وقد لفت ذهنى بنوع خاص ماقرأته تحت عنوان «على السفود» فى نقد العقاد وتحليل نفسيته الحانقة وتفنيد مزاعمه فى الأدب والتدليل على أنه صاحب قوالب يصب فيها ماينقله ترجمة أو يسرقه انتحالا ذلك إلى خطأ فى البيان والاسلوب ونزول إلى لغة الجرائد وكلام العامة ولحن فى التصريف والاعراب لايتورط فى مثله صبية المكاتب وخبط وهذيان وتخليط لاتصدر الا من الحمقى والمجانين

ولست بحاجة إلى إعادة ماذكره ذلك الكاتب القدير والناقد البصير من سرقاته وأغاليطه وتخليطاته فان فيما ذكره ويذكره تباعا — إن شاء الله تعالى — الغناء والكفاية

وانما الذى يعنينى من العقاد ويحملنى أمعن فى الدهشة والاستغراب من أمر هذا المخلوق الشاذ أنه بعد أن انتحل لنفسه آثار غيره وتناولت يد عبقريته الخاطئة بالسرقة كثيرا من معانى الشعر العربى والغربى وبعد أن لم تخجل حتى من سرقة العناوين وأسماء الكتب أخذ ينحل لنفسه أضخم الألقاب وأفخمها فلم يقنع بأن يكون عبقريا و «جبار الذهن» و «شاعراً فذا» و «مجددا حكيما» و «فيلسوفا عليماً» : إلى آخر هذه الألقاب الجوفاء حتى حاول أن يتوثب على مقام الالوهية الأعلى فاطلع فى عالم الوهم والخيال إلى حظائر القدس وأراد أن يسرق اسماً من أسماء الله الحسنى يتخذه لنفسه لقبا خاصا جامعا لأجل معانى الانعام والتفضل والاحسان والرحمة فعاد وهو يحمل لقب (رحمان) مع حفظ باقى الألقاب وذلك حيث يسلم عليه شيطانه وصاحب وحيه بأنتن ماينبعث عن الجيف والكنف فيقف فى دوار وغثيان ويقئ هذا البيت السخيف

والشعر من نفس الرحمن مقتبس   والشاعر الفذ بين الناس رحمان !!

وقد عرض ذلك الناقد الأديب لهذا البيت فقال . نحن لانشير إلى الحاد هذا الدعى الزنيم فهو يباهى به ولكنه لما كان يدعى لنفسه أنه شاعر فذ فكأنه فى رأى نفسه إله . أغيثوه بطبيب مستشفى المجانين أيها الناس

وأضيف إلى هذا ما يتعلق بالنقد التحليلي لهذا البيت فأقول «النفس» : بالتحريك يطلق في اللغة على الهواء الخارج من الانف والفم وعلى الريح التى تتنسمه وتستروح اليه ، وعلى التروح بين الشربتين ، وعلى السعة يقال هو فى نفس من أمره أى فى سعة وفسحة . والنفس مصدر كالتنفيس يقال نفس ينفس نفساً وتنفيساً كفرج يفرج فرجاً وتفريجاً و إذا أضيف النفس الى الرحمن كان مصدراً بمعنى الفرج ، وفى الحديث . « لاتسبوا الريح فانها من نفس الرحمن » فسر النفس هنا بالفرج أى من تنفيس الله على عباده لانه ينفس بها عن المكروبين ، ويفرج عن الملهوفين ، ويريد عبقرى البيان هنا بالنفس الرحمة ، وليس هذا بالمعنى اللغوى للكلمة، وانما هو من مواضعات العقاد مع نفسه، فانه كثيراً مايعمد إلى اللفظة فيخلق لها من المعنى مايشير اليه السياق وان خالف ذلك أوضاع اللغة واستعمالات العرب واقيستها

و إذا كان الشاعر الفذ هو الذى يستمد روحه وشاعريته من نفس الرحمن ـ وان كنا لانعلم ما نفس الرحمن ـ فهلا كان شاعراً فقط ، ولم كان شاعراً رحمانا ؟! نحن نقرأ فى كتب الأدب القديم أن لكل شاعر شيطانا ، فلم يستمد شاعرنا الفذ شاعريته من نفس الرحمن ، وهى من عمل الشيطان ؟! ثم يكون فى النهاية رحمانا !

ياسبحان الله ! ، إن مصر الفتية ، مصر كعبة الشرق لتفتخر بمثل هذا الجبار الذهن المتناهى فى السخف والحمق . ولهذه المناسبة أسوق القصيدة الآتية :

يغسل أسوان «لابوركت» اسوان » ـ صدر الكنانة مكلوم واسوان
بالمشغب اللقس «العقاد» من خبثت بخبث مولده نوب وسودان
ولدت أكفر مخلوق بخالقه كفراً والأم من ترميه بلدان
مستهتراً يزعم الرحمن صاحبه فى الشعر ، شتان رحمان وشيطان
يقول ضمن سخافات تضمنها للنكس عباس العقاد ديوان :
« الشعر من نفس الرحمن مقتبس والشاعر الفذ بين الناس رحمان »
تنزه الله عن جبس ينازعه اسماءه ، وسما لله سلطان
أأنت شاعرنا الفذ المرتل من قدسية الشعر ما أدته أوزان
أم هل ترى « نفس الرحمن » يبعثه روض من الشعر أو حقل و بستان ؟

٭٭٭

ياصاحب النفس القدسى طاربه جبريل فى زجل تحدوه ألحان

تقدس الشعر لما قته وعزا أغاسه لرياض الخلد رضوان
أقصر ، فما أنت روح القدس نافح عن حق ، ولا أنت ان نالحت حسان
ولست ، هومير ، يستوحى ملاحمه ولا ، شكسبير ، معروفا له شان
بل أنت سارق أشعار تطرحها جيب القواق ، وما يعييك ميزان
لك القوالب من شعر ترقعه وللأولى سرقوا در وعقيان

ooo

ياموقد الجمر والمقتاد في يده قد أضجته على السفود نيران
شب الوقود بمسجور له لهب كما تشب تنانير وافران
واشكك شوائك بالسفود تصهره كما تشك طباهيج وحيتان
كأنما سقر جاءت مرجبة تنوشه عقرب فيها وثعبان
غر يغر بألقاب يخص بها ما إن يخص بها في الناس انسان
جبار ذهن ورحمان فنتقم ومنعم فاض من نعماه تهتان
وعبقرى بيان ليس يلحقه في الشعر بحر وجو ولا في البحث برهان
ألقاب مفخرة في غير موضعها أمسى يروجها زور وبهتان

عبد الرحمن خليفة

هنرى هين

ان الادباء والشعراء والفلاسفة لم يخلقوا فقط لصوغ بعض الكلمات الخلابة الجاذبة لقلوب الناس . نعم ان هذا قد يكون من جهة واحدة ولكنها ليست الا هم يينها العامة تنظر اليها وحدها : فالمهم هو الأعمال التى يأتون بها بازاء كلامهم وحديثهم والنشاط الزائد الذى يظهرونه لتحقيق فكرتهم وغرضهم : إذا شاهدنا أديباً أو شاعراً أو فيلسوفا تكلم هنا من جهته وأشد ذاك وتفلسف الآخر : ولم يقرنوا قولهم بعلمهم : بل لم يبدون اشتياقا الى العمل قبل أن يكتبوا أو يتكلموا لقلنا : إن هذا الأديب قوال والشاعر ربما غنى ليخمد نارا فى قلبه قد أخذت فى اللهيب ولوصفنا الفيلسوف بانه رجل سفسطائى ولو اننا استطعنا أن نفحص روح الادباء لرأينا كلا منهم يحمل سيفاً مصقولا هو أحد وامضى من سيف عنترة البتار : وان لم يجد رذيلة يبارزها ذهب يفتش عنها فهم حماة المدنية . المدنية القائمة على الحكمة وفعل الخير

وهين كأصحابه كان حاملا سيفه معه . ولكنه كان لدرجة عظيمة من العز لم ينلها أى سيف آخر حتى طلب أن يوضع فوق مدفنه بعد وفاته بدل طاقة الزهور . وهذا لم يكن الا سيف تحرير الانسانية . اذ انه من أولئك الجنود البواسل فى حرب تحرير الانسانية .

وكما أن جرمانيا لاتستطيع أن تنسى ذلك النهر الفياض بشهد لذيذ شهى « جيت » كذلك لاتستطيع أن تنسى فرعه الوحيد « هين » . وقد ظهر جيت وحرك الكبش (جرمانيا) ولكنه لم يستطع أن يجعله منتبهاً تماماً ولم يتم ذلك أى ان تلميذه جاء وأكمل ماعجب اتمامه . ولكنه لم يتمكن أيضاً أن يتم العمل النهائى : الا أنه أدى واجبه الى آخر رمق من حياته وكأنه علم بالمثل القائل . على أن أسمى : وهذا هو ماقاله يوأى مارد دعائى لأكتب كتاب الاشعار لاحرر جريدة أن أوذى نفسى فى أوقاتنا وفائدتها : أن اجرب لابنه الكبش الجرمانى فى حجرته من سبات عميق قضى فيه ألف سنة ؟ أى نفع حصلت عليه من كل هذا ؟ إن الكبش فتح عينيه فقط ليطبقهما حالا فارقاه : ليبدأ فى غطيطه ثانية وكان هذا بعد انقضاء دقيقة ولكنه كان غطيطاً أشد وطأة عما سبق وحرك أعضاء الجامدة الخارقة:

ويلج مرة اخرى فقط ويتمدد فى فراشه القديم الذى اعتاد ان ينام فيها كرجل مائت ليستريح ولكن اين يجد موضعا للراحة ؟ »

وحقا ان هين لم يقو على ان يجد راحة ، فهو كان منهمكا ابدا منذ حداثته الى وفاته احب لما كان صغيرا فاذى قلبه الحب ، حارب عند ما كان رجلا الى ان اصبح عليلا ، كابد أمراضه بينما كان شيخا الى ان داهمه الموت ! فهذا هو هين . وهمه الوحيد كان فى جميع هذه الاطوار التى مرت عليه فى جرمانيا ولم تكن ارض لتهمه ، لكن الذى اهتم له هو تحريك الشعب لينهض نهضة حقيقية وتكلم عن علاقته بجرمانيا فقال :

ان الامبراطور شارلس الخامس جلس متألما من كثرة الضيق ، فى التيرول ، محاطا باعدائه وقد هجره ابطاله وندماؤه ولم يأت أحد منهم لمساعدته . انى لا اعلم اذا كان لايزال حاصلا فى ذلك الوقت الحرج على الوجه الحليبى الذى صوره لنا هولبن . لكني متأكد بأن وراء شفتيه الاحتقار للانسانية نعم ، كان ظاهراً جلياً اكثر من صورته : كيف يستطيع غير الاحتقار لشعب عند ما كان فى اوج مجده كان يتملق له ويقدسه ، وأما الآن ، فى كربه المظلم ، فقد تركه ذلك الشعب وحيداً ؟ واذا به على حين غرة فتح بابه ، وجاءه رجل مختف ، وعند ما شمر عباءته عن وجهه عرفه القيصر بانه ذلك النديم الامين كونز ادفون روزين . هذا الرجل جاء للقيصر سلوى وتعزية ، كيف لا وكان نديم قصره !

« آه يا جرمانيا بلاد آبائى ! ياقوم جرمانيا الاعزاء ! انى انا لكم هو ذلك كوزاد فون روزين بعينه : الرجل الذى كانت وظيفته الوحيدة ابهاجكم ، والذى كان فى اوقاتكم السعيدة يتمون فقط لسروركم ويجيء فى وقت ضيقكم عند الحاجة : فهنا تحت عباءتى اقدم لكم صولجان ملككم وتاج جلالتكم ألا تعرفني يا ايها القيصر العظيم ؟ اذا لم يكن باقتدارى ان اجعلك حرا فسأخفف على الاقل عنائك وستكون على الاقل ايضا قد حصلت على رجل يشاطرك احزانك ويتألم معك ويقنعك ان تكون شجاعا ومن الذين يحبونك وهو الذى سيذل تحت اوامركم احسن تسلية واعز نقطة من دمه لانكم انتم يا ابناء قومى ! انتم هو قيصر الحقيقى المالك الحقيقى لارض الوطن ! ارادتكم هي الحاكمة واكثرها شرعا من ذلك التاج الارجوانى الذى يتوسل الى حق الهى ارادتكم يا ابناء قومى هى المنبع الوحيد للقوة اذا كنتم الآن مطروحين ومقيدين ، فلا تيأسوا ان حقكم الصريح سيكون لكم . ها ان

الخلاص أدنى من قاب قوسين ، اذ ذاك ننتظر ياقيصر ، الليل الدامي قد نقضى !
وهناك ينفلق الفجر الوردي .

ايه يا كوزاد فون روزين يا غبي انك على خطأ مبين لعلك تأخذ البلطة الملوثة
بالدم فتحسب وميضها اشعة شمس ان هذا الاحمر من الفجر الذي تراه هو دم بعينه .

لا يا قيصر انها الشمس وان كانت قد اشرقت علينا من الغرب انها قضت ستة آلاف
سنة وهي تشرق من الشرق كفى الوقت جاء ليصير تغيرا

ايه يا كوزاد فون روزين ياأحمق لقد اضعت الاجراس من طربوشك الاحمر
وله الآن منظر غريب اذاك طربوشك أحمر

آه ياقيصر إن مصيبتك الدهماء جعلتني أهز رأسي بشدة وبشراسة حتى ان
أجراس المجاذيب وقعت من على طربوشي ولم يكن الطربوش أردأ من حالته هذه .

كوزاد فون روزين يامجنون ماهذه الضوضاء التي اسمعها خارجا من تكسير وطقطقة
صه ! ان هنا منشارا وفأس نجار وبعد حين ابواب سجنك تنفجر وتبقى
مفتوحة وستكون حراً ياقيصر .

• هل أنا هو القيصر الحقيقي ! آه لقد نسيت ، أن المجانين هم الذين اخبروني بذلك !

• أواه ، لاتتحسر ياسيدي العزيز ، أن نسيم سجنك الردئ جعلك هكذا خائر
العزم ! عندما ترد حقوقك اليك ، ستشعر مرة أخرى بانتعاش و بسريان الدم الملوكي
الجبار في شرايينك ، وستكون متكبراً كقيصر ، وقاسيا ، ورحيما ، وظالما . وباسم
الوجه وناكر المعروف كالة الامراء .

• كوزاد فون روزين . يابليد . إذا أصبحت حراً . ماذا ستعمل عندئذ ؟

• سأخيط اجراساً جديدة في طربوشي .

• وكيف اكافىء امانتك لي ؟

• آه . ياسيدي العزيز . لاتدعني أموت في خندق . .

لو أن هين لم يكتب غير القطعة التي مرت امامنا لكفي بمفخراً عند الجرمانيين . ولو أن
هين عاش الى هذا اليوم ورأى في عينيه كيف ان قيصر لم يبق له أثر وكيف أن الشعب
أصبح قيصراً ، وارادته هي الحاكمة ، لقال ، حاربت وقهرت عدوي الجهل والاستبداد
هما ألدعدائي فلا بأس بي اذا ارتحت الآن

رحين صيون

خطرات

فى السياسة والتاريخ

-٢-

الأرستوقراطية

وقد كانت الارستوقراطية فى انجلترا سياسية فى جوهرها ، وإذا أضفنا إلى ذلك أسباباً أخرى ؛ لم تكن مجرد طائفة منعزلة عن الشعب ، حتى إن الطابع الخاص الذى لابد منه للتمييز بين الطوائف الاجتماعية قد محى تماماً . ولقد أصبح هذا الاعتبار مسوغاً كما قال أحد الأعضاء الأقدمين فى مجلس اللوردات لزميل جديد رقى حديثاً من مجلس العموم إلى اللوردية .

« اعلم أننا جميعاً هنا كالأصدقاء » — وقد يكون ذلك حقاً لا شك فيه من الوجهة الاجتماعية .

ويجدر بنا أن نذكر أن ما وصفه أولو الرأى السديد وأصحاب البصيرة أن من أكبر الاصطلاحات الجليلة فى الشئون العامة التى اختطتها أية حكومة وهو اصلاح التحول فى الترشيح والتعيين فى الخدمة المدنية من الرعاية والمحسوبية لمقامات الملوك والأشراف ، الى المنافسة العلنية — قد تم فى ظل مجلس وزارة مكون من خمسة عشر عضوا قال عنه المستر غلادستون أنه ليس من المستطاع ان تقوم هيئة أكثر ارستوقراطية فى التشكيل منه ، اذ لم يكن من بينها عضو لا ينتمى الى الاشراف الا المستر غلادستون وحده . وقد اتخذ المترجم عن حياته (١) ذلك العمل الجليل مثلا كيف ان هذا الرجل العظيم قد جمع بقدر لم يتأت لغيره بين السليقة الدعوقراطية المتأصلة فى نفسه البعيدة الغور ، وبين روح الحكم الصالح : اى سليقة المساواة الشعبية والروح العلمية للرجل الادارى المستنير .

الملكية والجمهورية .

ولم تلهب أية فكرة فى كل مجامع الالفاظ المتعلقة بالحكومة نار النشاط والحماسة

(١) وهو اللورد مورلى نفسه مؤلف هذه الرسالة

فى صدور البشر ، بقدر لفظة الجمهورية المعبود ، اللهم الا لفظة الملكية وفكرتها .

وقد أوجدت فكرتا الجمهورية وحق الملكية من الانصار من دافعوا عنهما فى كثير من المواطن بنفس الحماسة الملتهبة والاسلوب العقلى المحكم والبرهان العملى السديد . فى حين انك تجد أن أوجه الخلاف بين النظم المتعددة التى طبعت كلها بطابع الجمهور المشترك والتباين العميق فى الجوهر والأثر والنظام العملى ، كثيرة جهد الكثرة فقد كان كرومويل حاكما بامره (دكتاتورا) اكثر منه رجلا جمهوريا . وكانت البندقية تختلف فى نظامها اختلافا جوهريا عن فلورنسا والجمهورية التى نشأت بعدان تخلفت مقاطعات سويسرا من النير النمسوى ، كانت فى شكلها واساسها مغايرة للنظام الهولندى بعد التغلب على اسبانيا (١) وهناك اختلاف بين بين هيكل الجمهورية الفرنسية الاولى والثانية وبين هذه والجمهورية الثالثة و بين الاثنين الآخرين و ولايات أمريكا المتحدة . ولست بحاجة الى الكلام عن جمهوريات امريكا الجنوبية حيث تسير الحضارة اللاتينيه الكاثوليكية فى سبيل متعرج غير مألوف ، وحيث لا تدل الجمهورية كنظام للحكم على اكثر ما تفهمه من الملكية فى بلاد البلقان المضطربة .

ولننتقل الى دعاة الحق المشروع وهو لم اخترع التعبير عن سلالة آل بوربون حينما زالت الجمهورية الاولى والامبراطورية الاولى من عالم الوجود بمعاهدة فينا سنة ١٨١٥ فاذا كان مدلول فهمنا عن الحكومة المشروعة هو انها حكومة حازت التملك والسلطة مستندة الى صفة معترف بها مكتسبة من الوراثة المنتظمة ، او المعاهدات ، او الفتح المعترف بمشروعيتها ، فاى الحكومات الملكية الآن تتوافر فيها صفات المشروعية اذا قيست بهذه المعايير !!! فوراثة العرش فى انجلترا كما يعلم الكل تستند الى ثورة هى نتيجة احدى تلك الوسائل السلبية التى ترتفع لدرجة الضرورة ، ولو ان امراء البيان والمفكرين من بيرك الى ماكولى قد اسبغوا عليها طلاء واقيا من قانون ونظام يعملان باستمرار غير متقطع . وفى إيطاليا و بلجيكا والسويد و النرويج نرى الملك مكللا بتاج صاغته ايدى الثور

الرأى العام

وحتى كلمة الرأى العام المقدسة ملكة العالم كما اسموها لذات معايير عديدة وقد

---

١ — بعد تغلب مقاطعات البلاد المنخفضة

قال احد الكتاب فى الشئون الدستورية ممن لم تكبت قوة العلم فيهم روح الفكاهة (ولا تخلو السياسة ولا القانون من مواطن عديدة للتفكه) ان رأى البرلمان هو رأى الأمس ورأى القضاة هو رأى اليوم الذى قبله، أى ان القضاة يحكمون حسب سوابق الرأى والحكم وقوانين التفسير والشرح أما البرلمان فيشرع ويقضى بالضرائب وينظم الشؤون الخارجية تلبية لنداء الحركات التى تجرى خارجه . وكذلك مناقشة الفوائد التى تنجم عن أى نظام أو مضاره . فمن ذا الذى يضع حداً فارقاً بين قيمته القانونية والنظرية ، وبين تجربته عمليا ، أو يعمل حسابا لنفسية القائمين على تنفيذه ولقيمة الاعتبارات التقليدية المتعلقة به ؟

فالقائم على ذلك فى السياسة هو صوت جمهور المنتخبين . وهل هناك أسباب تدعوا الى اعتبار أغلبية الأصوات أو تعددها أقوى من صلاحية هذه القاعدة السياسية عمليا ؟ وهل دلت التجربة على صلاحيتها فعلا حتى لجأ القوم الى استنباط وسائل اخرى ـ من استفتاء الشعوب ، لاستفتاء جمهور المنتخبين ، وغير ذلك من الوسائل التى تفرض على الشعب قسرا ، ويقصد بها تشتيت القوى المجتمعة لهيئة نيابية حاكمة ؟

وقد أكد كاتب (١) من خيرة كتاب العصر الحاضر أهمية العنصر الغير العقلى فى السياسة كالنوازع والغريزة ورد الفعل ، ويرى عن عقيدة ان فن السياسة التجريبي (٢) ينحصر غالبا فى تكوين الرأى باستقلال الاستنتاج غير الواعى (٣) والذى لاينطبق على العقل استقلالا عن قصد وتعمل ، والحقيقة على الأقل هى أن المشتغلين بالتجاريب السياسية يرون من الصعب التكهن بالعوامل الحاسمة

وليست الصحافة بالمعيار الذى نأمن له . اذ الواقع انه فى ثلاثة انتخابات برلمانية عامة منذ ١٨٧٤ كانت النتيجة مفاجأة كبرى لأولئك الذين اتبعوا الرأى الذى اختطته الصحف الاكثر انتشارا فى اهم مناطق البلاد . فكانت هذه الصحف الكبرى فى واد واغلبية المنتخبين فى واد آخر . ولم يكن اللورد بيكونسفيلد (٤) ليتوقع الهزيمة الكبرى التى لحقته سنة ١٨٨٠ وقد قال « كلارندون » عن « بالمرستون » انه اخطأ فى اعتبار تصفيق الشعب دليلا على رأى البلاد الحقيقى ، وليس ثمة شيء من الصعوبة بحيث يستعصى على التقدير او التحقيق . فالرجل الخيالى الذى ينشد الكمال ، يثور أو

---

١ المستر جراهام ولاس مؤلف كتاب « الطبيعة البشرية فى السياسة »

٢ أسس لايتصل بقواعد ومقاييس

٣ subconscious

٤ دزرائيل اليهودى أصلا

يتكس حينما يجد الجماعة تعيره اذنا صماء . وفى باب التهكم الأدبى يشبهون عدم اكتراث الشعب بكل حديث من الآراء ، بالكلاب تنبح الاغراب ، او الحمار الذى يفضل حملا من التبن على عشر قطع ذهبية . وقد يكون من السهل ان نجد حجة ندافع بها عن هذين الحيوانين الامينين ، وعن الجمهور . ولو رجعت الى الحقيقة لوجدت أن التشبيه غير ذى جدوى . ولو أنه ليس هناك ادنى شك فى ان الآراء او الاحكام الناضجة الممحصة والعقول التى صقلها المران القويم ، تقابل دائما بالترحاب . وطبيعى أن مشاغل الحياة القاسية المجهدة هى اول العين العادية . بيد ان المزاج الناضج متى كان سديد المقصد صبورا ، فانه لا محالة متسرب الى الاعماق ، كما أن العملة السليمة من الشوائب ، لا تعدم سوقا . وهناك أشكال عديدة متباينة من الحكومة النيابية تعد بالعشرات قائمة على مثلها من الحالات الاجتماعية والتاريخ . وليس من يدعي للرأى العام فى أحدها أو كلها التقديس أو العصمة . فى حين ان السخرية بالرأى العام ما هى الا النزاع مع الحياة البشرية ليس الا ، وكلنا يعرف نقائص الرأى العام ومساوئه فى السياسة والخلق السياسى مثل الاقتناع المهلك بالأجوبة السهلة عن أسئلة صعبة معقدة والمسارعة كما يقول هوس ، الى أن تتغلب على العقل اذا كان العقل ضدنا ، والمغالاة الشنيعة فى تقدير التافه من الاشياء ، والحملة الشعواء على شيء اليوم ، ثم رجوع القهقرى لا يقل شناعة فى اليوم اللاحق . والمال يبذل جزافا لتأييد معبود الساعة هذا الاسبوع ، ثم اللعنات الشائنات تصب على الجواد الخاسر فى الاسبوع التالى . ثم العجلة وجبن الخلق وعبث العمل دون جدوى . بيد انه لو توهم كائن من كان أن هذه النقائص والشرور لصيقة بالانظمة البرلمانية أو الديموقراطيات ، فقد فاته درس صحائف تاريخ الاستبداد الحزبى والسلطة الشخصية المطلقة والبيروقراطية المركزية وحاشيات الملوك البراقة وأبهة أبلطتهم

ذكرى ميلاد روسو

ويوافق اليوم (١) ذكرى ميلاد روسو منذ قرنين . وقد اقترح فى مجلس النواب الفرنسى فى الاسبوع الماضى فتح اعتماد من الخزانة العامة للاحتفال به ، فأدلى فريق بحجة أنه من السخف كل السخف تعظيم أب النظريات الهدامة ، بينما فى الوقت نفسه يطلق رجال الشرطة الرصاص ويقتلون عصابات الفوضويين فى ضواحى باريس

---

(١) ألقى هذا الخطاب فى الثانى عشر من شهر يوليو سنة ١٩١٢

وكان الفريق الآخر يؤكد رأيه وهو أن روسو كان السباق فى بيان نظريات العدل الاجتماعى الحديثة، وأن أثره فى الآداب الفرنسية والألمانية والروسية خالد لا يبلى، بل يتجدد على مر الزمان. فهناك بعض الكتاب فى عالم المؤلفات السياسية لا تتجاوز عدد الأصابع عداً، يحل فى التاريخ منزلة الكتب إذ هى بالفعل وثائق، كمؤلف جروتيوس (أب القانون الدولى) المعنون «فى حقوق الحرب والسلم» (١٦٢٥) و «ثروة الأمم» لآدم سمث (١٧٧٦) و «العقد الاجتماعى» أحدهذه الكتب بلا جدال، كما كان كتاب «أنظمة المسيحية» الذى كتب فى جنيف قبل عهد روسو بقرنين. إلا أن كالفن المبشر بالبروتستانتية فى فرنسا، لم يكن نظرياً كما كان روسو، فقد كانت عزيمته الأساس الذى شيد عليه كنيسته. ولقد كانت عزيمته التى لا تقهر، وقوته التى لا تتزعزع، عدته فى مكافحة صعاب الساعة. ولو اقتصر الأمر على التعاليم وأوضاع العقيدة الكهنوتية، لما أصبح هذا الرجل إحدى القوى المسيرة لشئون البشر فى تاريخ العالم. ويجب علينا أن نلاحظ بهذه المناسبة، إن عبادتنا للدول العظمى، وهى إحدى أهواء زماننا هذا، لا يمكن ان تعمينا عن البصر فى الحقيقة الاساسية التى تنحصر فى أن ثلاث دويلات ليس لها من المطامع والآمال الاستعمارية القليل أو الكثير — هولندا وسويسرا واسكوتلندا — هى التى أعتنقت مبدأ الحكم الذاتى الذى آذن بالزوال عند ماظهر المذهب البروتستانتى على مسرح العالم. وكانت جنيف الرائدة الاولى لهذه الدويلات الثلاث، اذ انجبت روسو وكالفن معاً.

هل المثل النافذ هو الحقيقة الزمنية

وقد حمل بيرك Burck حملة شعواء على روسو وعمله بقسوة لا تقل فى وحشيتها عن تنديده بشارل الثانى فى نفس الصحيفة من كتابه. واظهر ارتياحه اذلم ينل روسو فى هذه البلاد ذاك الحب والتقدير اللذين كانا من نصيبه فى كافة بلاد القارة الاوروبية، واستمر بيرك (كما رآه الشاعر وردسوورث) يندد ويحقر ويسخر من كل الانظمة المؤسسة على الحق المعنوى المجرد، معلنا جلال الانظمة والقوانين التى قدسها كر الايام ومر العشى. وعلى حد قوله، بدأ يهدم الآراء المستحدثة، مرسلا عليها وابلا من الاحتقار والسخرية. بيد أن مين Maine وهو أرفع عضو فى الهيئة التى تناصر نظرية بيرك فى انجلترا يرى أن روسو مع جهله وقلة فضائله وضعف خلقه، قد طبع شخصيته على

صحائف من التاريخ لاتبلى . وذلك بقوة خياله المتقد الحى ،وصادق حبه للانسانية ، مما يحدونا على الدوام ان نغتفر له الكثير من زلاته .

وقد أحسن « بتام » اذ قال إنه اذا أردت أن تكسب البشر الى جانبك فلا بد من أن تحملهم على الاعتقاد أنك تحبهم ، وان خير طريق لحلهم على محبتك أن تحبهم حقيقة وان انشودة قس « سافوى » التى بهرت مشاعر أوروبا وضربت بنغمة جديدة على أوتار الخيال ،قد انبعثت من نفس العقل والقلب اللذين صاغا القنابل السياسية التى خدمت اغراض روبسبير وفريق من الرجال هم خير منه وأعظم شأنا . وبذلك هبت عاصفة معركة عالمية جديدة لم تحمل فى جوهرها شررا جديدا ، اذ كانت تدور حول اعادة تعديل فى الانظمة الجديدة للتوافق بين المناسبات الجديدة من الافكار والآراء والانظمة القديمة المهد وأن أسماء هوبس وفلمر وسدنى وملتون وهارنجتون ، لكافية لان تعيد الى ذا كرياتنا المناقشات حول أصول القانون والحكومة ومبدأ (قانون الطبيعة هو قانون الانسان) وغير ذلك من الآراء السائدة فى اوروبا منذ قرن مضى . وان مؤرخ الفلسفة السياسية ليرجع بنا الى قرون قبل ذلك . فالتاريخ بتقاليده وعاداته وأساليبه والانظمة المقررة فى جانب ، وقانون الطبيعة وحقوق الانسان فى جانب آخر . وهذا الشقاق والنزاع لم يمتد الى السياسة لاغير ، بل تغلغل فى الفلسفة والفن والآداب والكنائس والتعليم . فى أوضاع وأشكال لاعداد لها ، لأنه لامرية فى أن الظواهر والمؤتمرات التى تنفذ الى بواطن السياسة ، يسرى نفاذها الى ماحولها

وهذه الظواهر تحمل طابع عصر من أجل عصور التاريخ ،التى هى بمثابة الدعائم التى يرتكز عليها أو النجوم التى بها نهتدى فى تعرفنا تاريخ العالم ودراسته بتعاقب الحقب والدهور

ولد الانسان حراً

تعرفون جملة روسو فى العقد الاجتماعى — تلك الجملة التى تسرى فى الجسم سريان الكهرباء — ولد الانسان حرا بيدأنه فى كل المواطن يرصف فى القيود والاغلال . وبينما يفرض الانسان أنه سيد الغير إذ به لايقل عنهم عبودية . ولا يجب أن نكلف أنفسنا مؤونة تحليل وصف الانسان بانه ولد حرا فى زماننا هذا الذى قررت فيه الوراثة بين قوانين الوجود الحيوانى . إذ أن هذه الفكرة ترجع إلى زمن أقدم من عصر

روسو وأثرت فى عقول وكتابات مفكرين سيفوقهم أحرى منه بالاعتبار والتقدير . والأقرب الى الصواب فيما يتعلق بالاوربى المتمدين فى زماننا الحاضر على الاقل ، أن نقول إن الانسان ولد وله من العمر ألفان من السنين وهذا هو معنى التاريخ عند الانسان العادى ، إذا كان عنده من الوقت والصبر ما يحملانه على التفكير أبعد من الساعة التى هو فيها وهنا يجول فى خاطرنا رأى جدير بالاعتبار ونحن فى معرض الكلام عن الحرية ، وهو ان روسو أكد أن واجب كل انسان هو ان يعاهد نفسه على الاعتقاد فى وجود ذات آلهية قادرة على كل شىء رحيمة بالبشر ، وحياة أخرى حيث الابرار فى نعيم والاشرار فى بؤس مقيم . عقيدة تخرج عن دائرة المعتقدات الدينية إلى نطاق عواطف الألفة بين البشر ، بحيث إذا انحرف عنها كان جزاؤه النفى أو الاعدام . وقد فصلت المقصلة رؤوس أصحاب المبدأ العقلى فعلا سنة ١٧٩٤ طبق مبادىء روسو بالحرف الواحد دون مواربة كما هلل سرفتوس وسط النيران التى أضرمها كالفين وطارت رأس سرتوماس مور بأمر هنرى الثامن

ولا بد من التعقيب على قول روسو المأثور بقول لا يقل عنه جرأة فى التعبير ، بل يفوقه صدقا فى القول ، وهو أن الانسان ولد غير متسامح وقد يبدو لنا أن التسامح عند العقل العام هو آخر الآراء حقاً

حظ البذر والتربة التى يبذر فيها

من السهل لدى الناقد البصير فى زماننا هذا أن يصوب على كتاب كالعقد الاجتماعى وابلا من المنطق والنظريات والمقارنات ودروس التاريخ ، كما كان من السهل عند الدكتور جونسون أن ينتقص من قدر مرثية جراى — بيد أن هذه القصيدة ظلت متعة خالدة وسلوى لقلب المتعب . فقد تناول كتاب روسو بالنقد التحليلى القيم المستفيض ، أكثر من عالم من جهابذة الفلسفة السياسية والقانونية فى زماننا هذا (١) بيد أن الذى يعنينا أكثر من المنطق أو الجدل الكلامى إنما هو التاريخ ـ علاقات الحاضر بالماضى والسوابق المهمة ، والقوى الخارجية ، والحوادث وتسلسل الحوادث الى نتائجها النهائية . وما أكثر ما ينبعث سوء التقدير عند السياسى ، كضيق الافق والخطل فى الرأى عند المؤرخ سواء بسواء ، من اهمال الحقيقة المقحمة بأصالة الرأى

---

(١) كالفيلسوف الدكتور بوزانكويت فى كتابه النظرية الفلسفية للدولة سنة ١٨٩٩

و نور البصيرة القائلة بان العواطف والظروف التي تسير الرأى وتسبقه ابعد غورا واعمق اثرا من آراء البشر نفسها . ومما يهمنا الوقوف عليه فيما يختص بعصرنا بل وكل عصر ، ليس هو آراء العصر الخاصة ، بل العناصر المركبة من ذاك الشعور الخلقى والخلق نفسه ، تلك العناصر التي تنمو فيهما الآراء كما فى تربتها الملائمة (١) وهذه الكلمات مليئة بالقول الحق وسامى الادراك ، مما هو خليق بكل باحث فى تاريخ البشر ان يتدبرها .

ان قوة اى كتاب سياسى راجعة الى انطباقه على الظروف والمناسبات كلما برزت هذه على مسرح الزمن . وفى احدى روايات دزرائيلى السياسية يصيح احد اشخاصه قائلا ما أغرب الحوادث فاصغرها اكبر شأنا من اسمى الخيالات واوسعها نطاقا : ومهما يبعد هذا القول عن الفلسفة المادية ، الا ان فى جوفه حقائق ناضجة للنقاد . فالمحصول يتوقف على التربة بقدر ماهو راجع الى البذر . فليست الاهمية كل الاهمية فى قوة الدليل المنوى والاستنتاج ، بل فى الحقيقة الراهنة (وضعها وليد الصدفة) وهى ان هذا الدليل يمدنا باسلحة منتجة هى مثال الاصحاب وقوة التأثير

وهى تستخدم الهجوم او الدفاع المتواصل أو تعطينا طائفة من القواعد والسنن تتطلبها حاجة الساعة او الهدى الذى يملى هذه الحاجة . وقد شبهت الكتب والآراء والمعتقدات بالزهور فى الحديقة فليس خير الادلة وأقواها هو الذى يسود دائما ويتغلب . فان البستانى الذى يلهم الصواب فى اختيار فصل الزرع هو الذى يفوز بالجائزة . وما اكثر الوقت الذى يصرفه الكتاب (حتى خيارهم) فى سك حملة لن يكون نصيبها التداول . وفى سيرنا من القبة الضخمة التى تحوى الكتب المطبوعة فى دار المتحف البريطانى الى آثار الموتى فى قسم آخر ، تنتابنا الفكرة احيانا : وهو ان ليس هناك كبير فرق بين الكتب التى هزت العالم وقتا ما ، وبين جثث ملوك مصر المحنطة .

الحادثة هى التى تعلق آخر الأمر

لم ينل اى كتاب حظ الانتشار والنفوذ السريع مثل كتاب شاتوبريان « روح المسيحية » (١٨٠٢) فحتى هؤلاء الذين يرجون بآثره يعدونه من سقط المتاع اذا قيس بمعيار قوة : الجدل والمناقشة . وقد اسر صديق للمؤلف ان وصفا مزوقا من

(١) مقالات مارك باتيسون

رحلاته الواسعة وعبارة خلابة وفكرة مصقولة ، تجذب اليه قراء اكثر عددا ، مما لوحوى كتابه كل علوم البدكتيين. فاستمع لنصحه، واذا بالمعلومات التاريخية فى كتابه ليست اكثر قيمة من الطلاء الخارجى .

وأن الفرنسيين الذين يفكرون جديا فى روح المسيحية يجدون بغيتهم فى بعض مواعظ «بوسويه» و بعض صفحات من بسكال وسان أوغسطين أكثر من كل ماخطه يراع شاتوبريان وعبقريته .بيد انه حدث أن عقد بونابرت اتفاقية (كونكوردا) مع البابا بيوس العاشر ولعب دوره بأبهة وفخامة فى كنيسة نوتردام معلنا ارتباط الدين بالدولة وعقد صلح اميان مع انجلترا . وكانت كل هذه العوامل بشائر صفو فى سماء السياسة الملبدة بالعواصف والغيوم وبسم الزمان لمصائر الناس المعتمة . ولم يكن كتاب اسعد منه حظا أو أكثر توفيقا ساعة تأليفه . غير أنه لم يستطع أن يعمر أو يمتد نفوذه طويلا. وكما هى الحال فى الكتب ، كذلك شأن المبادىء فيقتطف الناس افرادا وجماعات من القواعد والمبادىء ومايترتب عليها من النتائج البسيطة بقدر الحاجة وبقدر مايلزم لاغراضهم ، وأن الحدود الممكنة للاستنتاج المنطقى لتتسع أو تضيق أو تنتقل ظهريا بقدر ماتمليه الضرورة الماسة. وخير المقدمات والنتائج المنطقية تكتسح أمام الابراق المعلنة لدعاوى الامن العام والنظام الاجتماعى وغيرها من الاسماء المتسلحة لحكم الارهاب

الوثائق الثلاث الهامة فى التاريخ

وقد ميز قاض أمريكى الوثائق الثلاث الهامة فى تاريخ البشرية وهى الوصايا العشر والموعظة على الجبل واعلان استقلال أمريكا .

وربما لم يكن قصد القائل تقرير حقيقة بقدر ايراد عبارة مأثورة . إلا أن جبل طورسيناء وجبل الجليل وميدان دار الدولة فى فيلادلفيا على كل حال مراكز بارزة فى سير الانسانية . ومما يجب ادراك الضياء الذى صحب انبثاق الكلمات المفعمة بالآمال والآراء البراقة والمواعظ الحارة وقوانين الاصلاح على طوائف انهكتها المظالم غارقة فى لجج الهموم والمخاوف ألهبتها عواطف الهوى الدينى والجنسى والحرية وآمال التملك. وهذه هى الميادين الخالدة لصراع البشر . وليس هناك أسهل من تبيان المغالطات فى إعلان حرية أمريكا .وقصارى القول كما قرر مؤرخ أمريكى بحق هو أن هذا الاعلان كان منبعثا عن الروح الصادقة للبلاد فى ذاك الوقت. إلا أن السليقة السياسية السليمة

أوحت الى توماس بين Thomas Paine رسالة هي أبعد الرسائل السياسية أثراً و اسماها « الحس العادى » وجهها الى مواطنيه الانجليز ، من طراز مستعمرى أمريكا فكانت قذيفة قوية سلطت على سير الآراء الثورية

وحى الساعة

إن الخلاف على خير أساليب الحكم وميزان الانظمة فى الدولة ، حتى حول الحقوق الطبيعية ، مسائل قديمة نسبيا . ومن طبيعة الانسان ميله الى استيحاء هذه المبادىء المنقذة حسب ما تتطلبه الساعة و القضايا . الحلقية تشتعل و يضطرم أوارها كما لو كان ذلك الامر صدفة فتلهب عواطف الجماعة ، وقد انقضى سبع وثمانين سنة قبلما أمكن رئيس مشرب بمبادىء أسمى من مبادىء « جفرسن » من حمل مواطنيه على اعتناق عقيدته : وهى إن لم تكن سياسة الاسترقاق خاطئة ، فليس على وجه الارض شىء خاطىء . ولذا فليست الكتب النظرية هي التي تروج فى الازمنة العصيبة على جانبي المحيط الاطلسى .

ومن ذا الذى يهتم الآن بنقد كلمات خطاب جتسبرج الشهير عن امة ولدت فى مهد الحرية وكرست نفسها لفكرة ان كل البشر خلقوا متساوين . بيد ان أقدر الاقلام وافصح الالسن كما قال « بيرك » لم تتناول ببيانها السياسة النظرية ولم توجه أقوى النفوس جهودها وعملت وجاهدت وعانت ماعانته ، بل انها لم تجد بجولاتها الصادقة الا فى مسألة الضرائب دون غيرها . وقد بذلوا الجهد الجهيد لوضع المبدأ الآتى كقاعدة اساسية . وهو انه فى كل الحكومات الملكية يجب ان يملك الشعب ، بالوساطة أو مباشرة ، حق التصرف فى أمواله ، والا لم يبق للحرية من ظل او أثر (١) وليس لذلك معنى ان الضرائب و الرسوم هى كل شىء ، او ان تحصل الضرائب شر اعدائنا و ان اقوى مثال لذلك هو بيرك نفسه . فبعد كتاباته الباهرة عن النزاع مع المستعمرات الامريكيه (وهى احق ما كتب فى الحكمة السياسية فى آدابنا) عصفت العاصفة التى ساعد انتصار المستعمرات على هبوبها بعنف وشدة ، على فرنسا الملكية . وقد تنبأ لذلك بيرك بحدس صادق وحس لم يخطىء ، ووصف باسهاب الدمار الذى سوف يحل بالبلاد وأصبح موضع نجوى مهاجرى الاشراف من الفرنسيين الذى هبطوا على نهر الرين ، ومهبط وحى كتاب الرسائل الجدلية السياسية « كجنتز » الذى خدم « مترنيخ » أو قاده فى مؤتمر فينا . وما ألهب كتابات بيرك فى ـــ افكاره ـــ والصلح القاتل للملوك ـــ لم تكن الضرائب

(١) خطابة بيرك فى موضوع التصالح ١٧٧٥

الجحفه ، بل انقلاب التقاليد التاريخية العليا المألوفة . وقد وجدت كل قوى اوروبا الرجعية اللسان الذى يعبر عنها . فى حين انه فى البحث عن السبب والنتيجة ، يجب ان لانخلط بين الصوت والقوة الناتجة عنه ، فوصف « لامارتين » للجيروندان ، قبل سنة ١٨٤٨ ، ووصف «تيارس» لحالة الامبراطورية الاولى قبيل انشاء الثانية ، وتصوير مسز «ستو» للرقيق وحالة الارقاء ، عامة هذه كتب مزجت الاسلوب والطريقة العقلية بالعاطفة والهوى ، وقلبت العاطفة الملهبة الى صراخ وضجيج . فى حين ان كلا منها كان لها أثرها العملى .

بقاء الاصلح

ان من السهولة بمكان لدى أقل النقاد السياسيين تعمقا فى البحث ، ان يدرك من حالة العالم كما هى الآن كيف انه من السهل (لابل من المحتم) ان تتولد نتائج سياسية هائلة من كتب وابحاث يظهر أن لاعلاقة البتة بينها وبين السياسة . ومن ذا الذى يستطيع قياس أثر «داروين» وكل ما كتب عن مذهب بقاء الاصلح فى سياسة العصر . وليس ذلك فى السياسة العملية وحدها بل أثرها الخاص فى توجيه آراء مدارس التاريخ النشيطة ذات النفوذ العظيم . وليست خاطرة عارضة هى التى تجمع بين «دارون» ونفوذ بسمارك كعاملين توأمين فى تغيير مزاج الجماعات من القرن التاسع عشر للقرن العشرين . ولا يجب أن يغيب عن بالنا إن هذا التحول العارض على مسرح الدول والحكومات من عصر فضى إلى عصر برونزى ، قد اقترن بانتشار شعور انسانى أعمق وأبعد أثرا نحو الاطفال والحيوان والمصابين بأمراض قاسية والمسجونين والعبيد الذين يرسفون فى اغلال الرق فى مجاهل أفريقية . وكل من هو بحاجة إلى الشفقة والنجدة والمساعدة يحفزها إلى العمل شعور قلب الانسانية المشترك . ولم يقتصر الامر على الدم والحديد . ولم تقف قسوة المنطق السياسى أو الاجتماعى وشدة وطأتها دون حد أو تحفظ . فما أعقد العروة الوثقى وأخفاها وأدقها ، تلك التى تربط أفكار البشر ومشاعرهم خفية وسرا

الحياة كصدفة سعيدة

وكما هو الحال فى الكتب كذلك شأن مشاهير الممثلين على المسرح التاريخى . ولما رجع فكتور هوجو من منفاه منذ أربعين سنة ونيف مضت ، لم يتمالك بعض ذوى المقدرة والادراك الذين لم يعجبوا كثيرا بالرجل ولا بفنه ، من الشعور والاعتراف

بأن الرجل الذى تحوطه هالة من حماسة ثلاثة أجيال، لابد من أن تكون توافرت فيه صفات جديرة بالتكريم والسمو، وإن ذلك الرجل الذى يعرف كيف يوقظ فى البشر اسمى المشاعر ويحرك فيها أنبل الدوافع، مهما كانت صفاته الأخرى، لجدير بنا أن نكرمه. فهو الموقد الذى فيه تضرم نار الحية فى روح الشعب وتظل حية متقدة، وان امتزاج هـذه المصالح السامية لجدير بعناية الناقد أكثر من محتويات كتابه. فخمار هوجو راجع إلى مافيه من السياسى بقدر مافيه من الشاعر. وهذا سر شهرته الواسعة التى لا تقارن الا بفولتير. ففى كلتا الحالتين كان القلم سيفا

ما يرمز إليه البطل

وقد قيل لأحد كبار الساسة الانجليز فى وقتنا الحاضر لقد كانت حياتك وأعمالك متجهة إلى بقاء روح البلادجية. وهذا يعدل كل شىء آخر فى السياسى. وإذا طرحنا الشخصية جانبا أو أقللنا من أهميتها أصبح تاريخ التقدم الاجتماعى شيئاً أجوفاً لا معنى له. ولقد تجت عبقرية أوجست كونت قائمة من أسماء أبطال العالم والمحسنين إلى الانسانية أملتها الروح العقلية والتى قال فيها أشهر معارضى نظام كونت البنائى أن ليس هناك مفكر أوسع إدراكا وأشمل عطفا وتقديراً وتبجيلا لكل ضرب من ضروب الخدمات التى اسديت للبشرية(١) وان سجلا لعظماء لايحوى أسماء لوثر ولا كالفن ولا نابليون، لمدعاة للتساؤل وطلب الايضاح بيد أن تقديره الخاص كان مبنيا على الخدمات الحقيقية الايجابية التى أسداها أبطاله لصالح المجتمع الانسانى

وهناك صلة منشؤها العمل والمكان تربط أبطاله بعضهم ببعض. وهذا يخالف كل المخالفة عبادة الأبطال ذوى الأعمال الرنانة. ويختلف من جهة أخرى عن التعلق باسم معظم من معلى الانسانية أو الموحين اليها الذى هو من أجمل الصفات جمعاء فى خلق البشر. فاختر أبطالك كما تشاء فى أى ميدان من ميادين الفكر أو العمل سواء أكان من بين خمسمائة أو خمسة فقط. فأول سؤال، أو بمعنى آخر آخر سؤال، يحدد هذا الاختيار، هو ما يرمز إليه بطلك.

وفى الواقع ليس هناك ما يعود بالضرر القاتل كتحويل التاريخ إلى عبادة تشبه عبادة الأصنام. فعبادة الابطال التى روجتها عبقرية كارليل الشاردة الشاذة بين جيلنا الحاضر بسهولة تخطت حدود المعقول فى التاريخ والسياسة، لتفسد على المرء

(١) وهذه القائمة منسقة تنسيقا بديعا فى كتاب فردريك هاريسون — السجل الجديد لعظماء الرجال — تاريخ حياة ٥٥٨ عظيما فى كل عصر وأمة وفق مبادىء المذهب الايجابى

دائرة تصوره . بيد أنه لا مراء فى أن وحدة الآراء والمصالح عند الرجل العظيم ذى الرأى السامى ، القادر على عظام الأعمال ، لما يؤثر فى تصورنا تأثيراً يقرب من افتتاننا بتناسق وجمال أعظم مبتكرات الفن الخلاقة — من القطع التمثيلية الخالدة إلى الملاحم الفخمة وقطع الموسيقى الجامعة لمختلف الأصوات والأنغام (السيمفونى) وبدائع النقش . على أن معايير الفن أدلاء غير صالحين فى اختيار أبطال السياسة . وقد قال أحد العارفين عن نابوليون أنه كان كله خيال فى خيال . فقد خلق إسبانيا خيالية وانجلترا خيالية وكتلك خيالية ونظام مالى خيالى وفرنسا خيالية . وعقبه كارليل الذى خلق نابوليون خيالى كى نعبده عبادة الأبطال .

التحول بالصدفة فى التاريخ

يجدر بنا أن ندرك أن قانون « التحول بالصدفة » الذى يجد التفكير فيه تفسيراً لتولد أنواع جديدة ، قد يصدق خارج دائرة علم الحياة . فالرجل المبرز فى اليوم العصيب يظهر كأنه آخر حلقة فى سلسلة المصادفات ، بكل مافيه من مهارة ومواهب وعبقرية وإرادة وبصيرة قادرة على خلق الطوارىء والسيطرة عليها أو إحداث الانقلابات فى نظم الحياة ووسائلها . وقد قال اسكندر الأول امبراطور روسيا لمدام « دى ستايل » فى آخر الأمر « ما أنا إلا صدفة سعيدة » والتاريخ الحربى حافل بمئات الحالات الدالة على التحول العجيب فى الحظ والفرص والرياح والأجواء مما لم يتوقع حدوثه أو كان من المحال توقيعه . وقد كان أكبر القواد أول المؤمنين بالحظ الأعمى الذى يسيطر على لعبتهم الهائلة ، والأخطار التي تنتاب الرجال حين يلعبون بقطع النرد الحديدية فى لعبة الحرب القاتلة . فسواء أكان عظماء الرجال أول الحلقات فى سلسلة المصادفات أم آخرها — ساسة كانوا أو قادة حروب أو مفكرين أو مخترعين — فالمحرك المسير يظهر كأنه وليد الصدفة البحتة ، كالنجم المذنب أو الشهاب . لا كالنجم الثابت — وهذه الصدفة ناشئة عن اقتران شخصية خاصة بالفرصة الملائمة .

واذا كان لأى انسان أن ينفر من فكرة ان مجرى التاريخ مما يمكن تحويله بصدفة من مصادفات الزمن ، فيجدر بنا أن نذكر أن رجال الكنيسة المتمسكين بمبادئهم ومفكرى الساسة ، مافتئوا يسهبون فى بيان الخفاء الذى لا يمكن ان تشق حجابه ، والذى يحيط

باصل الجماعات البشرية وسيرها وعللها والانظمة الحاكمة عند الانسان . وحينما قال قيصر روسيا عن نفسه أنه صدفة بحتة ، لم يعن بذلك أكثر من أنه شيء خفي وقوة لا سبيل الى تفهم منبعها . وكيف لنا أن نبهت ويستولى العجب على مشاعرنا عند التفكير فى الصدفة وأثرها فى شئون الحكم أكثر من الدهشة من ظهور جبابرة العبقرية فى عالم الموسيقى كباخ وبيتهوفن ، او تألق العقول النيرة فى ميدان الفن أو العلم أو الابتكار كنيوتن وواط وغيرهم .

المنهج التاريخى

وقد قيل بحق عن المنهج التاريخى فى البحث أن من بين آثاره الواسعة الرجوع بعنصر المصادفة الفردية الى حجمه الصحيح وأهميته الحقة ، فهو يعتبر الخلق القومى والظروف القومية كالقوى الخالقة مما يجب اعتبارها كذلك حقا وعدلا . ويقول أحد رجال القانون متهكما إنه خيرا للانسان أن تثبت عليه تهمة سرقة شيء تافه ، من أن تنقصه طريقة التفكير على المنهج التاريخى

إن المنهج التاريخى ساد فى ميدان البحث والحكم على المسائل الاجتماعية . وهو يحذرنا اننا لا يمكننا أن نفسر العوامل والظروف التى تناولها جميعاً بالبحث دون الرجوع الى منشئها واعتبار الوجهة البيولوجية فيها ويستعيض عن الآراء الجامدة المشتقة من المعنويات البحتة بالبحث عن شيئين: أولهما إيجاد العلاقة بين الحقائق الهامة والاراء الاجتماعية التى تسود فى طائفة أو جماعة معينة فى وقت معين : وثانيهما تطور نظام عن نظام آخر فى المعتقدات العامة والاذواق والعادات وانتشار الثروة وسريان القوانين بين الجماعات وكل فنون الحياة . وما هذا القول الا توسعا فى الحقيقة المعروفة وهى أن القوانين والانظمة ليست وليدة الصنع ، بل نتيجة النمو ، وما يسرى عليها بحق ينطبق كذلك على الآراء واللغة والعادات التى هى منبعها ومحكها . ومن السهل أن نسوق القول بان سيادة المنهج التاريخى لها مضارها فدراسة المعتقدات والانظمة والقوانين وأساليب الفن والمراحل المتعاقبة التى تمر فيها ، تنمو وسرعان ما تصبح بديلا عن النقد المباشر الموجه لها حسب طبيعتها وميزاتها والبحث عن حقيقة حادثة من الحوادث التاريخية واهميتها وتفسيرها ، ولو أنه يجب أن يعتبر أمراً حيويا لاغنى عنه يصبح شيئاً ثانويا بالنسبة للبحث عن كيفية وقوعها . ولذلك فهناك أكثر من مدرسة واحدة

تعتبر المنهج التاريخي مغالى فيه . يقولون بحق ان فى هذه الطريقة فى جوهرها تؤول الى رفض كل ما هو مجرد واحلال كل ما هو نسبي بتواصل واستمرار . وهذه الطريقة لاتنطبق على قواعد الخلق ، شأن كل أداة علمية وشأن الطبيعة نفسها على حد معنى من المعانى فهي دامية السن والمخلب ، لا تعنى الا ببقاء الأقوى وليس التاريخ المقارن بأسمى ضميراً من التشريح المقارن . فنحن نرتب المثل العليا فى جداول حسب نوعها وطبيعتها بيد أنها فى هذه العملية تفقد النور الحيوى الذى تنبعث منه والهالة المقدسة التى تحيط بها . وحتى كبار الرجال تسفر التجربة عن انهم خياليون فى ميدان السياسة . كهؤلاء الذين يسيرون فى نومهم ، وان الأقوال التى تساق جزافا ، كحقائق السياسة الخالدة ، وأولى الحكم وما اليها ، لاقوال جوفاء لامعنى لها . وقصارى القول أن التاريخ تحول دائم وصيرورة متواصلة وتعاقب لانهاية له فى الفعل ورد الفعل والاحياء والتدمير والتجديد أو كما قال شكسبير ، قصة صخب وغضب لاطائل تحتها ، وكما قال هيرقليطس فى قديم الزمان ـ كل شيء فى تحول ولا يسبح انسان مرتين فى مجرى واحد . فالمياه فى تجدد وجريان دائم ، على أن القول بأن التجارب والاختبارات النسبية مفاتيح بمعرفة التاريخ معرفة حقة وتقدير المشتغلين على مسرحه تقديراً صائبا ، لأحدى المعتقدات التى ليس من المحتمل أن تفقد قوتها ومبلغ تأثيرها .

السياسة مصر

وليست هذه فرصة البحث ، بل نتساءل هل هناك علم للسياسة ؟ فقد كفانى السير بولوك فى كتابه البديع « تاريخ علم السياسة » مؤونة البحث فى ذلك وهل هناك اتصال حقيقى بين الجسم السياسى وبين الجسم الطبيعى ؟ وهل سيحدث تقريب مابين الطرق والعمليات السياسية وبين الطرق والنهج فى علم الحياة ؟ فقد يستخدم السياسى عبارات البيولوجى ويتكلم فى الأجنة والجراثيم والأجسام الحية ، فى حين أن الحق كل الحق فى جانب هؤلاء الذين يؤكدون أننا لم نصل إلى مايقرب من التكوين الصحيح لعلم السياسة مبنى على القواعد الاستقرائية . وليس ذلك بسبب يمنع السياسى من الاستنتاج الصحيح وفق الاسلوب العقلى أو يمنع المؤرخ من البحث وارتياد مناطق العلم المجهول بالهمة المنظمة وسلامة الضمير والصراحة والحرص على الحقيقة ، تلك الصفات التى كانت رائد داروين وابطال العلوم الطبيعية

وأن العلوم السياسية ليتناولها نفس الضعف الذى إذ أصيب به علم الاقتصاد السياسى فى مستهل القرن التاسع عشر . إذ كان الجو الخاص بها قد استشف استشفافا غريبا . والرجل السياسى النظرى تلابسه نفس الصفة المصطنعة كالتى تحيط بالانسان النظرى كما يتصوره الاقتصادى . وقد تصور المفكرون الفرنسيون فى أيام فولتير وجود هذا الانسان

فى الصين أو الفرس أو أية بلد من البلاد المختارة التى لم يدروا عنها شيئا فى الواقع أكثر من درايتهم بكندا حين وصفوا الحرب بين انجلترا وفرنسا بالسخف والسخرية كنزاع على آلاف من الاميال المربعة من الثلوج الدائمة . وقد زادت معارفنا الآن . غير أن معايير الدافع الانسانى مازالت تطبق بطريق التعسف على كل ماهو مستبعد فى الزمان والمكان فالقيمة الاخلاقية ليس لها من الاعتبار أكثر من ضروب الزينة وما زالت شئون الانسان محصورة فى وصف الآلة السياسية وسيرها دون اعتبار كافة أنواع الوقود الاجتماعى الذى تتوقف عليه قوة السير والدفع والتغير فى نمو الافكار الجديدة ونفاذ النظم السياسية وقوتها فى التعبير عن الآراء الحديثة . كل ذلك يعتبر أمراً ثانويا أو يهمل شأنه كلية . فطرق البحث التى اختطها الاستاذ ديسى فى كتابه عن العلاقة بين القانون والرأى فى القرن الثامن عشر ، تستحق أن نحذو حذوها . اذ أن ذلك من المحتوم . ومتى تصورنا العلم بهذا الشكل تحقق لنا أن قيمة الاوضاع السياسية يجب أن تقاس بما تأتى به لنـــا ، اذ يجب أن تعبر عن أغراض دولة ما أيا كانت وتلائم فكرتها الحية وذلك بأوسع المعانى . وآمل أن ليس فى ذلك ما يعد جحوداً لفضل طائفة من الكتاب فى هذا البلد عن تملأ مؤلفاتهم خيراً فيا فى أية مكتبة فى هذا الميدان الهام : ومن بينهم جرين وبولوك ودايسى وهو بهاوس وبوزانكويت وولس . ولا يحسبن أحد أن التفسير والبحث فى الدولة وتشعب علاقتها بالفرد ليسا بالشيء المادى أو مما لا طائل تحته

فن المعتبر أن محاولات فريق من قادة الرأى الفرنسيين فى تصوير وتقديم نظريات الالمان الخاصة بالدولة فى لباس فرنسى هى السبب المباشر فى نشأة السنديكالزم (١) وانتشارها فى فرنسا

السياسة والقانون

والسياسة بالمعنى الذى صورتها فيه تختلف عن القانون فى أن الاخير يميل الى وضع الافكار فى قالب خاص وروضها على التقيد بأوضاع محدودة . بينما علم السياسة متى تناولناه وفق المنهج الصحيح دائب على تغيير شكل هذه الاوضاع وتوسيع مداها وفحص السبل التى بها تلائم هذه الاوضاع الحقائق الجارية بيننا . ولذا فهو أوسع من القانون مدى ، اذ يمكننا القول بأن عمله يبدأ حيث ينتهى القانون وهو بدوره أضيق فى اتساعه عن علم الاجتماع اذ يبدأ بافتراض وجود الدولة بكل ما يتبعها من حقوق وسلطات وواجبات .

يتبع

---

١ مذهب تجميع العمال المنظم فى نقابات ونحوها .

مشروع اتفاق

بين مصر وانجلترا

المسألة المصرية بين الوطنية والسياسة

تتخلص المسألة المصرية فى مسألة اساسية تتفرع الى مسألتين . أما المسألة الاساسية فحق مصر فى الاستقلال التام والتمتع بكل ما تنص عليه الحقوق والاتفاقات الدولية التى قررتها الحوادث الاجتماعية منذ بداءة القرن التاسع عشر الى الآن . أما المسألتان الفرعيتان فاعتباريتان . المسألة الأولى اعتبار قضية مصر قضية وطنية صرفة . وهنا نقرر أن بقاء عسكرى بريطانى واحد على أرض مصر ، سواء أأخذ وجوده صبغة الاحتلال ، أم صبغة المحافظة على مصالح بريطانيا العظمى ، انتقاص من سيادتنا القومية . والمسألة الثانية اعتبار قضية مصر قضية سياسية تاريخية . وهنا نقرر أن الاتفاق الأخير الذى وصل اليه صاحب الدولة محمد محمود باشا على وزارة العمال افضل اتفاق يحفظ مصالح الطرفين المتخاصمين من ناحية سياسية ، وان كان لا يخلو من نصوص تنقص سيادتنا القومية بعض الشىء . فالاتفاق اكثر من استقلال داخلى واقل من استقلال تام . وعلى كل حال ففى المشروع لذا قبل من الطرفين متسع للتعديل بما يضمن لمصر عصرا طويلا من السلام والتفرغ للاصلاح الداخلى . وهنا ننشر نص المشروع لنعود اليه بكلمة مفصلة فى عدد آخر

***

نصوص مشروع الاتفاق

كتاب من سعادة وزير الخارجية البريطانية

لحضرة صاحب الدولة محمد محمود باشا رئيس مجلس الوزراء

وزارة الخارجية فى ٣ أغسطس سنة ١٩٢٩

حضرة صاحب الدولة

إن الاقتراحات المرفقة بهذا والمذكرات الايضاحية التى سيتم تبادلها بشأن

التفاصيل التى ستعرضونها دولتكم على البرلمان المصرى هى أقصى ما أستطيع أن أشير على حكومة جلالته ببريطانيا العظمى المتحدة وشمالى أرلندا أن تذهب اليه فى رغبتها فى انجاز تسوية دائمة وشريفة للمسائل المعلقة بين بريطانيا العظمى ومصر . وان من أقصى أمانى حكومة جلالته أن يفحص المصريون المخلصون لوطنهم — بغير تمييز بين أحزابهم — هذه الاقتراحات بروح الصداقة والمسالمة اللتين امتازت بهما محادثاتنا الأخيرة فيجدوا فيها أساساً مرضياً للعلاقات المستقبلة بين دولتينا . فاذا كان هذا حكم البرلمان المصرى الجديد فان حكومة جلالته ستقوم من جانبها فى الحال بعرض الاقتراحات على البرلمان بقصد ابرام معاهدة شاملة لها والتصديق عليها

ولى الشرف أن اكون مع اسمى الاحترام خادم دولتكم المطيع

(الامضاء) آرثر هندرسون

المذكرة المصرية

المفوضية المصرية بلندن فى ٣ أغسطس سنة ١٩٢٩

ياصاحب السعادة

أتشرف بأن أبلغ سعادتكم أنى تسلمت رسالتكم إلى اليوم والتى تتضمن الاقتراحات والمذكرات الايضاحية التى سيتم تبادلها بشأن التفاصيل التى كانت موضوع البحث بيننا بقصد الوصول إلى تسوية دائمة وشريفة للمسائل المعلقة بين مصر و بريطانيا العظمى

انى أدرك أن هذه الاقتراحات تمثل أقصى حد يمكنكم أن تشيروا على حكومة جلالته البريطانية بأن تصل اليه . وانى مستعد من جهتى أن أعرضها على الشعب والبرلمان المصرى واثقاً تمام الثقة بأن قبولها هو فى مصلحة بلادى . وانى أشاطر حكومة جلالته البريطانية الرجاء بأن هذه الاقتراحات سيفحصها جميع المصريين المخلصين لوطنهم بدون تمييز بين الأحزاب و بروح الصداقة والمسالمة التى سادت بحثنا فيجدون فيها أساساً مرضياً للعلاقات المستقبلة بين شعبينا

فبهذه الروح وبهذا الأمل أحيل تلك الاقتراحات إلى الشعب المصرى

(الامضاء) محمد محمود

اقتراحات لتسوية العلاقات الانجليزية المصرية

١ — ينتهى احتلال مصر عسكرياً بجيوش جلالة ملك بريطانيا العظمى

٢ — تعقد محالفة بين الدولتين المتعاقدتين توطيداً لصداقتهما والتفاهم الودى وحسن العلاقات بينهما

٣ — إن مصر رغبة منها فى أن تصبح عضوا بجمعية الأمم ستقدم طلباً للانضمام إلى تلك الجمعية طبقاً للشروط التى تنص عليها المادة الأولى من عهد الجمعية وتتعهد حكومة جلالته البريطانية بتأيد هذا الطلب

٤ — إذا قام أى نزاع مع دولة ثالثة نشأت عنه حالة تنذر بخطر قطع العلاقات مع تلك الدولة فان الفريقين المتعاقدين يعملان معا بقصد تسوية ذلك النزاع بالوسائل السلمية طبقاً لنصوص عهد جمعية الأمم ونصوص أى تعهد دولى يمكن تطبيقه على تلك الحالة

٥ — يتعهد كل من الفريقين المتعاقدين أن لا يقف فى البلاد الاجنبية موقفاً لا يتفق مع هذه المحالفة أو يثير صعاباً للفريق الآخر . وعملاً بهذا التعهد لا يقاوم أحدهما سياسة الآخر فى البلاد الأجنبية ولا يعقد مع دولة ثالثة أى اتفاق سياسى قد يكون مجحفاً بمصالح الآخر

٦ — تعترف حكومة جلالته البريطانية بأن تبعة المحافظة على أرواح الأجانب فى مصر وأملاكهم تقع من الآن فصاعدا على عاتق الحكومة المصرية . ويتكفل جلالة ملك مصر تنفيذ تعهداته فى هذا الشأن

٧ — اذا اشتبك احد الفريقين المتعاقدين فى حرب رغم نص الفقرة ٤ الواردة آنفا فان الفريق الآخر يبادر إلى معونته مع مراعاة نص الفقرة ١٤ التى ستذكر فيما بعد وذلك بصفته حليفا . وبوجه خاص فانه فى حالة وقوع حرب او خطر وقوع حرب يقدم جلالة ملك مصر الى جلالته البريطانية فى الاراضى المصرية جميع التسهيلات والمساعدات التي فى وسعه ومن ذلك استخدام موانئه ومطاراته ووسائل مواصلاته

٨ — نظرا الى الرغبة فى توحيد نظام التعليم والاساليب فى الجيشين المصرى والبريطانى يتعهد جلالة ملك مصر بانه اذا رأى من الضرورى الالتجاء الى مدربين عسكريين اجانب فانهم يختارون من الرعايا البريطانيين

٩ — تسهيلا وضمانا لمحافظة جلالته البريطانية على قناة السويس بصفتها طريقا ضروريا للمواصلات بين اجزاء الامبراطورية المختلفة يجيز جلالة ملك مصر لجلالته البريطانية أن يستبقى على الاراضى المصرية وفى مواقع يتفق عليها فيما بعد شرقى الدرجة ٣٢ من خطوط الطول . القوات التى يراها جلالته البريطانية لازمة لهذا الغرض . ووجود هذه القوات لايعتبر احتلالا بأية حال من الاحوال ولايمس حقوق سيادة مصر

١٠ — نظراً إلى الصداقة بين الدولتين وإلى المحالفة المرجو عقدها بهذه الاقتراحات فان الحكومة المصرية عند احتياجها لخدمات موظفين اجانب تستخدم رعايا بريطانيين كقاعدة عامة

١١ — يعترف جلالة ملك مصر بريطانيا العظمى بان نظام الامتيازات القائم فى مصر الآن لايلائم روح العصر ولاحالة مصر الحاضرة . وعليه فان جلالته البريطانية يتعهد ببذل كل ماله من نفوذ لدى الدول ذوات الامتيازات فى مصر لنقل اختصاص المحاكم القنصلية الحالى الى المحاكم المختلطة وتطبيق التشريع المصرى على الاجانب بشروط تضمن مصالحهم المشروعة

١٢ — نظرا إلى الصداقة بين الفريقين المتعاقدين والى المحالفة المراد عقدها بموجب الاقتراحات الحاضرة يمثل جلالة ملك بريطانيا العظمى لدى بلاط جلالة ملك مصر سفير يعتمد بالطرق المرعية . ويحفظ جلالة ملك مصر اسمى مركز سياسى فى بلاطه لممثل جلالته البريطانية

ويمثل جلالة ملك مصر سفير لدى بلاط سانت جيمس

١٣ — مع الاحتفاظ بحرية عقد اتفاقات جديدة فى المستقبل تعديلا لاتفاق سنة ١٨٩٩ يتفق الفريقان المتعاقدان على أن تكون حالة السودان هى الحالة المترتبة على الاتفاق المذكور وعلى ذلك يواصل الحاكم استعمال السلطة المخولة له بموجب الاتفاق المذكور بالنيابة عن الفريقين المتعاقدين

١٤ — لايقصد بهذه الاقتراحات ولا يمكن أن ينبنى عليها الاخلال بالحقوق والالتزامات المترتبة أو التى يمكن أن تترتب لأحد الطرفين المتعاقدين أو عليه بمقتضى عهد جمعية الامم أو ميثاق نبذ الحرب الموقع عليه فى باريس فى ٢٧ اغسطس سنة ٩٢٨

١٥ — يتفق الفريقان المتعاقدان على أن أى خلاف ينشأ بينهما بصدد تطبيق نصوص هذه الاقتراحات أو تفسيرها مما لا يتسنى لهما تسويته بالمفاوضات مباشرة يعالج بمقتضى نصوص عهد جمعية الامم

١٦ — فى اى وقت بعد انقضاء خمس وعشرين سنة من نفاذ معاهدة تبنى على الاقتراحات المار ذكرها ، يجوز اجراء أى تعديل فى شروطها يرى من الملائم عمله وفقا للظروف القائمة وقتئذ وذلك بالاتفاق بين الفريقين المتعاقدين

الجيش — المذكرة البريطانية

حضرة صاحب الدولة

فى خلال محادثاتنا الاخيرة نشأت بعض مسائل عسكرية وتم النظر فيها باتم العناية. وتنقسم هذه المسائل بطبيعتها الى قسمين .

أولهما — مايتعلق بقوات الجيش المصرى التى قد يمكن ان تدعى لمعاونة القوات البريطانية المحالفة معاونة فعلية فيما لو نشأت لسوء الحظ احوال من التى اشير اليها فى الجملة الاولى من الفقرة السابعة من الاقتراحات

وثانيهما — المسائل الخاصة بالقوات البريطانية التى سيكون مقامها بجوار قناة السويس طبقا للفقرة (٩) لضمان الدفاع عن ذلك الشريان الحيوى من طرق المواصلات البريطانية الامبراطورية

فاما فيما يتعلق بالقسم الاول فقد اتفقنا على ما يأتى :—

١ — ينتهى النظام الحالى الذى يقوم بموجبه المفتش العام واركان حربه بتأدية بعض الوظائف

ويسحب الموظفون البريطانيون من الجيش المصرى

٢ — على ان الحكومة المصرية ترغب وفقا للفقرة الثامنة من الاقتراحات فى الانتفاع بمشورة بعثة عسكرية بريطانية، وحكومة جلالة ملك المملكة المتحدة وشمالى ارلندا تتعهد بتقديم بعثة كهذه

وترسل الحكومة المصرية موظفى الجيش المصرى لتدريبهم فى بريطانيا العظمى فقط . وتتعهد حكومة جلالته من جانبها بقبول جميع الموظفين الذين تريد الحكومة المصرية ارسالهم الى بريطانيا العظمى لهذا الغرض

٣ ــ لمصلحة التعاون الوثيق المشار اليه آنفا يجب ان لايختلف نوع الاسلحة والمهمات فى الجيش المصرى

وتتعهد حكومة جلالته بالتوسط لتسهيل الحصول على تلك الاسلحة والمهمات من بريطانيا العظمى كلما ارادت الحكومة المصرية ذلك

اما فيما يتعلق بالقوات البريطانية المشار اليها فى الفقرة (٩) من الاقتراحات

١ ــ فان الحكومة المصرية تقدم مجاناً لحكومة جلالته الاراضى والثكنات الخ .. فى الاماكن التى يتفق عليها وتكون معادلة لما تشغله القوات البريطانية فى مصر فى الوقت الحاضر

وعند اكمال المحال الجديدة تنقل تلك القوات اليها وتسلم الاراضى والثكنات بعد اخلائها الى الحكومة المصرية

ونظرا الى العقبات الفنية التى تعترض اجراء النقل تدريجيا فانه ينتظر اكمال المحال الجديدة ثم يؤخذ فى النقل .

ونظرا لطبيعة المنطقة الواقعة شرق درجة ٣٢ من خطوط الطول فتتخذ التدابير لتقديم وسائل الراحة المعقولة بزراعة اشجار وحدائق الخ . للجنود ومدهم ايضا بمورد للماء العذب يكون كافيا فى الاحوال الطارئة

٢ ــ تستمر الامتيازات التى تتمتع بها الجيوش البريطانية فى مصر فى المسائل القضائية والمالية ويجوز تعديل ذلك فى المستقبل بالاتفاق بين الحكومتين .

٣ ــ تمنع الحكومة المصرية مرور الطيارات فوق الاراضى الواقعة على كلتا ضفتى قناة السويس الى مدى عشرين كيلو مترا منها الا فى حالة الاتفاق بين الحكومتين على عكس ذلك .

على ان هذا المنع لايتناول قوات الحكومتين او الخطوط التى تقوم بتسييرها هيئات بريطانية حقيقية أو مصرية حقيقية تعمل تحت سلطة من الحكومة المصرية

وقد اتفقنا ايضا على ان تقدم الحكومة المصرية جميع التسهيلات اللازمة للطيارات الحربية البريطانية وموظفيها ومهماتها المتجهة الى المطارات الموضوعة تحت تصرف القوات البريطانية طبقا للفقرة (٩) من الاقتراحات او القادمة من تلك المطارات .

وتقدم حكومة جلالته التسهيلات الملائمة للطيارات الحربية المصرية وموظفيها ومهماتها فى الاراضى الواقعة تحت مراقبتها .

المذكرة المصرية

ياصاحب السعادة

اتشرف بابلاغكم وصول مذكرتكم بتاريخ هذا اليوم الخاصة ببعض مشاغل حربية وبان أقرر لكم انها تمثل بالدقة الاتفاق الذى انتهينا اليه .

المستشاران ـ المذكرة المصرية

ياصاحب السعادة

تعلمون سعادتكم ان الحكومة المصرية قد أخذت على عاتقها القيام ببرنامج واسع النطاق للاصلاحات الداخلية . وانى ادرك ان هذا العمل سيكون ابعد غورا واكثر صعوبة بسبب التعديلات المهمة التى ستدخل على نظام الامتيازات كما ترمى اليه الاقتراحات . وارى ضمانا لانجاز هذا البرنامج الاصلاحى على وجه يدعو الى الارتياح . ان الحاجة ستدعو الى الحصول على افضل مشورة ممكنة . فانتهز هذه الفرصة لابلغ سعادتكم ان فى نية الحكومة المصرية ان تحتفظ بخدمة بريطانيين فى منصبى مستشار مالى للحكومة المصرية ومستشار قضائى لوزارة الحقانية وذلك مدى المدة اللازمة لاكمال الاصلاحات المشار اليها .أما اللذان سيشغلان هذين المنصبين فى المستقبل فستختارهما الحكومة المصرية بالاتفاق مع حكومة جلالته البريطانية بالمملكة المتحدة ويعينان كموظفين مصريين من قبل الحكومة المصرية .

المذكرة البريطانية

ياصاحب الدولة

اتشرف بابلاغ دولتكم وصول مذكرتكم بتاريخ هذا اليوم الخاصة بمنصبى المستشار المالى للحكومة المصرية والمستشار القضائى لوزارة الحقانية وقد علمت مع الارتياح ماذكرتموه دولتكم عن مقاصد الحكومة المصرية .

البوليس ـ المذكرة المصرية

ياصاحب السعادة

انتهز هذه الفرصة لابلغ سعادتكم ان الحكومة المصرية تنوى الغاء الادارة الاوربية بادارة الامن العام ، ولكن عملا بالتعهد الذى تنطوى عليه الفقرة ٦ من الاقتراحات ، ستحتفظ الحكومة المصرية ، لمدة خمس سنوات على الاقل من بدء تنفيذ المعاهدة المبنية على الاقتراحات ، بعنصر أوربى ببوليس المدن يبقى طوال تلك المدة تحت قيادة ضباط بريطانيين .

فاذا رغبت الحكومة المصرية فى المستقبل فى اعادة تنظيم قوة البوليس فيسرنى أن أعلم هل تستطيع أن تعتمد على مساعدة حكومة جلالته البريطانية فى هذه المهمة

المذكرة البريطانية

ياصاحب الدولة

إن حكومة جلالته البريطانية بالمملكة المتحدة قد علمت مع الارتياح أنه عملا بالتعهد الذى تنطوى عليه الفقرة ٦ من الاقتراحات ستحتفظ الحكومة المصرية بعد الغاء الادارة الاوربية بادارة الامن العام ، لمدة خمس سنوات على الاقل من بدء تنفيذ المعاهدة المبنية على الاقتراحات ، بعنصر أوروبى ببوليس المدن يبقى طوال تلك المدة تحت قيادة ضباط بريطانيين .

فاذا رغبت الحكومة فى المستقبل فى اعادة تنظيم قوة البوليس فيها فان حكومة جلالته البريطانية تكون سعيدة بأن تعيرها أفرادا خبيرين أو بعثة من البوليس كما فعلت مع بلاد أخرى رغبت فى اعادة تنظيم قوات بوليسها

الامتيازات ـــ المذكرة البريطانية

ياصاحب الدولة

جاء فى الفقرة (١١) من الاقتراحات ما يأتى : « يعترف جلالة ملك بريطانيا العظمى بأن نظام الامتيازات القائم فى مصر الآن لا يلائم روح العصر ولا حالة مصر الحاضرة وعليه فان جلالته البريطانية يتعهد ببذل كل ماله من نفوذ لدى الدول ذوات الامتيازات

فى مصر لنقل اختصاص المحاكم القنصلية الحالى الى المحاكم المختلطة وتطبيق التشريع المصرى على الاجانب بشروط تضمن مصالحهم المشروعة »

ومن المفيد أن ابين لدولتكم الخطة التى أرى من الممكن أن يجرى عليها اصلاح نظام الامتيازات اذ ساكون مستعدا لتأيد مساعي الحكومة المصرية لعقد اتفاقات مع الدول على أساس هذه الخطة متى بدىء بتنفيذ المعاهدة المبنية على هذه الاقتراحات

فى سنة ١٩٢٠ بينما كانت المفاوضات دائرة بين الحكومتين البريطانية والمصرية كان يرجى وضع التدابير لتلغى الدول الاجنبيه محاكمها القنصلية فى مصر. وعليه تم اعداد مشروعات قوانين فى تلك السنة لتوسيع اختصاص المحاكم المختلطة بحيث يشمل الاختصاص الحالى للمحاكم القنصلية

وساكون مستعدا للاتفاق على اعتبار مشروعات تلك القوانين أساساً لاصلاح نظام الامتيازات اذا رضيت الدول الاجنبية بنقل اختصاص المحاكم القنصلية الى المحاكم المختلطة .

أما فيما يتعلق بالتفاصيل فلا شك أن الحاجة ستدعو الى تغييرات كثيرة وهذه يجب أن يبحث فيها الخبراء

على أن هنالك بعض تعديلات اعتقد أنها ستكون ضرورية على أى حال . وأنا أرغب أن انتهز هذه الفرصة لأذكرها لدولتكم

وقد يصعب على بعض الدول أن ترضى بنقل جميع قضايا رعاياها الخاصة بالاحوال الشخصية الى المحاكم المختلطة فنقلها فى هذه الحالة يجب أن يكون اختياريا . والاختصاص فى هذه الامور يجب أن يظل للسلطات القنصلية إلا اذا تم الاتفاق بين الحكومة المصرية والحكومة الاجنبية ذات الشأن على نقل ذلك الاختصاص الى المحاكم المختلطة

وانى أتوقع الاتفاق على أن تخول المحاكم المختلطة الاختصاص فى هذه الشؤون فيما يتعلق بالرعايا البريطانيين

وفى حالة العفو أو التخفيف من عقوبات صادرة على الاجانب وفى حالة تنفيذ حكم الاعدام فيهم فان وزير الحقانية يستشير المستشار القضائى مادام هذا الموظف باقيا وذلك قبل تقديم مشورته الى الملك

إنى أعترف بأن الاحوال التي تطبق فيها الامتيازات فى الوقت الحاضر فيما يتعلق

سلطة الحكومة المصرية فى سن قوانين تسرى على الاجانب أو فرض ضرائب عليهم تتفق مع الاحوال الحاضرة

وسأكون مستعدا للاتفاق على ان تقوم الجمعية العمومية للمحاكم المختلطة فى المستقبل ابداء كل موافقة لازمة لتطبيق التشريع المصرى ، ومن ضمنه التشريع المالى ، على الاجانب الا فى حالة التشريع الخاص بتشكيل المحاكم المختلطة وتحديد اختصاصها فانه لا ينفذ الا بموافقة الدول عليه .

ويكون على الجمعية العمومية للمحاكم المختلطة ان تتثبت من ان التشريع المشار اليه لا يناقض المبادىء التى يجرى العمل بموجبها عادة فى التشريع الحديث الذى يسرى على الاجانب وانه فيما يتعلق بوجه خاص بأى تشريع ذى صفة مالية لا يوجد تمييزا غير عادل ضد الاجانب بما فيهم الشركات الاجنبية .

وان توسيع اختصاص المحاكم المختلطة الجنائى يستلزم اعداد وتنفيذ قانون جديد لتحقيق الجنايات . وفى مشروعات القوانين التى اعدت فى سنة ١٩٢٠ بعض نصوص مهمة خاصة بقانون تحقيق الجنايات (انظر المواد ١-٢٧ من القانون نمرة الصادر فى ١٨ ابريل سنة ١٩٢٠) ولا شك ان دولتكم توافقونى على ان قانون العقوبات الجديد يجب ألا يحيد عن المبادىء المقررة بتلك المواد .

وهنالك بضع مسائل لابد فيها من الوصول الى الاتفاق بين الحكومة المصرية وحكومة جلالته البريطانية بالمملكة المتحدة ، على انى لا اعتقد ان من اللازم عمل اى شىء فى الوقت الحاضر اكثر من مجرد ذكر هذه المسائل .

فاما الاولى فهى تعريف كلمة « اجنبى » فيما يتعلق بالتوسيع المقترح لاختصاص المحاكم المختلطة

انى افهم من كلام دولتكم ان القوانين التى تطبقها المحاكم الاهلية بمصر فى الوقت الحاضر تجعل جميع الاشخاص المقيمين بمصر خاضعين للمحاكم الاهلية ما عدا أولئك الذين يخرجون من اختصاصها اما بحكم قانون او عرف او معاهدة

فانا اقبل هذا المبدأ بشرط ان يكون مفهوما ان جميع الاجانب الذين كانوا يتمتعون بنظام الامتيازات فيما مضى يصبحون خاضعين لاختصاص المحاكم المختلطة بقطع النظر عن تغييرات السيادة القومية التى طرأت بعد حرب سنة ١٩١٤ — ١٩١٨

واما الثانية فهى زيادة موظفى المحاكم المختلطة زيادة يستلزمها توسيع اختصاصها واختصاص وظيفة النائب العمومى الجديدة للمحاكم المختلطة والموظفين الذين ستدعو الحاجة اليهم لتمكينه من القيام بتلك الواجبات على وجه يدعو الى الارتياح

ويؤخذ رأى المستشار القضائى — ما دام باقيا — بشأن تعيين القضاة الاجانب فى المحاكم المختلطة وتعيين رجال النيابة الاجانب ان كان .

المذكرة المصرية

يا صاحب السعادة

لى الشرف ان ابلغكم انى تسلمت مذكرتكم بتاريخ هذا اليوم وفيها تخبرونى بالخطة التى تعتقد حكومة جلالته بالمملكة المتحدة انه يمكن بموجبها اصلاح نظام الامتيازات وتلفتون نظرى الى بعض الاعتبارات الخاصة التى تعلقون عليها اهمية

ويسرنى ان اقول ان الاقتراحات الخاصة التى تشيرون اليها تتفق مع رغبات الحكومة المصرية التى هى ايضا على اتفاق مع حكومة جلالته البريطانية بوجه عام فيما يتعلق بالخطة التى يجب ان يسير عليها اصلاح نظام الامتيازات

اما فيما يتعلق بتعريف كلمة « اجنبى » فانى الاحظ انه وان تكن الحكومة المصرية لاتمانع فى ان يسرى قضاء المحاكم المختلطة المدنى والجنائى على الاجانب الذين كانوا يتمتعون بالامتيازات الاجنبية قبل الحرب سنة ١٩١٤ — ١٩١٨ فان الاجانب الذين ليست لهم هذه الامتيازات وما كانت لهم قط يجب بالطبع ان يكونوا خاضعين لقضاء المحاكم الاهلية

الموظفون الاجانب — المذكرة المصرية

ياصاحب السعادة

فى خلال محادثاتنا بشأن الفقرة (١٠) من الاقتراحات فهم ان حكومة جلالته البريطانية بالمملكة المتحدة وشمالى ارلندا لن تتشدد فى تفسير ضيق غير معقول لهذه الفقرة وانه ليس ثمة مايمس حرية الحكومة المصرية فى استخدام موظفين اجانب غير بريطانيين فى المناصب التى لايتوافر لها موظفون بريطانيون ملائمون

المذكرة البريطانية

ياصاحب الدولة

اتشرف بابلاغ دولتكم انى تسلمت مذكرتكم بتاريخ هذا اليوم الخاصة باستخدام موظفين اجانب وانى اثبت هنا الكلام الوارد هنالك من التفاهم الذى وصلنا اليه

الاقليات — المذكرة البريطانية

ياصاحب الدولة

اود ان اسجل انه لم نر من الضرورة ان نذكر فى الاقتراحات مسألة حماية الاقليات المشار اليها فى تصريح ٢٨ فبراير سنة ١٩٢٢ . وان المسلم به ان هذه المسألة ستكون فى المستقبل من اختصاص الحكومة المصرية وحدها

المذكرة المصرية

ياصاحب السعادة

لى الشرف ان احيطكم علما باستلام مذكرة سعادتكم بتاريخ هذا اليوم بشأن مسألة الاقليات

السودان — المذكرة البريطانية

ياصاحب الدولة

لما تباحثنا فى الفقرة ١٢ من الاقتراحات اتفقنا على ان تفحص مسألة الديون التى على السودان فى الوقت الحاضر بقصد تسويتها على اساس العدل والانصاف . واتفقنا أيضا على أن يبحث ممثل الخزينة البريطانية مع ممثل لوزارة المالية المصرية فى هذه المسألة حالما تنفذ المعاهدة التى تعقد على أساس الاقتراحات

المذكرة المصرية

ياصاحب السعادة

ردا على مذكرة سعادتكم بتاريخ هذا اليوم اتشرف باثبات اتفاقنا على أن مسألة الديون التى على السودان سيفحصها ممثلان عن الخزينة البريطانية ووزارة المالية المصرية بقصد تسويتها على اساس العدل والانصاف

المذكرة البريطانية

ياصاحب الدولة

من الملائم ان تسجل الاتفاق الذى قد انتهينا اليه بشأن الطرق التى بمقتضاها تجعل الاتفاقات الدولية منطبقة على السودان

والاتفاقات التى سيكون من المرغوب تطبيقها على السودان ستكون بالطبع ذات صبغة فنية أو انسانية . ففى الحالة التى يتم فيها امضاء اى اتفاق من هذا النوع من مصر وبريطانيا العظمى ويراد تطبيقه على السودان فان المندوبين البريطانى والمصرى يبديان معا فى الوقت الملائم تصريحا كتابيا فحواه ان توقيعهما المشترك بالنيابة عن مصر والمملكة المتحدة يقصد به ان يشمل السودان وانه (فى الحالة التى يجب فيها التصديق على الاتفاق) متى تم ايداع الوثيقة التى تتضمن هذا التصديق من جانب جلالة ملك مصر ومن جلالته البريطانية يصبح هذا الاتفاق ساريا على السودان طبقا لشروطه

فاذا لم يعمل مثل هذا التصريح فالاتفاق لا يصبح ساريا على السودان الا بطريقة الانضمام التى سيشار اليها فيما بعد

وفى الحالة التى يعمل فيها مثل هذا التصريح لا يذكر السودان ذكرا خاصا فى مستندات التصديق

وفى بعض الحالات التى ينص فيها الاتفاق على الانضمام اللاحق ويكون من الملائم ان يسرى الاتفاق على السودان بهذه الطريقة يتم الانضمام بوثيقة مشتركة يوقعها من مصر وبريطانيا العظمى مندوبان يعينان لهذا الغرض

اما طريقة ايداع وثيقة الانضمام فيتفق عليها فى كل حالة بين الحكومتين وفى هذه الاحوال لا يكون ثمة محل للتصديق

وفى المؤتمرات الدولية التى تجرى فيها المفاوضات بشأن امثال هذه الاتفاقات يظل المندوبان المصرى والبريطانى على اتصال اجل اى عمل يتفقان على انه من المرغوب فيه لمصلحة السودان

المذكرة المصرية

يا صاحب السعادة

اتشرف بابلاغ فخامتكم انى تسلمت مذكرتكم بتاريخ هذا اليوم بشأن طريق تطبيق الاتفاقات الدولية على السودان مما قد يرغب فى تطبيقه على تلك البلاد . وانى اؤيد ما جاء فيها بشأن التفاهم الذى انتهينا اليه

المذكرة البريطانية

يا صاحب الدولة

فى أثناء محادثاتنا الأخيرة اعربتم دولتكم عن الامل بانه عند تنفيذ المعاهدة تعاد الجنود المصرية الى السودان . فاذا نفذت المعاهدة بالروح الودية التى تفاوضنا بها فى الاقتراحات كما ترجو باخلاص حكومة جلالته البريطانية ببريطانيا العظمى وشمالى ارلندا فان الحكومة تكون مستعدة لان تفحص بروح العطف الاقتراح بشأن عودة اورطة مصرية الى السودان فى الوقت الذى تنسحب فيه القوات البريطانية من القاهرة

المذكرة المصرية

يا صاحب الدولة

اتشرف بابلاغ سعادتكم وصول مذكرتكم بتاريخ هذا اليوم الخاصة بعودة اورطة مصرية الى السودان وقد أخذت علما بموقف جلالته البريطانية فى هذا الشأن

(محمد محمود)

خطاب

حضرة صاحب الدولة محمد محمود باشا رئيس مجلس الوزراء

فى الاحتفال باستقبال دولته يوم السبت ٢٤ أغسطس سنة ١٩٢٩ بالاسكندرية

حضرات السادة

لا أستطيع أن أوفيكم حقكم من الشكر على ما كلفتم أنفسكم من مشقة لتحيتي، كذلك لا أستطيع أن أصف لكم حق الوصف ما يغمر نفسي من الغبطة والسرور لاجتماع كلمة أهل الرأى فى البلاد على الرضا بنتيجة مفاوضاتى مع الحكومة البريطانية

أما الشكر لكم فما أحب الى دينا أفتخر على وجه الزمان بالاقرار به، وأما السرور باتحاد الكلمة واتفاق الرأى فسأحاول أن أجعل نصيبكم ونصيبي فيه سواء بان أبسط لكم مجمل ما تحصل عليه البلاد بمشروع المعاهدة الذى سيعرض عليها ليكون لها فيه القول الفصل

ولقد تعلمون انى رجل لا يعدل عندى شيء مهما عز او غلا مصلحة البلاد ولا يشغله ما يلقى فى سبيل تلك المصلحة من عنت او تضحية وما يحتل عليه الناس من فخر أو مجد، عن العمل لتلك المصلحة فى هدوء وسكينة. لذلك لن يكون حديثي لكم حديثا عن شخصي او اعتدادا بعملي وانما هو حكاية حال عما كان ما ضينا وما هو حاضرنا وما نرجوه للمستقبل، فان صادف قولى رضاكم فذلكم عندى الجزاء خير الجزاء

ظلت هذه البلاد مدى اثنين وثلاثين عاما منذ بدأ الاحتلال البريطانى الى حين أعلنت الحماية البريطانية ليس لها كم يعرف ولا كيف يوصف من وجهة النظام الدولى فهى ولاية عثمانية تحتلها قوة عسكرية بريطانية تشرف على حكومتها، وتوجه مرافق الامة وحرياتها الى ما يراد بها لا الى ما تريده موظفون بريطانيون يتلقون الوحى من المعتمد البريطانى، حتى اذا كانت الحرب الكبرى ضربت عليها الحماية البريطانية وسفر ذلك النفوذ البريطانى الذى ظل طول الاحتلال مقنعا وان كان القناع لا يخفى ما وراءه وجعل يتغلغل فى نواحي الحياة المختلفة ويرمى الى أفناء الامة المصرية بان يجعل انظمتها

السياسية والادارية والقضائية حقا مشاعا بينها وبين ممثل النفوذ البريطانى والاجانب النازحين للبلاد ، نصيب الامة فيها هو النصيب المركوس

هبت البلاد هبتها المأثورة فاشهدت العالم على رشدها ويقظتها وعلى أنها لا تبغى بديلا من استقلالها وحريتها ، ولبثت بعد ذلك تجاهد وتصابر الحوادث وتعالج حل المشاكل ، فطورا تحس بالنتيجة دانية القطوف وطورا يجافيها الحظ وتعنتها الظروف وهى فى ذلك كله ترقب فجر الحرية بين أمل دافع وصبر حازم

توسط ذلك الجهاد تصريح ٢٨ فبراير سنة ١٩٢٢ خلص به للامة جانب كبير من حرياتها وان كان يظلل ذلك الجانب قدر غير هين من الابهام ويتهدده من وقت لآخر ما علق التصريح عليه من التحفظات وقد سبق هذا التصريح مفاوضتان ولحقته مفاوضتان ، أبلى فى اربعتها جميعا كبار رجال مصر أحسن البلاء ودافعوا عن حقوق البلاد خير دفاع ، ولكن هذه المحاولات حتى أخيرها لم تحقق للبلاد غايتها أو تغير من حالها على الوجه الذى ترجوه وتتمناه

فماذا اذن حالنا هو الذى نرجو له التغيير ، هو جيش الاحتلال رابضا فى عاصمة البلاد وثغورها يؤيد غير منازع ولا مدافع مركز الحكومة البريطانية فيما احتفظت لنفسها من مطلق التصرف فى الامور الاربعة المعلومة ، هو ذلك السلطان الخفى الظاهر الذى جعل الكثيرين يرون فى استقلال مصر الذى أعلن منذ سنة ١٩٢٢ وفى أى حالقة لاتذهب به ، اسما بغير مسمى وكلمة خلوا من المعنى هو فوق ذلك سلطان على الجيش المصرى لم تقو أزمة الجيش التى قامت فى سنة ١٩٢٧ ولا مفاوضات تلك السنة على دفعة أو زعزعة أساسه ، هو تدخل فى الادارة المصرية يتخذ صورة الادارة الاوروبية للأمن العام والبوليس فى المدن والمستشارين المالى والقضائى وموظفين كلما انتهت عقودهم تدخل المعتمد لتجديد عقودهم ، هذا الى شىء يسمى المحافظة على أرواح الاجانب وأموالهم

يسوغ فوق غل الامتيازات الثقيل مناقشة مصر الحساب عن كل دقيق وجليل فى أمور الحكم والادارة هو مركزنا فى السودان جعل يتضاءل حتى أصبحنا حكومة وشعبا فى حكم الغرباء عنه

على أنى لم أكن فى أى وقت من الاوقات التى حلت فيها مسئولية الحكم ولاحين

قصدت لوندرة هذا الصيف أنوى فتح باب المسألة المصرية . ليس ذلك تجافيا عنها أو تقصيرا فى شأنها أو تساهلا فى اعتبار أن تسوية مسألتنا مع بريطانيا العظمى هو المطمح الاسمى والغاية الاولى لكل من حمل قسطا من المسؤلية فى حكومة مصر وانما كان تقديراً منى أن الوقت ربما لم يكن قد حان لفتح ذلك الباب وأن تنفيذ الاصلاحات التى أخذتها وزارتى على نفسها خير استجمام لقوى مصر وافضل تمهيد لنجاحها فى أى مفاوضة عامة

ولما كان تنفيذ هذه الاصلاحات يقتضى الفكاك بأكبر قدر ممكن من أغلال الامتيازات الاجنبية كان همى فى زيارتى للوندرة قاصرا على السعى فى هذا السبيل ولكن الحديث انتقل من هذا الخصوص الى عموم المسألة المصرية . وتبينت من الظروف السياسية العامة ومن ميول الحكومة البريطانية . أنى بازاء أفضل فرصة وأبرك مناسبة لمعالجة التسوية العامة

ويقينى أنى أكون مقصرا فى حقوق بلادى مفرطا فى واجباتى كرئيس حكومة وكمصرى لو عرضت لى فرصة سانحة لتحقيق آمال البلاد فلم انتهزها . لذلك لم أتردد لحظة فى توجيه أحاديثى الى وضع أسس لتسوية الأمور الاربعة التى احتفظت بها الحكومة البريطانية ، وكان هذا الاساس عندى زوال الاحتلال وعقد محالفة بين البلدين تبنى على التكافؤ التام فى الحقوق والتكاليف . ذهبنا اذن نرتاد نواحى الخلف ونلتمس وجوه الحل حتى انتهينا الى المشروع الذى تشرفت باعلانه للبلاد بمجرد الفراغ من وضعه

ولقد أكون فى غنى عن شرح ذلك المشروع أو التعليق عليه اذ كان حلا بسيطا واضحا . ولكنى لا أستطيع أن أمسك نفسى عن التقدم اليكم ببيان استمده من تطور الاحاديث وتفاصيل المناقشات واختيار الالفاظ والصيغ أدلكم به على ما تصيبه الامة من المزايا وتجنيه من الفوائد بهذا المشروع

اقرأوا المشروع سطراً سطراً وكلمة كلمة وحرفا حرفا واقرأوا ناقدين غير متسامحين فلن تجدوا فيه مظهرا أو معنى أو أثراً ظاهرا أو خفيا للحماية . ذلك انه يرمى فى جملته وتفاصيله الى تحقيق معنى الاستقلال كما تفهمه كل أمة فى شؤونها الداخلية والخارجية وكما تفهمه الامم جميعاً فى الحياة الدولية . وإذا كان قد أمن الحكومة البريطانية على بعض مصالحها . فقد جاء ذلك التأمين بالقدر الذى لا يعطل الاستقلال أو يبطل له صورة أو معنى

كان بين الامتين المصرية والبريطانية حتى الآن نوع من سوء التفاهم استعصى على كل علاج ، ولكن المشروع الذي بين يديكم يجتث جذوره ويستأصل أساسه كان كل من الاثنين يظن بالآخر الظنون ويشك فى حسن نيته وصدق طويته فبريطانيا العظمى تبالغ لذلك فيا تطلبه لتأمينها على مصالحها ، ومصر ترى فى هذه المطالب وجوها مستترة لرغبة بريطانيا فى المحافظة على مركزها واستدامة نفوذها ولا تخشى أن تعلن حذرها واتهامها لنوايا بريطانيا والتعريض باغراضها الاستعمارية على وجه من الخصومة واللدد يترك فى نفس بريطانيا أن أول هم لمصر اذا ألقيت أمورها اليها أن تعمل على مناوأتها والكيد لها فيبعثها ذلك الى التشدد فى مطالبها كما يبعث ذلك التشدد مصر الى زيادة التظنن فى نوايا بريطانيا وهكذا دواليك حلقة مفرغة لا تعرف كيف تبدأ ولا أين تنتهى

مثل هذه العقدة وجدانية لا عقلية لا تعالج بالمنطق والدليل بعد الدليل وانما بالثقة والاطمئنان يحلان محل الشك وسوء الظن. ذلك ما وفقنا اليه وذلك ما ينطوى عليه المشروع . دعك من ألفاظ الصداقة وحسن التفاهم وصيغها التى تتخلل المشروع فمهما يكن لها من قيمة أو معنى قد تتهم بأنها ألفاظ وصيغ لا زيادة أنظر الى صميم الحلول وحقية المعانى لا يفسرها ولا يوضحها الا ان كلا من الطرفين يعالج ما يعرض له على أساس الثقة بالطرف الآخر : قد يظهر ذلك سهلا ولكن قد يكون أسهل الامور أصعبها فى السياسة بعد ديباجة صيغت من معنى التبادل التام فى الحقوق والتكاليف وبنيت على تقدير الوجود الدولى الكامل لمصر ، صدر المشروع باعلان زوال الاحتلال . ولست بحاجة للتنويه بفضل هذه النتيجة فهى البرزخ الفاصل بين هذا المشروع وكل ما تقدمه ، وهى الشارة القاطعة لان كل ما تناله مصر بهذه التسوية يكون امرا واقعا وحقيقة راهنة لا سبيل للتظنن فيه ولا وجه للخوف عليه من النقض أو الانتقاص . لن يتهم استقلال مصر بعد اليوم بانه ذر للرماد فى العيون أو أنه اسم بلا مسمى ، وانما تعمل الحكومة المصرية وتصرف شؤون البلاد بلا حسيب أو رقيب فى ضوء النهار وعلى هدى صدق النية وحسن التفاهم

هذه النتيجة ما زالت تنشدها البلاد متحدة الكلمة أو مفترقة الهوى وما فتئت تراها الحد بين الحق والباطل ومعيار الثقة الذى لا تزول عنه ولا أمان دونه . هذه

النتيجة التى ارتطمت بصخرتها كل مفاوضة سابقة وخاب من أجلها كل جهد وسعى. هذه النتيجة جعلت ركن هذا المشروع الركين وأساسه المتين

ولا يظنن أحد أن ثمت تعارضا بين زوال الاحتلال والاذن للحكومة البريطانية بالمرابطة فى منطقة القنال بقوات عسكرية لحماية المواصلات بذلك الطريق ، فقد انكر المشروع صفة الاحتلال على تلك القوات. وقديما جمع المشروع المقدم من جانب الوفد المصرى بين زوال الاحتلال وبين الاذن بمرابطة قوات فى منطقة القنال دون أن يرى فى ذلك تنافرا أو تعارضا . على أن المشروع الذى عرض على البلاد يجعل لانكار صفة الاحتلال على القوات البريطانية المرابطة فى منطقة القنال ضمانا جديدا ، فان كل خلاف فى هذا الشأن ككل خلاف فى أحكام كل المعاهدات الاخرى يحل بطريق التحكيم طبقا لميثاق جمعية الامم . وقد يبدو غريبا أن يرابط حليف فى أرض حليف بقوات عسكرية ولكن الغرابة ليست فى الحل الذى اتخذ بقدر ما هى فى الوضع الذى اتخذ الحل من أجله فان قناة السويس طريق مواصلات يتوقف على أمنه ميزان الحروب العالمية وبكل هذه الحروب ومفاجآتها تحيط بها مقدما الحيطة الشديدة والحذر البالغ خصوصا وان كثيرا من المسائل التى خلفتها الحرب العظمى لم تنته بعد الى قرار ولا تزال قوات مصر فتية لا يسهل أن يقتنع أحد بأنها تستطيع وحدها الاضطلاع بتلك المهمة الخطيرة مهمة الدفاع عن القنال ، لذلك لم يكن بد من قبول الاشتراك فى القيام بها ، وليس اشتراك جمعية الامم على فرض امكان تنظيمه بأفضل من اشتراك حليف او أقل مساسا بالسيادة المطلقة . وهو على أى حال دون اشتراك الحليف فى ضمان تحقيق النتيجة المطلوبة ولنذكر أيضا أن المشروع الحالى لا ينسخ اتفاق سنة ١٨٨٨ الخاص بحياد القنال ولا يخل بما فرضه ذلك الاتفاق على مصر من الواجبات ولنذكر فوق ذلك أن مصر يعنيها الدفاع عن قنال السويس لا باعتباره جزءا من أراضيها فحسب بل باعتباره طريقا للمواصلات العالمية فهى ستقوم بعد نفاذ المعاهدة بكل ما تستطيعه فى هذا السبيل ، ويقينى انه متى صح تنفيذ المعاهدة وتوثق ما بين مصر وبريطانيا من حسن التفاهم وصدق التعاون لا يمضى نصف مدة المعاهدة دون أن تطمئن بريطانيا الى قيام مصر وحدها وبقواتها الخاصة بواجب الدفاع عن القنال

لا يزول الاحتلال وحده بالمشروع بل يزول معه ذيله وهو سلطة الضباط

البريطانيين على الجيش المصرى ولا تختلطن هذه المسألة بما اتفق عليه فى المشروع من ايفاد بعثة عسكرية بريطانية لجعل التدريب العسكرى فى الجيش المصرى من نوع التدريب المتخذ فى الجيش البريطانى . فليست البعثة العسكرية صورة مستترة أو محددة لسلطة الضباط البريطانيين . اذ ليس لها أى سلطة تنفيذية كما أنه ليس لها صفة البقاء والدوام . وانما استقر الرأى على طلب بعثة بريطانية لسببين ،

الاول أن مصر حرصا على صفاء العلاقات بين البلدين وتجنب اثارة الشبه بلاجدوى ولافائدة ، تتعهد فى مشروع المعاهدة بأنه نظراً لاستحسان الوحدة فى التدريب بين الجيشين المصرى والبريطانى بسبب احتمال اشتراكهما فى العمل تنفيذاً للمحالفة التى ينشئها المشروع .تتعهد مصر بأنها اذا استخدمت مدربين أجانب يكون هؤلاء المدربون من الرعايا البريطانيين . والثانى أن الجيش المصرى بحاجة حقيقية الى بعثة لتعليمه وتدريبه فليس ايفاد بعثة بريطانية الى مصر فى ذاته فرضا على مصر

ولو لم يكن الجيش المصرى بحاجة الى بعثة لما كان هناك بعثة بريطانية ولن تكون هناك بعثة بريطانية حين تفرغ حاجة مصر اليها وليس شأن مصر فى هذا الصدد بمختلف عن شأن كثير من البلاد التى استقدمت اليها بعثات عسكرية أجنبية لتنظيم جيشها ولايسع أى انسان أن يعترض على الحل الذى اعتمده المشروع إلا أن يريد أن يستبدل بالبعثة البريطانية بعثة أجنبية أخرى ولمثل هذا نستطيع أن نقول أنه مهما يكن من شهرة بعض البلاد الاجنبية الاخرى بأنظمتها العسكرية فان من دواعى الفخر لمصر أن تتلقى دروسها فى هذه الانظمة من الجيش البريطانى الذى كان له أحسن البلاء فى الحرب الاخيرة وعندى فوق ذلك أنه يجدر بمصر ، ان لم يجب عليها أن تقدم هذا العربون من الثقة لحليفتها المستقبلة

لم يبق بعد هذين القيدين الظاهرين اللذين كانا يقيدان سيادة البلاد وحريتها فى تولى شئونها الا قيود صغرى ، ومع ذلك فان المشروع لم يهملها فقد تضمن الغاء الادارة الاوربية للامن العام ، كما أسقط وجوب أن يكون بالبوليس عنصر أجنبى وان كان قد رتب للامر الاخير فترة انتقال خمس سنين . ولست بحاجة لان أطيل فى أهمية زوال هذين القيدين فان الادارة الاوربية كانت ترمى بطبيعة الحال وبسبب

استحالة الفصل بين الامن العام للمصريين والامن العام للاجانب الى التدخل فى شئون الامن العام قاطبة كما أن فى دوام قيام الاجانب باعمال البوليس وصمة للمصرى لاتتسق مع مجموع الحريات التى يتمتع بها أو تتفق مع كفاءة الحكم التى أظهرها فى مختلف الادارات الحكومية

كذلك لم يعد بقاء المستشارين المالى والقضائى فرضا على مصر وانما استبقيا لان مصر بحاجة حقا الى خبيرين فيما تنويه من الاصلاحات المالية والقضائية الواسعة النطاق . كما أنها بحاجة عند اعداد مشروعات هذه الاصلاحات الى انتشار الثقة بأعمالها والاطمئنان الى نواياها . وليس ثمت سبيل أفضل لهذه الغاية من الاستعانة بخبيرين أجنبيين . ومن العبث ان يعدل عن خبيرين موثوق بكفاءتهما الى غيرهما خصوصا وأنهما لم يعودا موظفين سياسيين كما كانا بل أصبحا موظفين مصريين ، وأن فى اختيارهما من الرعايا البريطانيين لعربونا آخر على الثقة التى نريد توطيدها بيننا وبين الامة الحليفة وليس وجود المستشارين كما كان شأنه قيدا غير محدود لسيادة مصر فانه أصبح مرهونا بحاجة مصر الى مشورتهما وهى هى وحدها التى تقدر مقدار هذه الحاجة ومداها وقد أشير فى غير موضع من المعاهدة الى الصفة الوقتية لبقائهما كما رد الى مصر حقها الطبيعى فى اختيار أشخاصهما اذا دعت الحال الى تغيير المستشارين الحاليين خلافا لما كان جاريا من فرض المنصب وصاحبه على مصر

ثم الاجانب وحماية أرواحهم وأموالهم من جانب وامتيازاتهم من جانب آخر . وأما حماية الاجانب التى كانت بريطانيا العظمى أخذتها على عاتقها ، فان المشروع يرد الامر فيها الى نصابه الطبيعى وينقلها الى العاتق الوحيد الذى يصح أن يحتملها . عاتق الحكومة المصرية فلن تصبح هذه الحماية وسيلة أو تكئة للتدخل فى الشئون المصرية أو سبيلا للهيمنة والاشراف عليها بل تصبح كما هى فى البلاد الاخرى متعلقة بادارة الشئون العامة وجزءا مندمجا فيها غير منفصل عنها

أما الامتيازات الاجنبية فليس المشروع الحالى حلا نهائيا لها اذ أن ذلك متوقف على موافقة الدول الاجنبية الاخرى

على أنه لم يكن سبيل لتسوية كاملة بين بريطانيا العظمى ومصر دون أن تعرض هذه التسوية الى البحث فيما ترضاه تلك الدولة بديلا من الامتيازات الحالية التى أصبحت

غلا ثقيلا وقيدا شديداً لسلطة الحكومة المصرية . ولم يكن ليمكن أن يعرض المشروع لتفصيل التعديلات التي ترغب مصر في ادخالها على ذلك النظام نظراً لوجوب اتفاق الدول صاحبات الامتيازات عليها

لذلك أقتصر على المسائل الكلية . وقد يكفيني أن أشير الى النقطة الاساسية من ذلك الاتفاق وهو أن الحكومة البريطانية تقبل انتقال اختصاص المحاكم القنصلية الى المحاكم المختلطة وأنه فيما يتعلق بسريان التشريع على الاجانب ، ويدخل في ذلك الضرائب ، تقبل أن يحل محل موافقة الدول موافقة الجمعية العمومية للمحكمة المختلطة ، على أن هذه الموافقة لن تكون مشاركة في توجيه الامور العامة أو تدخلا في تكييف الاعمال التشريعية وتنظيم الضرائب ، وانما تنحصر مهمة تلك الجمعية العمومية في الاستيثاق من أن الاجانب لا يصيبهم بتلك التشريع حيف أو يعاملون بسببه على غير ما يعامل به الاجانب في البلاد الاخرى ومن حسن الحظ أن جمعية الامم تشتغل باعداد اتفاق دولى عام يرسم القواعد العامة لمعاملة الاجانب في الشؤون المختلفة . فتكون مهمة الجمعية العمومية بحسب المشروع الحالى النظر فيما يعرض عليها من التشريعات بمعيار تلك القواعد العامة .

لا أترك هذه النقطة من غير أن أعلن بلسان مصر الى الاجانب النازلين فيها أن مصر التي اكرمت ضيافتهم وأحسنت معاملتهم واعتدت بنشاطهم المالى والادبى الذين كان لها أثر يذكر في تقدمها ان مصر التي كان شأنها معهم كذلك في الماضي ستكون لهم من اليوم أكرم وطن لنازليه وسيعلم الاجانب بالعمل لا بالقول ان مصر المستقلة ستضاعف جهدها في حسن رعايتهم والقيام على مصالحهم وسيجدون ان هذه الرعاية التي قام شيء منها على الامتياز ستكون أشد وأعظم حين تقوم على أساس الصداقة وتبادل المنافع الحيوية .

لا تقصد مصر من فرض الضريبة على الأجانب أن تزيد بنصيبهم منها ما في خزائنها من الاموال انما هي تريد من فرض الضرائب أمرا أجل وأعلى من الشأن المالى هو تثبيت سيادتها في أرضها . وسيرى الاجانب أن المصريين على اختلاف نزعاتهم أهل لتنفيذ هذا العهد الذى تجدده لهم في كل فرصة وأنهم يعلمون حق العلم أن منفعتهم ومنفعة النزلاء الاجانب في بلادهم شيء واحد هذا كررته كل الحكومات المختلفة التي تداولت

السلطة فى مصر ولا شك أن تنفيذه فى المستقبل سيكون أكد أثرا من تنفيذه فى الماضى

على أن حديثى وإن طال عليكم لم يستقص كل مزايا المشروع فهو لم يحص الا مزاياه السلبية أى ما كان منها إسقاطاً لقيد كما هو الحال فى الاحتلال وسلطة الضباط البريطانيين فى الجيش المصرى والادارة الاوربية والبوليس والمستشارين وحماية الأجانب أو تخفيفا لقيد كما هو الشأن فى الامتيازات الاجنبية ولكن له مزايا إيجابية أولها المحالفة بين مصر وبريطانيا وهى عهد سلام وميثاق صداقة أوثق أنه سيكون سابغ الخيرات موفور البركات فهى لمصر عزة جانب ونصر مبين وهى للبلدين امان من غوائل المنازعات والاعتداءات والمطامع وقد انعقد الاجماع فى البلاد منذ نهضتها الاخيرة على أن المحالفة خير حل للمسألة المصرية وانما اختلفت الآراء بشأن بعض آثار المحالفة خشية أن تتجاوز معنى المحالفة إلى الحماية أو مايشبهها، على أنه اتفق المشروع الحالى بمنجاة من كل اعتراض فهى محالفة الحر للحر بنيت على تبادل الحقوق والتكاليف وحصرت آثارها فيما يلزم عن كل محالفة ويجرى معها عادة وعرفا فكلا الطرفين يتعهد بأن يعين الآخر فى حالة الحرب والا يتخذ خطة تنافى المحالفة أو تثير للطرف الآخر صعوبات والا يعقد اتفاقات سياسية تضر بمصالحه ، وكلا الطرفين يتعهد بأن يبادل الرأى مع الطرف الآخر قبل قطع العلاقات مع دولة أخرى سعيا فى تسوية النزاع بالطرق السلمية وكلا الطرفين يمثل فى بلاد الطرف الآخر بسفير ويضاف إلى هذه آثار الاذن للقوات البريطانية بأن ترابط فى منطقة القنال وأنه إذا تهددت انجلترا حرب تمدها مصر بالتسهيلات والمساعدات فى الاراضى المصرية من قبيل استعمال الموانى وطرق المواصلات ولا يرجع هذان الاثران إلى علو احد الطرفين عن الآخر أو تسلطه عليه أو حمايته له وانما يرجعان إلى اختلاف الأوضاع الجغرافية بين البلدين كما تقدم الكلام . كذلك يضاف اليهما تعهد مصر بأن تخص ممثل حليفتها بأعلى المراتب السياسية وهى مرتبة السفير وأن تؤثر على وجه العموم الرعايا البريطانيين عند استخدام الأجانب وليس بين الأثرين الأخيرين وبين السيادة أى تنافر عملى وهما أدخل فى باب المجاملة والكرامة التى تستحق لحليف عظيم فى حلفه القوة وعزة الجانب

ومن المزايا الايجابية للمعاهدة أن تتعهد بريطانيا العظمى بتعضيد طلب مصر الانضمام الى جمعية الامم ، وقد ظلت مصر تحدث نفسها بهذه الامنية طول هذه

السنين الأخيرة وبحول دون سهولة البحث فى طلبها ما احتفظت به انجلترا من المسائل الاربعة وما أعلنته للدول ولسكرتارية عصبة الامم من وجوه التحذير المختلفة : فالآن وقد حلت هذه المسائل تستطيع مصر أن تسعى لتحقيق تلك الامنية وأن تطلب الدخول مختارة لا مسخرة كريمة عالية الرأس وأن تتبوأ مقعدها بين الامم .

ومنها ما تم عليه الاتفاق بشأن السودان ، ولقد تعلمون ما آل اليه مركز مصر فى السودان بعد الحوادث المعلومة وكيف أصبح أثراً بعد عين فلا جيش ولا موظفون بل ان المصريين يعاملون فى السودان كالغرباء غير المرغوب فيهم ويضيق عليهم فى غدوهم ورواحهم وفى استقرارهم وتملكهم الى غير ذلك من وجوه التضييق ، وحكومة السودان تسلك فى كثير من الامور كما لو لم يكن للحكومة المصرية شأن بها : فالآن وحتى تعدل اتفاقات سنة ١٨٩٩ طبقاً لما احتفظت به مصر فى المشروع الحالى تؤيد تلك الاتفاقات وتنفذ على وجهها الصحيح فيقدر لجانب من الجيش أن يعود ويقدر للمصريين ألا يكونوا دون البريطانيين فى المعاملة وتستعيد الحكومة المصرية حقوقها فى غير ما فوضت فيه الحاكم العام من الشؤون وعلى هذا الوجه تستعيد مصر فعلا مركزها قبل الحوادث المعلومة بل تحصل فعلا على خير منه دون أن تفقد حقها فى المناقشة فى مسألة السودان عندما ترى الفرصة ملائمة لذلك .

وأخيراً توجت كل هذه المزايا سلبية وإيجابية بأن وضعت أحكام المشروع كافة سواء فى تنفيذها أو فى تأويلها فى ذمة التحكيم وضمانته طبقاً لميثاق جمعية الامم .

وعلى ذكر هذا المشروع ومزاياه أحب أن أنوه بفضل عالمنا القانونى صاحب السعادة عبد الحميد بدوى باشا الذى كان له الفضل فى المعاونة الصادقة الوافية فى وضع المشروع بجملته وعلى الخصوص فى مسائل الامتيازات المتشعبة الأطراف ومعالجتها على الوجه الأتم وأحكام الصيغ النهائية للمشروع على وجه حقيق بالثناء عليه والاعجاب بذكائه النادر وعلمه الجم .

هذه جملة القول فى المشروع المعروض على البلاد ولا يشك أحد فى أنه لم يبلغ مبلغه فى تحقيق الآمال المصرية أية وثيقة أخرى على أنى لا أدعى لنفسى فضلا فى ذلك فهو ثمرة جهاد النهضة المصرية دفعت ضحايانا وشهداؤنا بدمائهم وأرواحهم ثمنه .

معجلا وتعاونت الامة قاطبة فى اخراجه للوجود نبتا قويا وثمرا سويا للصغير قسط والكبير قسطه كل منهم بقدره

ايها السادة

تخللت سني نهضتنا الاخيرة مشاقات ومشادات بين اجزاء الامة لم تخل من الحدة بل بلغت التقاطع والتناكر كان مدارها أصلا وفرعا وجملة وتفصيلا على طريقة وقواعد تسوية المسألة المصرية مع بريطانيا العظمى . وهاهو يعرض على البلاد اليوم مشروع لتلك التسوية يمثل أقصى الجهود والممكنات ويحقق ما اجتمعت عليه كلمة الامة المتحدة او مفترقة بل يحقق بفضل تطور الزمن استقلال البلاد والعزة القومية من بعض الوجوه على صورة أكمل مما اتجهت اليه الآراء فى بدء النهضة

فالمشروع إيذان بزوال الانقسامات الماضية التى لم يعد لها أساس أو وجه أو محل ، والمشروع لواء تتضام حوله الصفوف وتتراص القلوب حتى تعود وحدة الأمة رائعة كما تجلت أول مرة . ولقد أحسن الظن فى هذه الاوبة الرهيبة من حياة امتنا العزيزة فازعم ان ماتخلل خلافاتنا وانقساماتنا من الاقوال والافعال جزء من بناء نهضتنا لافائدة الآن من البحث فيه أحقا كان أم باطلا وصوابا كان ام خطأ اذ كان البناء كله قد أنتج هذا المشروع الذى ينظم أمانى الامة عقدا فاخرا ويصورها خلقا سويا

ولقد أزيد على ذلك ان الاحزاب المختلفة لم تكن فى وقت انقسامها بريئة من العيب وقد يأخذ كل حزب على الآخر بحق انه تجاوز معه حدود النضال المشروعة وان هنائه نحوه قد خلقت كثيراً من المرارة والحيفظة ولقد أعترف بأن بعض من كانوا أصدقاءنا بالامس يذكرون شيئاً من مثل هذه الهنات التى دفعت اليها حرارة النضال ولكن المناسبة أجل وأعظم من أن نقف على هذه الذكريات نثيرها وننسى بها مايجب علينا فى الوقت الحاضر من التصافى والتصافح

أقدم للبلاد هذا المشروع خاتمة جليلة لعقد كامل من الجهاد وهو فى الوقت نفسه مستهل حياة دولية مباركة تتبوأ بها الامة مقعدها بين الامم وبدء جهاد جديد يوجه الى تنمية موارد البلاد بزيادة ثروتها ورفاهيتها وتوطيد مركزها واعلاء كلمتها بين الدول

اقدمه للبلاد وملئي ثقة أن ترى فيه ماأراه من أنه محالفة الحر للحر، ولقد كنت

مع زملائى من مجاهدى الساعة الاولى وظللنا طول هذه المدة ليس شىء أشغل لنفوسنا وأملك لعقولنا من الوصول الى تسوية مرضية مع بريطانيا العظمى يحتمل فى سبيل هذه الغاية كل تضحية فما ونينا ولا وكلنا ولا ترددنا حتى جاءت الساعة التى نستطيع أن نقدم فيها الى البلاد ثمرة جهادها دانية القطوف

أيها السادة

مهما يكن من يقينى ان هذا المشروع لا يصح التردد فى قبوله ومهما يكن من أن وقعه وأثره فى نفس كل من اطلع عليه داخل البلاد أو خارجا عنها لا يترك شكا فى أنه يرضى الامة ويحقق آمالها فانه لم يكن لى ولا للوزارة ان تستقل برأى عن البلاد فى أمر مثل هذا المشروع الخطير . فللبلاد اذن الكلمة الاخيرة فى هذا المشروع ، على ان الوقت لم يتسع لى بعد لتحديد الطريقة التى يتمثل بها رأى البلاد وسيكون أول ماأعنى به فى الايام التالية النظر فى هذه المسألة وإمضاء رأى فيها

وانى لأناشد كل مصرى أن يطيل النظر فى مشروع المعاهدة ويصدر حكمه فيه بقلب خلا من الغرض والهوى وعقل يرى الاشياء حقيقة لا خيالا أناشده أن ينسى الفوارق الحزبية الماضية فهذا المشروع خاتمة كتابها ليس هذا المشروع عملا يستأثر به حزب حزبا وانما هو عمل وطنى تلتقى عنده أمانى الامة وتتلاشى حوله الفروق والانقسامات

فليؤدى كل مصرى واجبه وليستشعر مسئوليته أمام أمتنا وأمام الأجيال المقبلة وأمام الله وليحاسب نفسه أيهما خير وأجدى ، جهاد عقيم أم حياة مثمرة . وانا لندعوا الله أن يتولانا جميعا بهداه وأن يسدد خطانا الى مافيه خير البلاد وسعادتها فى ظل حضرة صاحب الجلالة الملك ونبتهل اليه تعالى ان يجزيه عن الامة التى يسهر على رفاهيتها ويحوطها بعطفه وتأييده خير الجزاء

Enormity – شناعة

By Eden Phillipotts

* * *

تعرض المصور هذه القطعة الشعرية لترجمتها شعراً ، والترجمة ترسل لتحرير مجلة المصور ، وسننشر من الترجمات عدداً مناسباً .

Musing on the indiction of the moon,
Whose silver skeleton doth ever bend
Above our feast, foreshadowing the end,
How greatly may we hunger for the boon
And signal truth, our ignorance to mend,
Touching the children of her ancient noon,
Upon whose way we also surely wend,
Since she from us, as Eve from Adam, was hewn.
Did we behold one work of consciousness
If, 'mid her lifeless antres, we could guess
That hand and brain in vanished time of yore
Had left a single mental manifest,
Then might we people space and none protest.

* * *

Yet who that's sane shall ever dare feel doubt
With conscious life the universe is filled ?
What mad almighty architect has willed
To shut the galaxies and glories out
And to this petty, minor planet build
The only thing that knew its way about,
And, in some faulty, fruitless sort, fulfilled
A mightier part than all the heavenly rout ?

Was earth alone so rare that for its sake
Omnipotence must need be crucified ?
How long, how long shall patient Reason ache,
Shall common sense deny and wit deride
The Egoistic Honor of a claim
To redden every cosmic sum with shame ?

° ° °

Or is it argued by Theology
That, when a God willed consciousness to sow
On myriad migitier worlds than we con know,
All creatures fell and only saved could be
By suicide divine, to overthrow
Dark plots maturing through eternity
Led by a thing God made, now turned to foe,
From whom God's death alone could set all free ?
Shall each new home of life lift up a cry
And welkin shriek with far-flung frantic call
For God to visit every star and die,
Lest conquering Evil Swallow up them all ?
Oh pitiful dilemma, abject plight
For him who brought the heavens into light !

° ° °

Bless ye the day when man no longer broods
On these unspeakable ineptitudes .



الجمجمة

للشاعر الالهي الكبير رابندرناث طاغور

ترجمة الأديب المعروف

عبداللطيف النشار

كان يجاور غرفتنا ونحن أطفال ، غرفة أخرى بها جمجمة معلقة . وكان نسيم الليل يحدث صوتاً إذ يمر من خلال تلك العظام ونحن بالنهار نحدث مثل هذا الصوت إذ نعبث بها .

وكان صديقنا المقيم فى تلك الغرفة طالباً بمدرسة الطب . وكنا نتلقى عليه درساً فى التشريح لأن أوصياءنا أرادوا أن نكون ملمين بكل العلوم . أما أصحابنا فقد عرفوا مقدار نجاحهم فى تلك الرغبة وأما الذين لا يعرفوننا فخير لنا أن نستر عنهم الحقيقة .

مضت سنوات كثيرة على ذلك العهد ونقلت الجمجمة من تلك الغرفة ومحى من أذهاننا علم التشريح . ومنذ أيام قليلة زارنا ضيوف كثيرون فتركت لهم غرفتى وقضيت الليلة فى الغرفة التى كانت بها الجمجمة . واقضى معظم الليل وأنا مسهد أسمع أجراس الكنيسة تدق ساعة بعد ساعة . وما زال يضعف نور المصباح حتى انطفأ .

وكان قد حدث للأسرة مصاب فى الأيام الأخيرة فاتجه ذهنى بالطبيعة بعد انطفاء النور إلى التفكير فى الحياة والموت وفى أعمارنا القصيرة التى ينتقص منها مرور الليل والنهار .

ووصلت بى جولة الفكر إلى ذكرى الجمجمة . وبينا كنت أتخيل الجسم الذى كانت له هذه الجمجمة إذ تصورت فجأة أن إنساناً يمشى بالغرفة ويدور حول السرير . وكنت أسمع بوضوح تردد أنفاسه السريعة وتصورت أنه يبحث عن شىء مفقود .

ولم تزل خطاه تسرع وكنت أشعر يقيناً بأن هذا مجرد وهم بثه فى ذهنى المكدود طول الأرق . وكنت أعرف أن نبض قلبى العالى هو الذى حسبته خطوات السائر ولكننى بالرغم من ذلك أحسست برعشة باردة . ولكى أتخلص من هذا الوهم ناديت بصوت عال : « من هنا ؟ » فتخيلت أن الذى يسير قد وقف وأجابنى : « لقد جئت أبحث عن جمجمتى »

وخجلت أن أخاف من وهم خلقه خيالي فرفعت رأسي عن الوسادة وقلت: «أفي هذا الوقت من الليل؟ وماذا تفعل بجمجمتك الآن؟».

فكان الجواب: «ما هذا السؤال! ألم يكن في هذه الجمجمة كل سحر الشباب وأثر الستة والعشرين عاماً التي عشتها؟ أليس لي من أجل ذلك أن أبحث عنها لأراها؟».

قلت: «لك ذلك فابحث عنها كما شئت ودعني أنم». فأجابني الصوت وهو صوت امرأة: «ولكنك الآن وحدك فهل أجلس معك لنتحدث قليلا؟ لقد كنت في مدة الحياة أتحدث مع أمثالك من الرجال وأود الآن أن أعيد ذكرى الحياة الماضية».

ثم شعرت بأن إنساناً يجلس على مقربة مني فأجبت: «يسرني أن أتحدث معك فحدثيني بخبر لطيف».

وهنا دقت الساعة الثانية وقالت الزائرة: «أغرب شيء أذكره هو تاريخ حياتي فدعني أقله:

«لما كنت في عالم الأحياء لم أر ما أخافه غير زوجي فلست أشبه قلبي بشيء غير الأسماك التي تصاد بالشصوص «السنارة» فقد صادم هذا الغريب وأخرجه من هدأة الطفولة وراحة الأسرة فلم يعد إليها. ومات زوجي بعد شهرين فحزن عليه أهلي وأصدقائي وقال أبو الزوج لامرأته ان عيني تدلان على السوء — هل أنت مصغ؟ أرجو أن تسمع القصة

قلت أنا مصغ وهذا ابتداء غريب فقالت: «دعني أتمها... فعدت مسرورة إلى منزل أهلي وقد كنت أعلم أنني من أجمل الناس وان كان أصحابي لا ينصفونني فماذا ترى أنت؟

قلت: «ربما كنت جميلة ولكنني لا أذكر أنني رأيتك» فقالت «كيف كيف لم ترني ألم تنظر إلى الجمجمة؟ ثم ضحكت وقالت - «نعم ان الشهادة التي شهدتها الجمجمة عن جمالي شهادة باطلة فليس في الثقبين الخاليين أقل إشارة إلى سحر نظراتي وفتنة العينين والخدين وليس في عظام الفم ما يدل على حسن ابتسامي وجمال الشفتين العقيقيتين وليس من السهل اقناعك أن العظام التي رأيتها كانت لوجه فاتن مشرق الطلعة

لين الملمس غض الشباب و أن محاولتي اقناعك لتدعوني إلى الابتسام ولكنها تبعث في نفسي غيظاً منك وما كان الاطباء في عصري يتخيلون أن هذا الوجه سيصير أداة يتعلم عليها الطلبة علم التشريح ،لقدكان في عهدي طبيب لقبني بالزنبقة وما كان ليدعوني كذلك لو فكر في أنك أنت وأصحابك ستدرسون عليه على جمجمتي

« لقد كنت كلما مشيت أشعر بأنني كالماس وان لي مثل ماله من ضياء ما فأينما التفت الفيت حولي شعاعا من الحسن و كنت أقضي الساعات ناظرة إلى يدي، إلى هاتين اليدين اللتين فتنتا أجمل الرجال

ولكنك قد نظرت إلى جمجمتي فما تصدق ماأقول و لهذا أبغضك وسأشرد نومك في ليلة من الليالي بأن أريك فتنة الحسن في بعض أحلامك و أضيع مافي رأسك من علم التشريح!!

قلت : « اقسم بحسنك ان كان لا يزال له وجود ان ليس في رأسي كلمة من علم التشريح وليس به الآن غير صورة من الجمال تسطع في حلك الليل . وما أستطيع الآن أن أزيد » فقالت : « لم يكن لي صواحب من النساء - وكان لي أخ واحد وضع نصب عينيه ألا يتزوج . وكنت وحدي في منزله اقضي الساعات في الحديقة حالمة بان الكون يحبني وان نجومه الساهرة ترنوى من ينبوع حسني . وان الرياح تئن من تباريح شوقها وان الارض التي اطؤها لو كانت تعقل لغاب عنها رشدها حينما اخطو عليها . وان كل شباب الدنيا حشائش خضراء قد امتد منها بساط لأسير فوقه . ولكن قلبي بالرغم من ذلك كان يزيد حزناً على حزن

« لما نجح شيكار — صديق أخي — في امتحان الطب أصبح طبيباً للاسرة . وكنت قد رأيته مرارا من وراء حجاب . وكان أخي غريب الأطوار فهو لا يريد أن يرى الدنيا بعينين مفتوحتين و لم يكن له صديق غير شيكار فهو هو الرجل الواحد الذي عرفته . . هل أنت سامع ؟ فيم تفكر ؟ »

فتنهدت وقلت : « تمنيت ان أكون شيكار ! » فقالت : « انتظر واسمع قصتي : في ليلة مرضت وجاء الطبيب ليراني وكانت هذه أول مقابلة . ونمت عندما جاء بقرب النافذة لينعكس احمرار الجو عند الغروب على وجهي . ونظر الطبيب الى فتخيلت

نفسي في مكانه وتصورت أنني أنظر الى مثل وجهي . وقد انسدلت فوق جبيني الناصع خصلة من شعري الأسود وتحت خدي الوسادة البيضاء . وقد انسكب فوق وجهي شعاع الغروب . فسأل الطبيب أخي في استحياء : « هل أجس نبضها ؟ » فمددت اليه معصما وقلت في نفسي : « آه لو كان يزين معصمي هذا اسوارا » (١) ولم أر في حياتي طبيباً غيره يضطرب وهو يجس نبض المريض فقد كانت أصابعه ترتعش وكان يجس النبض من ذراعي ليعرف حرارتي وأنا أجس النبض من قلبه لأعرف مبلغ حبه . الاتصدق ؟!

قلت : «بل أصدق لان القلب يروى حين ينبض قصة العمر» فقالت : «وبعد أن مرضت مراراً وشفيت مراراً . وجدت ان الذين يسكنون دنيا خيالي قد انقصوا حتى لم يعد غير اثنين فواحد الطبيب ثم عليه وهو انا

«وكنت في بعض الليالي ألبس جواهري سرا وارتدي ثياب العرس وأضع على رأسي أكليلا من الفل والياسمين وأجلس في مجلسي المعتاد تحت الشجرة

« هل تظن أن الجميل يتعب من النظر الى جماله ؟ كلا ! فقد كنت انظر الى نفسي بعيني الطبيب وكنت أنظر اليه بعيني نفسي لقد كنت واحداً ولكنني اثنان . وافتتنت وسحرت وأحببت ولكني أسرفت في ذلك . وكنت أظل في بعض الاحيان فأتنهد حسرة على نفسي السابحة في الاجواء كأنها النسيم

من ذلك العهد لم أعد وحيدة . . ثم ماذالو جعلت هنا نهاية قصتي ؟

قلت ان شئت فلا بأس ولكن تكون قصة غير كاملة . وفي استطاعتي أن أضع بقيتها عند الصباح . . فقالت ! ولكن لابد من تمامها لافسر لك الابتسامة البادية على فم الجمجمة فبعد أن جلست مراراً مع الطبيب صرت أسأله عن أنواع السموم وأيها أقرب للقتل . وملأت هذه المحادثات ذهني بفكرة الموت . وهكذا لم يعد لي في الحياة شاغل غير الحب والموت : وقد قاربت قصتي النهاية فقلت : «وكذلك قد قارب الليل النهاية »

قالت : « وبعد عهد لاحظت أن الطبيب يحتفظ بسر يخجل من ابدائه لي وجاء مرة في ثياب جديدة وطلب أن يعيده أخي العربة في الليل فسألت أخي عن السبب وعلمت أن الطبيب سيتزوج وان هذه الليلة هي ليلة عرسه

---

(١) الأرامل في الهند لا يلبسون الحلي

، عند ذلك ضحكت ضحكة عالية وعلمت أن زوجته وارثة وأنه خطبها من أجل مالها . ولكن لماذا يخفى سره عنى ؟ لقد كنت أتوسل اليه الا يتزوج لان ذلك يكسر قلبي . ولكن الرجال لاينبغى أن يوثق بهم

ولما عاد الطبيب فى عصر ذلك اليوم قابلته وكنت أضحك كالعادة . وقلت -.

هل ستتزوج الليلة ؟

فارتبك من هذا السؤال . وعدت فقلت : « ولكن أين الموسيقى واين معالم الفرح ؟ » فتنهد وأجاب ! « وهل الزواج مفرح »

ضحكت مرة اخرى وقلت ! « لابد من ايقاد الشموع واستدعاء الموسيقى » وحلت اخى على طلبهما فذهب وتركنا وظللنا نتكلم عن عروسه وعن اكرامى لها عند ما تزورنى وقلت . وهل ستبقى تجس نبض الناس ؟ »

فبدا لى اضطرابه وان كان ما فى كل النفوس أخفى من الخفاء ولما جاء أخى قدمت اليهما النبيذ فشربا ثم ذهبا الى العرس

« ولابد هنا من اخبارك بشيء هو أنى كنت اشتريت سماً ووضعته فى كأس الطبيب ثم شربت كأساً أخرى مسمومة وظللت اسمع صوت الموسيقى وأنا ألبس ثياب العرس وأتحلى بالجواهر والازهار ثم نمت وكانت ليلتى جميلة وكانت الريح الشرقية تهب فتحمل لى روائح الفل من الحديقة وتحمل عنى ذكريات الدنيا .وصار يضعف صوت الموسيقى شيئاً فشيئاً ثم أغمضت عينى وابتسمت

وأظن أن الناس أتوا فرأوا فوق ابتسامتى أثر النبيذ والسم . وأظننى دخلت القبر وأنا لاازال ابتسم . ولما انتبهت روحى بعد الموت رأيتكم تعلمون التشريح على جمجمتى التى كانت بها ذكرياتى . . هل أعجبتك هذه القصة ؟

فقلت : « هى قصة ممتعة » ثم صاح الديك فقلت ! « هل أنت هنا ؟ »

فلم يجبنى أحد ثم انار الفجر غرفتى .

التعاليم البهائية

مضى على العالم الانسانى ألوف من السنين اشتغل فيها بالحروب والقتال لاسباب عديدة مابين دينية وجنسية ووطنية واستعمارية ولم يفكر يوما فى استبدال هذه الوحشية بالألفة والمحبة الا منذ ظهور حضرة بهاء الله الذى يدعى بحق انه أول معلم للانسانية نادى فى العالم بضرورة الصلح والصلاح وترك الحروب وانشاء محكمة دولية تفصل فى المنازعات بين الدول كما تحكم المحاكم بين الافراد. وأسس بنيان هذا النظام. وأرسل الخطابات بذلك الى ملوك العالم. فابتدأ العالم منذ ذلك التاريخ يتنبه من سباته العميق واجتهد العظماء والافاضل فى تنفيذ أوامره الى أن أرغمت الدول فعلا بعد الحرب العظمى على تأسيس جمعية الامم. واجراء معاهدة ميثاق السلام.

ولم يكن أمر هذا المعلم العظيم أمرا بشريا عاديا بل إنما هو مؤيد بشديد القوى وجميع الدلائل تدل على ذلك.

(فأولا) جميع الاديان فى العالم قد بشرت بظهور شخص جليل لهداية العالم واحياء النفوس الميتة وبعث الملل من قبور الاوهام والمخاصمات والمشاحنات. وهدايتهم الى السبيل السوى والطريق المستقيم طريق السلام والصلح والصلاح.

(ثانياً) انتباه الأمم الى الخطر المحدق بهم. والمهاوى المعدة لفنائهم من قبل الحروب المدمرة التى لا بد أن تقع بينهم والتى يكون ما لها فناؤهم حتى أدى لهم الحال الى اطاعة أوامره وانفاذ رغباته. وفعلا قام العقلاء بالتدريج على السير فى الخطة التى انتهجها وبينها فى كتاباته. نعم انهم لم يصلوا للآن الى الدرجة العليا التى يتطلبها ولكنهم جادون فى اقناع جميع الشعوب بان هذه الطريقة هى خير وسيلة للراحة والاطمئنان فى العالم وبدونها يكون الخراب والدمار.

(ثالثا) ان جميع الذين قاوموه اصيبوا بالفشل وضاعت ممالكهم وثلت عروشهم. فنابليون الثالث الذى استكبر على الله خرج الملك من كفه وثل عرشه العظيم. ومات مسجونا مدحورا. كذلك سلاطين آل عثمان الذين حبسوا بهاء الله فى السجن الاعظم انمحقت دولتهم وبادت سلطتهم ونكست أعلامهم. وطاشت سهامهم - كذلك دولة

القاجارية فى ايران اندثرت ومحيت من الوجود وأصبحت فى خبر كان ـ وهذه كانت الدولة العاتية الظالمة التى قاومته ونفته واضطهدت أتباعه . كذلك علماء ايران الذين قاوموه طردوا من الدولة وباءوا بخسران مبين ـ وفى نفس الوقت أخذ أمر حضرة بهاء الله يعلو يوما فيوما وأشرقت الارض بنوره ولمع وسطع ضياء شموس تعاليمه فى بلاد اميركا وأوروبا واتبعه الملايين الذين قدسوه وعززوا اسمه وعشقوا امره وباهوا بمحبته ودخلوا فى جنة رضائه ونادوا فى الخافقين رافعين أعلام هدايته . ونبهوا الراقدين فى قبور الوهم والهوى . فاتحد الاتباع جميعهم شرقا وغربا . وتناسوا الاحقاد القديمة ـ وعقدوا الخناصر على المحبة والوئام ـ وتعانق أهل الشرق مع أهل الغرب وأصبحوا بنعمة الله إخواناً جميعهم أولاد آدم واحد لا فرق عندهم بين شرق ولا غرب . ولا بين مسلم ومسيحى أو برهمى ـ و يوذى أو زردوشتى بل تراهم يفدون بعضهم بعضاً ـ ويقبلون تضحية كل غال وثمين فى سبيل معلمهم وهاديهم المحبوب حضرة بهاء الله نور العالمين ومربى الأمم ومهذب الانسانية الجوهرة الفريدة والخريدة المكنونة من لم يسمح الزمان بمثله منذ القرون الأولى ـ ومن أكبر الأدلة على قوته السماوية هذا الاتحاد الذى حصل فعلا بين أفراد الأقوام المختلفة والأجناس المتنوعة مما لا يمكن حصوله مطلقاً بأى قوة بشرية كما قال تعالى (لو أنفقت ما فى الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم) .

أما التعاليم (فأولها) وحدة العالم الانسانى لأنه قال بأن الجميع عبيد لإله واحد وفى ظل مربى الحقيقة . فقد منحهم الله تعالى جميعاً خلعة الانسانية لا فرق بينهم إلا بالتعليم فاذا وجد من بينهم جاهل وجب على المتعلمين تعليمه وتهذيبه كالمريض يجب معالجته وكالطفل يجب تربيته . (وثانى تعاليمه) تحرى الحقيقة فى كل شىء فجميع الأنبياء أسسوا الحقيقة وروجوا الحقيقة وطلبوا من الناس اتباع الحقيقة و بما أن الحقيقة فى ذاتها واحدة لا تتعدد فلو تحراها كل شخص بالدقة فلابد أن الجميع يتحدون (وثالث تعاليمه) ان الدين هو سبب الألفة فلو كان الدين سبب البغض والعداوة فعدم الدين أولى . (ورابع تعاليمه) مطابقة الدين للعلم لأن الذى يخالف العلم هو الجهل ـ وحاشا للدين أن يكون مطية للجهل فالدين الحق لا يخالف العلم ولا العقل السليم . (خامس تعاليمه)

محو التعصبات الدينية والسياسية والجنسية والوطنية لأنها جميعها هادمة للبنيان الانسانى ولا يستريح العالم ما دامت هذه التعصبات فاشية بين الناس ولا يحصل له الفلاح والرقى لأن التعصب يجعل الشخص يميل إلى جهة و يعتقد أنها الصواب وما عداها هى الخطأ فيمنعه من بحث الطرف الآخر . (سادس تعاليمه) المساواة بين حقوق الرجال والنساء وفى جميع الكمالات من حيث العلم والتربية والتهذيب والرقى (سابع تعاليمه) تعديل المعيشة بين البشر فيكون لكل فرد فى العالم نصيب من السعادة الفقيرمثل الغنى وليس ذلك بالمساواة التامة لأن المراتب تختلف ولكن يلزم الغنى مواساة الفقير حتى لا يحرم من القوت الضرورى . (ثامناً) منع الحروب وتأسيس السلام العام فالانسان لا يزال واقعاً فى الحرب والقتال والنزاع والكفاح إما بأسباب سياسية أو دينية أو مذهبية فكم من ألوف الأسرات تشتت وانقرضت، وكم من ألوف الأطفال تيتمت ،وكم من ألوف الأمهات أثكلت فالحرب كالوحش الكاسر بل أضل لأن الوحش لا يفترس حيوانا آخر الا لتحصيل القوت الضرورى ، وأما الانسان فلا ضرورة تقضى عليه بمثل هذه الاعمال الوحشية ونعم ما قال الشاعر :

كلما أنبت الزمان قناة ركب المرء فى القناة سنانا

ومراد النفوس أصغر من أن تتعادى فيه وأن تتفانى

يندفع الانسان فى تيار هذا التوحش لحب الشهرة والطمع وحب الظهور بمظهر القدرة والسطوة فيدأب على سفك الدماء وعلى التوحش. ومع أن أساس الاديان الآلهية المحبة والالفة بين الجميع ولكن الناس جعلوه فى هذا الزمان سببا للضغينة والعناد والعداوة والاختلاف. وقاموا على بعضهم بنهاية الاعتساف. وتقاتلوا بالسيوف والسنان تارة بحرب دينى وطورا بحرب جنسى سياسى مع أن جميع الناس من سلالة واحدة ومن نسل آدم واحد وأهل وطن واحد وهو هذه الكرة الارضية التى نعيش عليها فلماذا تقوم الممالك على بعضها البعض بالتدمير والتخريب والحرب والصراع . وما ذنب تلك الأم المسكينة التى ربت طفلها بغاية المشقة والتعب مدة عشرين سنة حتى إذا بلغ أشده أخذوه منها قوة واقتدارا ووضعوه أمام المدفع ليحارب غيره من ابناء جلدته حيث لا جدوى ولا ثمرة .

فالحرب سجال مرة لك ومرة عليك فكم من دماء سفكت بين المانيا وفرنسا حتى غلبت فرنسا ثم عادت واصبحت مغلوبة لالمانيا . وفى كل دفعة تزهق الار النفوس بلا ثمر . ويخيم الهلاك والحرب والتدمير والمحو والفناء : أنظر الى مملكة اليونان كم فتحت من الدول فيما غبر من الزمان . وكم هلكت لاجل ذلك آلاف النفوس واخيرا آل أمرها أن صارت مغلوبة فيما بعد مقهورة .

قسما برب العزة ان مثل هذه الوحشية لا تليق بالعالم الحيوانى فضلا عن العالم الانسانى . هذا بعض من كثير مما ورد فى خطابات حضرة عبدالبهاء فى أمريكا واوربا وقد تزيد هذه الخطب على الألف . وفيها روح تعاليم حضرة بهاء الله .

فانظر الى قوة أمر شريعة حضرة بهاء الله من ذا الذى كان يتصور أن شخصا سجينا منفيا قامت عليه دولتان قويتان مع قوة الملاّوات (العلماء) اصبح غالبا لجميع العالم تنفذ تعاليمه فى نصف قرن فى الشرق والغرب ان فى ذلك لآيات لمن كان قلب أو ألقى السمع وهو شهيد احدقالبهائيه دين هذا العصر وهى روح هذا العصر وهى التاج الفريد على اكليل هذا العصر وهى العزة الواضحة فى جبين هذا العصر . وهى الغاية القصوى لعقلاء وفلاسفة هذا العصر . وهى المرشد للسياسة هذا العصر . وهى مطمح آمال ملوك هذا العصر تحتوى على أرقى المبادىء واسمى التعاليم الصالحة لهذا العصر .؟

عبد الجليل سعد
القاضى بالمحاكم الاهلية



«هذى طباع الناس معروضة
فخالطوا العالم أو فارقوا»
«أبو العلاء»

اجتماع الحبيبين

في زمن حكم غليوم ملك صقلية كان يعيش في مملكته رجل من الاعيان اسمه «السيد اميرى» رئيس دير «ترابانى» وكان ينعم بثروة عظيمة

خلف هذا السيد ذرية كثيرة من الاطفال فأحوجه ذلك الى كثير من الخدم. وثم عزم على شراء كثير من صغار العبدان الذين اختطفهم من أطراف «أرمنيا» بعض من يحترفون القرصنة من أهالى «جنوا» وجاءوا بهم من الشرق.

وكان بين أولئك العبدان الصغار الذين هم على ما يظهر من أصل ترکی ويشبهون الرعاة طفل تبدو على وجهه الوداعة أكثر من الآخرين وتلوح على سيماه دلائل النبل والرفعة

وكان اسمه «تيودور» وهو وإن كان عبدا رقيقا إلا أنه نشأ بعد ذلك وترعرع بين أطفال السيد إمير وكان لايأكل إلا معهم.

وكلما كبر نمت عواطفه وتيقظ شعوره وتنبهب طبيعته الحساسة التي لم تكن تماثل طبيعة العبيد

وجماع القول أنه عرف كيف يبهر سيده بمزاياه النادرة حتى أعتقه واقتنع بأنه من أصل تركى عريق فعمده وأسماه « بطرس » وجعله أمينه

***

وكان للسيد إمبرى فتاة اسمها « فيولانت » على جانب عظيم من الامانة وهى ذات وجهفان جذاب وكانت حينئذ فى المرحلة السعيدة من العمر حيث يبدأ الشعور بالحاجة الى الحب .

لم يكن يفكر أبوها فى تزويجها فآلمها هذا الاهمال ووقعت فى حب بطرس ـ وقد كانت لاتتردد فى إظهار حبها له عن طيبة نفس ـ لولم يمنعها الحياء عن ذلك .

وكان مايلقاه بطرس الفتى من إكرامها ـ مع ماركب فى نفسه من الصفات الكريمة التى خصته الطبيعة بها ـ سببا فى توليد ميل فيه نحوها لم يلبث ان صار هياما حقا بكل معانى هذه الكلمة .

ولكنه لم يجرؤ على اطلاعها على ما يكنه لها قلبه من هوى وتحامى جهده أن يعمل أو يقول قولا يدل على ذلك

فلم يتسرب الى أحد فى البيت أى ظن ولاحامت حوله أية ريبة .

ولكنه كان اذا خلا مع (فيولانت) ـــ أقل حذراً، فلم تخف عليها حاله وسهل عليها الاهتداء الى حبه اياها من خلال إجلاله واحترامه الدائمين .

وأرادت أن تشجعه على الحب فأخذت ترعاه منذ ذلك الحين فلاتبدى له سخطا أو غضبا اذا رأت تنهده الذى كان يبديه أمامها أو نظراته المختلسة التي لم ينقطع عن استراقها منها .

وبالرغم من كل العقبات لجآ الى لغة العيون وان كانا يودان لوأتيحت لهما فرصة الافضاء بالكلام الصريح .

وأخيراً رق لحالها الزمن فأمكنتهما الفرصة من تحقيق ذلك الأمل المحبوب ، وأزالت الخوف الذى كان يحول بينهما وبين الافضاء بحقيقة هيام كل منهما بالآخر

كان للسيدة « اميري » على بعد نصف فرسخ من « ترابابق » قصر فى الريف على جانب كبير من الفخامة ، تذهب إليه زوجه وابنته مع سيدات اخريات فيقضين فيه أوقات السرور والانشراح

ففى ذات يوم خرجت تلك السيدة ورفقتها — وخرج « بطرس » فى صحبتهن حسب عادته — ولما حان وقت العودة إلى المدينة غامت السماء وتلبدت فجأة بالسحب — وكان ذلك يحدث كثيرا فى فصل الصيف — وأنذر كل ما فى الطبيعة بقرب هبوب العاصفة .

وخشيت السيدة اميري ورفيقاتها أن يعوقهن ذلك عن الوصول إلى المنزل فأسرعن بالعودة إلى « ترابابق » وظللن يسرعن الخطا ليصلن فى أقرب وقت

أما الفتى والفتاة فقد حسهما الحب وبعث فيهما من القوة والنشاط ما أنساهما شدة العاصفة فسارا أمام الجميع مغذين السير إغذاذا وتقدماهما بمسافة كبيرة وما زالا يغذان السير حتى غابا عن الأنظار ثم قصفت الرعود داوية مجلجلة وقامت على أثر ذلك زوبعة هائلة اضطرت الأم ورفيقاتها إلى الالتجاء إلى كوخ مزارع فى الطريق

أما « بطرس » و « فيولانت » ، فلم يجدا أمامهما ملجأ يحتميان به الا طللا باليا تهدمت جوانبه فلم يبق فيه الا لوح واحد من ألواح السقف فوقفا تحته يتقيان به هطول المطر واضطرهما ضيق المكان إلى تلاصق جسميهما معا ، وقرب بينهما هذا التلاصق وزاد توثيق عرى الألفة بينهما كما أثلج قلبيهما الهائمين وأتاح لهما فرصة الافضاء بما يجنه قلباهما من الوجد — بصراحة لا مواربة فيها — فبدأها الفتى المحب قائلا :

« كم أنا مدين لهذه العاصفة بالسعادة وكم يبهجنى أن تطول فلا تنتهى أو تتحول إلى أبد — لو كان ذلك فى حدود الامكان — حتى أظل هكذا سعيدا بالقرب منك ياحبيتى »

فأجابته الفتاة

« ليت ذلك فى الامكان » .

ولم تكد تتم قولها حتى تناول « بطرس » يدها بلهفة المشوق وانهال عليها بالقبلات وأجابت الفتاة انعطافه وتودده بمثلهما وأكثر ثم تعانقا والتقت شفاههما المحترقة بنار

الوجد وأسرفا فى اجتناء أعذب ثمار الحب ، متنعمين من تلك الايام الطويلة التى لم يتمكنا فيها من المصارحة بحبيهما .



بطرس وفيولانت

ولن أتدخل فى تفصيل ماتذوقاه — حينئذ — من صنوف اللذات فى تلك الخلوة المنفردة التى التقيا فيها رأساً إلى رأس وحسبي إن أقول إن العاصفة لم تنته الابعد أن نعما بكل مايمكن أن يتنعم به حبيان لايقل هيام أحدهما عن هيام الآخر، دون أن يحسب للمستقبل حسابا!

***

سكنت العاصفة فسارا فى طريقهما الاول حتى بلغا أبواب المدينة ثم انتظرا وصول بقية الرفقة ، فلما حضرت ذهبوا جميعا إلى المنزل

ولم ينس الحبيبان — بعد ذلك — تلك السعادة التى نعما بها فى ذلك الطلل المتهدم فترقبا سنوح الفرص حتى إذا أمكنتهما لم يدعاها تفلت من أيديهما دون أن ينتهزاها ، ولم يرتب فى أمرهما أحد ، وتكرر ذلك الأمر حتى حملت منه الفتاة فحزنهما ذلك أشد الحزن ، وحاولت « فيولانت » أن تتخلص من حملها وطرقت فى ذلك كل حيلة فلم تنجح ولم يكن بطرس أقل هما منها فقد أيقن أن ذلك الحادث لن يمر دون أن يودى بحياته فصمم على الهرب وكاشف حبيبته بعزمه فقالت له :

« إذا هربت فانى أقتل نفسي بلا تردد » :

— « وماذا تريدين أن أعمل ياحبيبتى بعد أن يظهر أمرك وتتكشف حيلتنا؟! انهم سيرحمونك لضعفك ويجدون لك من ذلك الضعف شفيعاً ، أما أنا فاذا يشفع لى أنا التعس المسكين الذى لايخفف من شناعة جرمه أى اعتبار ، فهل تريدننى على أن استهدف لنقمة أبيك العادلة وأذهب ضحية غضبه الحق ؟ »

— : لن استطيع أن اخفى جرمى طويلا . ذلك أمر مقرر أعترف لك به ، ولكن كن على ثقة ياحبيبى أنك — اذا حافظت على كتمان سرى كما احافظ انا — فلن يستطيع أحد أن يعرف أنك أنت الذى ارتكب هذا الجرم أو اشترك فيه قط ، ثق بذلك واعتمد على حبك وإخلاصى لك . »

وعلى هذا الشرط قبل حبيبها أن يبقى فى البيت وقال

« سأظل مقيما هنا ، فاذكرى وعدك هذا ياحبيبتى . »

* * *

ورأت « فيولانت » أن بطنها تعلو قليلا قليلا على مر الايام وعلمت أن من المحال أن تخفى حالها طويلا فكاشفت امها بحقيقة أمرها وتوسلت اليها — والدموع فى مآقيها — راجية منها أن تنقذها من هذه الورطة .

ولم تكد تعلم امها بذلك منها حتى أفعم قلبها يأساً ، فانهالت عليها لوما وتعنيفاً وسبابا وطلبت إليها أن تخبرها باسم من جنى عليها وهتك عفافها . ولكن الفتاة تحاشت أن تذكر اسم حبيبها حتى لا تعرضه للخطر ، فلفقت لأمها أكذوبة لم ترتب الأم فى صدقها وأخذتها حقيقة مسلما بها ، وترقبت الأم وابنتها فرصة سانحة فرحلا معا الى الريف .

وحان وقت الوضع وأحست الفتاة بالطلق فظلت ترسل صيحات الألم عالية داوية فى اجواز الفضاء ، وانها لكذلك اذ عاد ابوها من الصيد ولم يكد يصل الى منزله ليستريح من العناء حتى قرع أذنيه صوت ابنته المتألمة وصرخاتها العالية فأسرع الى غرفتها توا ، ولم يكد يرى أمها حتى سألها عن جلية الأمر .

* * *

بهتت الأم حين رأته أمامها ورأت كل انكار لا يجدى فاضطرت الى الافضاء اليه بحكاية ابنتهما كما سمعتها منها بلا تحريف . ولكنه كان أقل انخداعا من زوجه وأقل اغضاء فلم يقتنع بذلك التلفيق وقال لها إن من المحال على « فيولانت » أن تجهل الشخص الذى حملت منه . وليس لها مناص — اذا أرادت أن يصفح عن زلتها — من أن تصارحه بالحقيقة كاملة ، والا كان جزاءها الموت المحقق بلا رحمة .

بذلت الأم كل ما فى وسعها فى تهدئة زوجها وتخفيف غضبه ، وأكدت له أنها

ستنفذ اشارته ، محاولة بذلك أن تشغله قليلا أو تهدىء من روعه ولكن شيئا من ذلك لم يجد ولم تستطع ان تترضاه بهذه الوسيلة .

فقد اقترب الزوج من ابنته — شاهرا فى يده حسامه — وكانت قد وضعت غلاما اثناء ذلك الحوار ، فلم يرث لضعفها واقبل عليها غاضبا ، فخيرها بين موت وشيك أو تفضى له باسم والد الطفل . وثمة حملها الخوف على خيانة حبيبها، فاعترفت لأبيها بكل شىء بعد أن ترددت كثيرا فى الافضاء اليه بالحقيقة .

***

اشتد حنق «امبرى» حين عرف مقترف ذلك الاثم فانهال عليها سبا وتعنيفا وكان ينفذ سيفه فى جسمها ، لو لا أنه غالب نفسه مغالبة شديدة مؤجلا انتقامه منها الى وقت آخر .

وظل يصب عليها من اللعنات والسباب ماشاء له غضبه حتى نفس بذلك عن صدره قليلا . ثم ركب جواده عائدا الى «ترابانى» وكان أول همه — بعد أن بلغ المدينة — أن يذهب الى السيد «كورراد» الذى كان متوليا القضاء فى ذلك البلد ونائبا عن الملك فيه . ولم يكد يرفع اليه شكواه حتى أمر بالقبض على «بطرس» فى الحال وشرعوا يحققون معه ولجأوا الى وسائل التعذيب القاسية حتى أرهقوه ارهاقا فأقر لهم بكل شىء . ولم يكد ذلك التعس يعترف لهم بجرمه حتى حكموا عليه بالاعدام شنقا — بعد أن يجلد أولا فى ميادين المدينة

ولقد سر «امبرى» من ذلك الانتقام وان كان لم يشف كل غليله ويرضى شهوة انتقامه الجامحة كلها ، فصمم على اكمال ظفره بقتل ابنته وولدها فى نفس اليوم الذى يشنق فيه عشيقها وامتلأت نفسه بتحقيق تلك الفكرة السوداء فنادى خادما له يثق به ويعتقد بأمانته ، فخرج أمامه بالسم بالنبيذ ووضعهما فى قدح وناوله إياه كما أعطاه حساما أيضا ، ثم قال له :—

«اذهب الى «فيولانت» فقل لها — واحذر أن تخالف أمرى — إنها مخيرة بين إحدى الميتتين بالسم أو بالسيف ، فاذا أبت أذقتها ماهى جديرة به من النكال على ملأ من الناس .

ومتى انتهيت من ذلك فخذ طفلها الذى أتت به الى هذا العالم فاضغط

رأسه بين يديك وبين الحائط ثم الق به في أقذر طريق من الطرق » .

* * *

كان الخادم متوحشاً ميالا الى الشر والاجرام فذهب لتحقيق أمر سيده دون أن يشعر بشيء من الكراهية لادائه .

وكان لابد من إنجاز كل هذه الاعمال الفظيعة ـ البالغة أقصى حدود القسوة ـ في نفس اليوم الذي يعدم فيه «بطرس»

ولقد أخرجوا «بطرس» من سجنه الضيق ـ بعد أن جلدوه مائة جلدة ـ وذهبوا به الى ساحة الاعدام . فمروا أثناء سيرهم بنزل شهير كان فيه وقتئذ ثلاثة من الارمن ذوي الخطر ، وكان ملكهم قد أرسلهم الى «روما» ليقابلوا «البابا» رغبة في تسوية مسألة هامة عظيمة الخطر ، وعن لهم أن يمضوا بضعة أيام في تلك المدينة فلما علم بذلك أعيانها وسراتها أسرعوا الى لقائهم والاحتفاء بقدمهم .

وبلغ اسماع أولئك السفراء نبأ قدوم ذلك المجرم فأطلوا من النوافذ لرؤيته ـ وكان عاريا من رأسه الى وسطه وكانت يداه مغلولتين الى ظهره ـ ورآه «فينيه» أحد السفراء الثلاثة وكان شيخاً وقوراً جليل القدر فاهتم لأمره ولمح على صدره علامة كبيرة حمراء اللون حبته بها الطبيعة ـ من ذلك النوع الذي يطلق عليه النساء هنا اسم (الورد) ويسمونه أيضاً (وحما) ـ ولم يكد يراها حتى أعادت الى ذهنه في الحال ذكرى أحد أطفاله وكان قد اختطفه قرصان منذ خمسة عشر عاما وانقطعت عنه أخباره منذ ذلك الحين ، وذكر أن ولده لو عاش الي اليوم لأصبح في مثل هذه السن ، فساورته الشكوك والقلق على هذا الغلام وخشي أن يكون ولده ولكي يحسم هذه الشكوك ناداه باسمه ، ولم يكد يسمع «بطرس» نداءه حتى رفع اليه بصره ـ عن غير قصد ـ وثمة وقف الجلادون احتراما للسفير ، فسأل المتهم من أي بلد هو ومن أبوه ، فقال «بطرس» ـ أنا من «أرمينية» واسم أبي «فينيه» وقد جاء بي الى هنا قوم لا أعرف من هم

وثمة لم يرتب «فينيه» بعد أن سمع منه هذا الجواب في أنه ولده فأسرع الى ضمه وأقبل زميلاه عليه يهنئونه بلقائه ورأى الجلادون ذلك فكفوا عن شنق الغلام ، ثم ألقى السفير على ولده معطفاً ثمينا ليغطي به جسمه ، وأخذ من الضابط أمراً بوقف التنفيذ حتى يصدر أمر آخر ، ولما علم السفير من أفواه الناس السبب الذي حكموا على

ابنه بالشنق من أجله ، ذهب ومعه السفيران ورجال الحاشية الى السيد «كونوراد» فقال له : «ان الذى حسبته عبداً ليس إلا حراً وهو ولدي وأنا أبوه وهو مستعد للزواج من تلك الفتاة التى يزعمون أنه غرر بها ، فارفق به من أجلي حتى نرى نواياه، فاذا قبلته الفتاة زوجاً لها عفوت عنه دون أن تكون قد خالفت القانون أو عملت ضد نصوصه»

خجل الحاكم من تسرعه فى الحكم على ابن السفير الذى كان يحسبه عبداً رقيقاً . وشعر بدهشة شديدة ، وأدرك أن «فينيه» على حق فى طلبه فأقره فى الحال . ثم أرسل الى «امبرى» فأحضره وقص عليه ما حدث، فتعاظمت دهشته . وكان لا يشك فى أن ذلك الحكم القاسى قد نفذ فى ابنه فندم أشد الندم على تسرعه ولكنه أسرع بارسال رجل آخر الى ابنه ليحول دون إهلاكها اذا كان فى الوقت متسع . وقد وصل ذلك الرسول — لحسن الحظ — قبل فوات الفرصة فوجد الخادم واقفاً أمام سرير «فيولانت» ممسكاً السيف باحدى يديه والسم بالأخرى محاولا ارغام الفتاة المسكينة على تخير إحدى الميتتين فأظهر له ما قرره سيده، فاطمأنت الفتاة وعاد الرجلان الى سيدهما ليخبراه بما تم.

* * *

امتلأت نفس «امبرى» فرحا بذلك فذهب الى لقاء السفير «فينيه» معتذراً اليه جهده طالبا منه الصفح عن تلك الخشونة التى عامل بها رفيقه القديم مؤكداً له أنه يكون أسعد الناس اذا تزوج «تيودور» من ابنته التى يسمح له بها عن طيبة خاطر، فقبل منه «فينيه» اعتذاره وأخبره أنه شديد الرغبة فى تزويج ولده من ابنته مؤكدا له أنه اذا رفض ذلك لم يكن له من جزاء على رفضه الا الاعدام وكذلك تم الاتفاق بين الأبوين ، فذهب الى تيودور الذى لم يكن قد عاد إلى رشده بعد من الذعر الذى اشتمل عليه ، ولم يكد يطلب اليه أن يقترن بفيولانت حتى نسى كل آلامه لفرط ما غمره من السرور والابتهاج وقال له

— : «ليس أشهى الى قلبي من تحقيق هذه الأمنية التى ستجعلني — إذا تمت — أسعد إنسان فى العالم»

ثم بعثوا الى «فيولانت» يسألونها عن رأيها فى الاقتران بتيودور ، فلم تكد تسمع منهم ذلك حتى تبدلت آلامها فرحا وامتلأت نفسها أنساً وابتهاجا وقالت:

لهم انها لاترى فى العالم كله ما يعدل سرورها بهذا الزواج من حبيبها «بودور» وهكذا تم عقد الزواج فى نفس اليوم وان كانوا قد ارجأوا حفلة العرس حتى يعود «فينيه» بعد أن يتم مهمته التى جاء من أجلها مع البابا

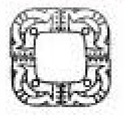
وقد ابتهج كل من فى المدينة بخلاصهما واقبلت «فيولانت» على طفلها ترضعه وصفا لها الوقت فاشرق جمالها واكتمل حسنها ولم تكد تنتهى من أيام النفاس حتى عاد «فينيه» من روما فلم تتوان فى القيام بواجبها على أتم وجه، وقد رأى السفير منها ما بهره من جمال وأمانة فعاملها كما يعامل ابنته وقد تمت حفلة العرس على أحسن ما تم عليه حفلة من بهاء وروعة

* * *

وبعد أيام قلائل عاد «فينيه» الى وطنه ومعه ابنه وزوج ابنه وطفلهما فوصلوا الى بلدهم سالمين، وعاش الزوجان عيشة هادئة لذيذة ناعمين بين أحضان الحب.

وقد يجمع الله الشتيتين بعد ما يظنان كل الظن أن لا تلاقيا

تمت



مَصَارِعُ الخُلَفَاءِ

مَشَاهِدُ رَائِعَةٌ يَنقُلُهَا عَنِ التَّارِيخِ

بقلم كامل كيلانى

«ويادهر لحال الله . ماهنأت فرحانك»
«ابو العلاء»

تمهيد (١)

« ليس أروع للنفس من تمثل مصارع الناس والاستماع اليهم فى ساعاتهم الاخيرة وتعرف ماقالوه — وقت حلول الأجل — وآخر ماتفوهوا به من الكلم قبل أن يفارقوا هذا العالم — خيره وشره — فراقا أبديا لاعودة لهم اليه بعده .

واذا كان ذلك هو شعورنا نحو الموت ، فلا جرم أنه يزداد ويتعاظم الى أقصى حد ، حين يقترن بعظمة الملك وأبهة السيطرة والسلطان ، فليس أشجى للنفس من تمثل مصرع خليفة أو قائد كبير أو شاعر عظيم أو أى واحد من اساطين هذا العالم الذين نقشوا فى تاريخ الانسانية صفحات لا يمحوها الزمن

ولعل خير ساعة يستعرض فيها المتأمل تاريخ حياة انسان هى ساعة احتضاره فانه ليرى — أمام كل صورة من صور الضعف — صورة أخرى من صور القوة ، ويلمح بجانب تلك الصور المشجية الحزينة ، ما يقابلها من صور حياتهم الباسمة المشرقة .

كامل كيلانى

---

(١) من كتاب للمؤلف تحت الطبع وقد عنيت بنشره مكتبة الوفد لصاحبها محمد محمود بشارع الفلكى بجوار باب اللوق بالقاهرة

مصرع المعتز (١)

« ثم ادخلوه سردابا وجصصوه عليه فمات »

« المؤرخون »

سبب مصرعه

قالوا — :

« ان الاتراك طلبوا منه أرزاقهم فلم يكن عنده مال يعطيهم ، فارسل الى امه يسألها مالا ، فقالت له — : ما عندى شىء »

قالوا — :

فاتفق الاتراك والمغاربة والفراغنة على خلع المعتز ، فصاروا الى بابه فقالوا — :

« اخرج الينا »

فقال — :

« قد شربت أمس دواء ، وقد أفرط فى العمل ، فان كان لابد من الاجتماع فليدخل بعضكم الى »

كيف صرع

فدخل اليه جماعة منهم فجروه برجله الى باب الحجرة وضربوه بالدبابيس وخرقوا قميصه وأقاموه فى الشمس »

---

(١) هو ابن جعفر المتوكل بن محمد المعتصم بن الرشيد ، وكنيته ابو عبد الله وكان ابيض أسود الشعر . وقد ولد بسر من رأى سنة ٢٣٢ هـ . ومكثت خلافته اربع سنين وسبعة اشهر الا سبعة ايام وكان عمره اربعا وعشرين سنة وثلاثة وعشرين يوما . وكان اسم أمه « قبيحة »

قالوا : وكان قد سماها المتوكل ذلك لحسنها وجمالها كما يسمى الاسود كافورقالوا : وكان لها أموال عظيمة ببغداد ، وكان لها مطمور تحت الارض نحو الف الف دينار ووجد لها فى سفط قدر مكوك زمرد ، وفى سفط آخر مقدار مكوك لؤلؤ وفى سفط مقدار كيلجة ياقوت احمر لا يوجد مثله ونبش ذلك كله !

فكان كما يقول المؤرخون — يرفع رجلا ويضع أخرى لشدة الحر .

وكان بعضهم يلطمه — وهو يتقى بيده ، وأدخلوه حجرة واحضروا القاضى(١) وجماعة فأشهدوهم على خلعه.

ثم سلموا المعتز الى من يعذبه ، ومنعوه الطعام والشراب ثلاثة أيام ثم أدخلوه سردابا وجصصوه عليه فمات ودفنوه بسامرا مع المنتصر .

مصرع مروان الجعدى(٢)

أو « حمار الجزيرة »

« ولو علم بنو مروان انهم انما يوقدون
على وضف يلقونه فى اجوافهم ما فعلوا »

« الوليد الثانى »

كيف صرع

« وطعنه رجل من أهل البصرة ، وهو لا يعرفه فصرعه فصاح ، صائح : « صرع أمير المؤمنين ! » وابتدروه . فسبق اليه رجل من أهل الكوفة — كان يبيع الرمان فاحتز رأسه ! »

« المؤرخون »

---

(١) وكان اسم القاضى « أبا الشوارب »

(٢) هو مروان بن محمد آخر خلفاء بنى أمية ويلقب بحمار الجزيرة ، ويكنى أبا عبد الملك ، كانت ولايته ، من حين بويع الى أن قتل خمس سنين وعشرة أشهر وستة عشر يوما ، وكان قتله يوم الاحد لثلاث بقين من ذى الحجة سنة ١٣٢ ، وكانت سنه يوم قتل اثنين وستين عاما — فى قول بعض المؤرخين ، وكانت موقعة « الزاب » المشهورة ، قضاء مبرما عليه وعلى جيشه ، فقد أندحر مروان فيها يوم السبت لاحدى عشرة ليلة خلت من جمادى الآخرة سنة ١٣٢ ، وقد اقترن مصرعه بمصرع الدولة الاموية فكان مصرعا مزدوجا ، وسنجمل فى مقال الشهر التالى أهم الاسباب التى تضافرت على انجاز هذين المصرعين ، مصرع الدولة الاموية ومصرع مروان الجعدى ! »

(١) طلائع الثورة

فراخ عامين ، إلا أنها كبرت لما يطرن ، وقد سربلن بالزغب
فان يطرن ـ ولم يحتل لهن بها ـ يلهبن نيران حرب ، أيما لهب

« نصر بن سيار »

ولكن الفراخ كبرت وطارت ولم يحتل لها ، فصحت نبوءة « نصر بن سيار » وألهبت نيران حرب شعواء ، ذكا أوارها واندلع لهيبها ، فكان وقودها مروان الجعدى والدولة الأموية معاً ، ولم تخمد جذوة هذه النار المستعرة ، إلا بعد أن أتت على الاخضر واليابس ، وغيرت وجه التاريخ ، وأحدثت انقلابا هائلا فى كل مرافق الأمة العربية وشئونها تقريبا !

لقد رأى « نصر بن سيار » خطر المنافسين يتعاظم يوما بعد يوم ، وشاهد اتباعهم فى ازدياد ، ودعوتهم فى ذيوع وانتشار ، فلم يقصر وسعا فى تحذير الأمويين من أعدائهم واحتثاث هممهم ليقضوا على الثورة وهى فى مهدها ، وكان يرى تعاظم دعوة أبى مسلم الخراسانى واتساع نطاقها ، فيبعث التحذير بعد التحذير ، والانذار تلو الانذار حتى بح صوته وذهبت صيحاته كلها أدراج الرياح !

ولعل أحداً لا يجهل أبياته الصادقة التى ختم بها إحدى كتبه التى بعث بها الى مروان الجعدى ، حين رأى انتشار الدعوة الى بنى العباس وذيوعها فى خراسان سنة ١٢٩ ، وهى قوله :

أرى خلل الرماد وميض جمر فأحج بأن يكون لها ضرام
فان النار بالعودين تذكى وان الحرب ، مبدؤها الكلام
فقلت من التعجب ليت شعرى ! أأيقاظ أمية ، أم نيام ؟!

ولكن بنى أمية كانوا نياما عن عدائهم ، منهمكين فى أشباع شهواتهم الحقيرة مشتغلين بالانتقام بعضهم من بعض ، لاهم لهم إلا التباغض واثارة الفتن الداخلية بينهم حتى جاءهم أمر الله فامحى ملكهم من المشرق ، وقضى عليهم قضاء مبرما فى سنة ١٣٢ هـ وصدق قول القائل : ولكل أهل بيت مشائيم ، يغير الله النعمة بهم « ولن ينتقل سلطان قوم قط إلا فى تشتيت كلمتهم ! » وصح فيهم قول من قال :

أوتيت ملكا ، فلم أحسن سياسته كذاك من لا يسوس الملك يخلعه

(٢) موقعة الزاب سنة ١٣٢ هـ
«كل شيء قاتل حين تلقى أجلك!»

ليس أدل من هذه الموقعة على الفوضى الضاربة أطنابها في جيش الامويين والتخاذل الشامل، وسوء الرأى، فقد تجلت فى هذه الموقعة صفات النذالة والاحجام فى أكثر الجيش الاموى واضحة جلية، كما تجلى فيها ارتباك مروان وخوره، وتوانيه فى رسم خطة يسير عليها جيشه قبل أن يلتحم فى المعركة، وكان لاحجام قواده ومخالفتهم أوامره أسوأ النتائج وابعد الاثر فى هزيمتهم الشاملة، أما «الوليد بن معاوية بن مروان» صهر «الجعدى» فقد أذكرتنا حماقته وتهوره، بصهر عثمان رضى الله عنه وما أبداه من خرق فى مخالفة رأيه!

لقد أمر «الجعدى» جيشه ألا يبدأ بالقتال، وقر رأيه على ذلك

ولكن صهره الاحمق، الوليد بن معاوية، بدأ القتال لحمل على الميمنة فاشتبكت الحرب – على رغم الجعدى، واستعرت لظاها لجأة أيما استعار، ونفذ قضاء الله

وهنا يسرع «مروان الجعدى» – بعد أن نفد السهم، فيقول لقضاعة: «احملوا» فيقولون له: «قل لبنى عامر فليحملوا!».

فيرسل الى «السكون» أن احملوا، فيقولون: «قل لغطفان فليحملوا!».

فيقول لصاحب الشرطة: «انزل!» فيجيبه: والله ما كنت لاجعل نفسي غرضا!».

فيقول له الخليفة متوعداً: «أما والله لأسوءنك».

فيجيبه صاحب الشرطة هازئا: – «وددت والله أنك قدرت على ذلك».

ثم زاد ارتباك مروان، وتعاظم خباله، أمام جيش الخراسانيين، فكان – كما يقول المؤرخون – لايدبر شيئا الاكان فيه الخلل والفساد.

أراد أن يشجع رجال جيشه – وهم يقتلون – فأمر بأموال فأخرجت، وقال للناس: «اصطبروا وقاتلوا فهذه الاموال لكم».

فانعكست الآية، وتهافتت فئة منهم على ذلك المال فجعلت تصيب منه.

فلما قالوا له: «إن الناس قد مالوا عن هذا المال، ولا تأمنهم أن يذهبوا به». أراد أن يتدارك هذا الخطأ، فوقع فيما هو شر منه، فقد أرسل إلى ابنه «عبدالله» أن

يسير فى صحابته إلى مؤخر عسكره فيقتل من أخذ من ذلك المال و يمنعهم اه

فماذا كانت النتيجة

رأى الناس « عبدالله » وقد مال برايته وأصحابه، فحسبوهم مولين: فصاحوا الهزيمة فكانت الهزيمة الشاملة!

وبمثل هذه التصرفات العجيبة المربكة الخاطئة ، اندحر الجيش الاموى وانهزم مروان فى موقعة «الزاب» شر هزيمة

قالوا : « وقطع الجسر ، فكان من غرق يومئذ أكثر من قتل

(٣) فرار الخليفة

« كذبتم أمير المؤمنين لايفر »

قالوا : « وانهزم مروان حتى وصل مدينة الموصل ، فناداهم أهل الشام : هذا مروان ! » فقالوا : كذبتم أمير المؤمنين لايفر

طريق الفرار

ولكن أمير المؤمنين قد فر وأمعن فى فراره فما كاد يستقر بموضع حتى تداهمه طلائع العدو ، فيغادره هاربا إلى موضع آخر

فر إلى « حران » فأقام بها نيفا وعشرين يوما » ومضى منهزما حتى مر بقنسرين و« عبدالله بن على » متبع له ، ثم هرب « مروان » إلى « حمص » فأقام بها يومين أو ثلاثة ثم شخص منها و هو مرعوب منهزم، ومضى حتى مر بدمشق و تركها حتى قدم « فلسطين » وتابع فراره حتى وصل إلى مصر

(٤) مطاردته فى مصر

وجاء كتاب « أبى العباس » يأمر بتوجيه « صالح بن على » فى طلب « مروان » فصار صالح بن على فى ذى القعدة حتى نزل بالرملة، وسار « صالح » بجيشه حتى نزل ساحل البحر وتجهز يريد « مروان » الهارب » بالفرماء » حتى نزل صالح » بالعريش » فلما علم « مروان » بذلك أحرق ما كان حوله من علف و طعام وهرب ، قالوا :

ومضى صالح بن على فنزل النيل ، ثم سار حتى نزل الصعيد وبلغه أن خيلا لمروان بالساحل يحرقون الأعلاف فوجه إليهم قوادا ، فأخذوا رجالا فقدموا بهم على « صالح »

وهو بالفسطاط فعبر «مروان» النيل وقطع الجسر وحرق ما حوله ، ومضى «صالح» يتبعه ، فالتقى هو وخيل «مروان» على النيل فاقتتلوا ، فهزمهم صالح

وهكذا ظل يطارده «صالح» حتى اهتدى إلى مكانه الذى لجأ اليه فى كنيسة بوصير.

خاتمة مروان — كيف صرع

قالوا : فوافوهم فى آخر الليل ، فهرب الجند ، وخرج إليهم «مروان» فى نفر يسير فأحاطوا به

قالوا : وطعنه رجل — من أهل البصرة ، وهو لا يعرفه فصرعه

فصاح صائح : صرع أمير المؤمنين

وابتدروه فسبق اليه رجل من أهل الكوفة كان يبيع الرمان فاحتز رأسه !

*
* *

وهنا يروى لنا بعض المؤرخين ، رواية أقرب إلى القصص والخيال وإن كانت غير مستحيلة الوقوع فيقول

إنهم لما أحضروا رأسه قدام صالح بن على أمر أن ينفض فانقطع لسانه فأخذه هر وأرسله صالح إلى السفاح وقال

قد فتح الله مصر عنوة بكم ٭ وأهلك الفاجر الجعدى إذ ظلما
وذاك مقوله هر يجرره ٭ وكان ربك من ذى الكفر منتقما

قالوا ولما وصل الرأس إلى (السفاح) وهو بالكوفة سجد شكراً لله !



الاغراء (١)

أو «أم رتيبة»

ليس حسنها بالرائع ، ولا قوامها بالقوام النادر الفذ ، ولكنها مع ذلك جميلة جذابة ، يتناسق شكلها الاجمالي في مجموعه فيغطي على ماقد يلمحه المتفرس المتنبه من هنات طفيفة في بعض الاجزاء

عيناها و فوها وأنفها ، هي سر كل سحر ، ومصدر كل فتنة ، وهي كافية باشتغال الناظر عن كل ماعداها ، ولصوتها رنة موسيقية تفعم قلب السامع بالسرور وتملأه طربا ونشوة ، ولها ذوق نادر في اختيار الأزياء ، واهتداء موفق في انتقاء هندامها قصيرة القامة ، رفيعة الجسم ، جذابة الحديث ، ولكنها غريرة طيبة القلب فارغة العقل قابلة للتأثر عاتسمعه سهل استهواؤها ولا يتطلب التأثير عليها عناء كبيرا

زوجت من مزارع غني وهي في السادسة عشرة ومكثت معه نحو عامين ثم مات تاركا لها ثروة متوسطة ، يربو ايرادها السنوى على المائة جنيه

وعن لها أن تترك بلاد الريف لتقيم في القاهرة ، ثم لم تتردد في انفاذ هذه الفكرة فاستأجرت شقة أقامت فيها بضعة أشهر ، تعرفت في خلالها بسيدة فاضلة تسكن المنزل المقابل لبيتها ، ولم يمض زمن طويل حتى توثقت أواصر المودة ، ووصل الحب بينهما الى أقصى حد ، وكان لتلك السيدة أخ وديع لين العريكة ؛ يكره اللجاج ويمقت المغامرة وكانت زوجه عاقرا مكث معها ستة عشر عاما فلم تلد له ، فتطلعت نفسه الى الزواج من أخرى ، فلم تر أخته أليق من الست (أم رتيبة) صديقتها المخلصة ، ولا أصلح لأخيها ظلت أخته ترغبه فيها وتصف له محاسنها ، مبالغة له في سمو اخلاقها ، ووفرة أدبها ، ناعتة اياها بكل ما خيله لها اخلاصها وحبها

أقدم أخوها على الزواج منها ، فرأى من جمالها ما بهره وهيمن على قلبه وملك عليه لبه ، ورأت في زوجها من كرم الاخلاق وجمال العشرة ما حببها فيه ، وقد

---

(١) من كتاب «قصص مصرية»

عنى بابنتها «رتيبة» التى خلفتها من زوجها الأول عناية الأب بابنته لا الزوج بابنة زوجه

أقبل السيد «حسن» على الست أم «رتيبة» بكل جوارحه كما أخلصت له، ولم تدخر وسعاً فى سبيل السعادة والولاء له، وقضى معها أسعد الاوقات وأهنأ الساعات ناسيا زوجه الأولى التى اشتغل قلبه عنها بزوجه الجديد.

صبرت زوجه الاولى على هجرانه مدة طويلة، ثم اضناها السقم وبرحت بها الآلام فانهكت جسمها وانتهت بها الى الموت، فقضت نحبها غير مأسوف عليها من زوجها وتركت بعدها جواً صافياً، تطيف به السعادة ولا يكدر صفوه مكدر

عاش السيد «حسن» مع الست (أم رتيبة) عيشة راضية هنية وخلف منها عدة بنات، وماتت أخته بعد مدة قصيرة فخلا الجو لها وأصبحت وحدها ربة البيت الآمرة الناهية المتصرفة بلا شريك واستمر الزوج وزوجه ينعمان بالاخلاص والحب فى عيشة راضية، لا يدخل بينهما سوء، ولا يرفرف عليهما إلا جناح السلام سبعة أعوام كاملة

وفى السنة الثامنة حدثت لها مشكلة قضائية دعتها الى الاستعانة بالاستاذ «ناشد» المحامى، الذى أقامته وكيلا عنها بطريق المصادفة، على غير معرفة سابقة

* * *

أظهر الاستاذ «ناشد» اهتماما بقضيتها؛ ولم تكد تمر أيام قلائل حتى أكثرت من ترددها على مكتبه، وأكثر من طلبها للحضور عنده

يسألها الزوج: «لم طلبك المحامى؟

فتقول له:

ــ قال لى إن الخصم قد انتقل الى مكان مجهول،

فاذا سألها فى اليوم التالى، قالت له: «انه أخبرها أنه لا يزال مهتما بالبحث عنه،

فاذا سألها فى المرة الثالثة، اجابته: «انه اخبرها انه سيهتدى الى العثور عليه بعد زمن قصير

وهكذا من المعاذير التى لا تقنع أحدا، والتى تخلق الريبة فى نفس سامعها، وتدعوه الى الشك فى صحتها لاول وهلة

لقد أحبها المحامي وأحبته ، وزين لها طريق الفساد واستعمل لباقته في التأثير على تلك الغريرة البلهاء ، فما هي الا نظرة وابتسامة حتى استهواها اليه

انخدعت الفتاة به ، وركنت اليه ، وأصاخت الى كلمات حبه الكاذبة ، فاستسلمت له منقادة غير مترددة فى مطاوعة أمره

وأراد الاستاذ ، ناشد ، أن يتقن تمثيل الدور فربط أواصر الصداقة بينه وبين زوجها المسكين ، وتظاهر له بالمودة والاخلاص ، فلم يرتب الزوج فى حسن نواياه ، وطهارة نفسه ، وشرف مقصده

بدأ بزيارة الزوج فى منزله وتناول عنده طعام العشاء ، ثم زاره الزوج مع زوجه فى بيته

وبعد اسبوع زارتهم أم المحامي وأخته فى بيتهم ، ورأت الزوج زوجها أن من الحتم عليها أن ترد لهم الزيارة ، فلم يخالف لها أمراً ، ولا رأى بأساً فى زيارتها اياهم

وهكذا افتنت ، أم رتيبة ، فى خلق الاعذار والتماس الحيل لخروجها من منزلها لزيارة المحامي ، يوماً بعد يوم تتظاهر اليوم بأنها ذاهبة لزيارة احدى صديقاتها . وفى اليوم التالي بأنها ذاهبة لاحدى قريباتها وفى اليوم الثالث لقضاء امر هام ، وفى الرابع بأنها تود شراء ملبس جديد ، وهى فى كل يوم لا تؤم الا مكتب عشيقها الاستاذ الذى ملك عليها لبها وسمعها وبصرها ، وأنساها واجبات الزوجية المقدسة ، واذهلها عن كل اعتبار آخر ، الا الرضوخ لاوامر عشيقها المخادع ، الذى كان يتظاهر أمامها بأنه يحبها الى حد الجنون ، وانه يقدسها ، ولا يرى فى الوجود ما يضارعها فى الجمال والحسن وكان يتقن تمثيل هذا الدور أمامها فتنخدع به مصدقة لان أذنيها لم تتعودا من قبل سماع مثل هذا الثناء ، ولانها كانت ـ لسلامة قلبها ـ تظن ان كل ما يقال صدق ، وان مثل هذا المحامي الشاب لا ينطق كذبا ، ولا يقرر إلا حقا

ooo

مرضت ابنة السيد ، حسن ، فزين لهم الاستاذ (ناشد) السفر الى دمياط عند أخيه ، وظل يضرب لهم على هذه النغمة كل يوم وأخذت الزوج تلحف على زوجها ضارعة اليه أن يجيب طلبها ملحفة عليه أشد الالحاف حتى اذعن آخر الامر بتنفيذ رغبتها ـ رغم ارادته

سافر الزوج مع زوجه وبناته الى دمياط واستأجروا كوخا مشرفا على البحر

قريب من اخى المحامى . ولكن لشد ما ادهش الزوج انه رأى الاستاذ ناشد فى التالى قاطنا كوخا على مسافة قريبة منه

فتساءل امام زوجه عن سبب حضور الاستاذ . فأجابته « لعل امراً هاما استدعاه . على انه ماذا يهمنا حضوره ؟ »

و بعدقليل اقترحت على الزوج ان يأدب للاستاذمأدبة بمناسبة حضوره . فنفذاقتراحها

وفى اليوم التالى ادب لهم الاستاذ مأدبة لم يتردد فى حضورها واستمروا على ذلك عدة ايام يتزاورون و يأكلون و يمرحون كانهم اسرة واحدة . وقد تحبب المحامى الى الزوج . وتصنع له الولاء والاخلاص الكاذب وكثيرآما دارت الكئوس والاقداح وثمل الزوج و المحامى

* * *

الزوج غريرة ، والزوج طيب القلب ، والمحامى لبق ظريف ولكن لكل شىء حد ، وللرياء ثوب شفاف مهلهل ، فقد كانت تبدو من المحامى حركات طائشة فى بعض الاحايين ، وكانت تلوح منه غمزات واشارات ذات مغزى خاص ، يأتيها بلا احتراس ، فلم يلبث الزوج أن داخلته الريبة فى أمر زوجه وصديقه

يثمل المحامى فيداعب «رتيبة» مداعبة تثير الشكوك ، يقبلها و يدخل بها فى الحجرة الثانية ، ويخلو بها وقتاً ما ، ثم يضمها الى صدره متظاهرا بانها كابنته على مرأى و مسمع من الزوج و زوجه ، وكانت رتيبة قد بلغت الرابعة عشرة ، ولكن الاستاذ أبى إلا ان يعدها طفلة صغيرة . تقبل وتعانق و تضم الى الصدر بلاحرج ولا مبالاة

فاذا امتعض الزوج الساذج من هذا العمل هونت عليه زوجه الامر ونفت له سوء نية الاستاذ ، مؤكدة له أنه طاهر الذيل نقى الذمة ، بعيد عن الدنس . فيسكت الزوج المسكين على مضض

* * *

وفى ذات يوم قامت (أم رتيبة) مبكرة من نومها قبل أن يستيقظ زوجها فأوصت الخادم أن تخبر سيدها — اذا استيقظ — انها ذاهبة الى السوق لشراء دجاجات

وأطلعتها على حقيقة أمرها هامسة فى أذنها انها ذاهبة الى حيث يقيم المحامى .

وسألتها ان لا تأتيها حتى تنتهى من غسل الملابس وانهاء اعمال المنزل الكثيرة التى يستغرق عملها وقتاً طويلا من النهار مؤكدة عليها ان تكتم عن زوجها خبر ذهابها الى المحامى

خرجت الزوج مبكرة الى المحامى وقضت معه ساعة ناعمة مغتبطة .ولما قام الزوج نادى زوجه فلم تجبه . فسأل الخادم عن مكانها . فلم تكذبه القول . ولا كتمت عنه حرفا واحداً مما قالته لها سيدتها

ارسل الخادم لتجسس له . فما وصلت المنزل حتى علمت أن سيدتها جالسة مع عشيقها فى مخدع نومه . فنقرت على الباب . فسألتها الزوج :

ــ هل انهيت عملك

ــ نعم

ــ كيف انهيته بهذه السرعة

ــ لا أعلم

ــ هل صحا سيدك

ــ لا

المحامى ــ حذار ان تخبريه انها عندى

ــ لن اخبره بذلك

المحامى ــ هيء ! هيء ! يلعن ابوك !

* * *

جاء الزوج فرأى زوجه واقفة فى النافذة تصلح ما أفسده المزاح والعبث من شعرها ،فاهتاج ولكنه سكن من نفسه الثائرة قليلا

سألها غاضبا أن تعود الى منزلها فاستعطفته أن يمكث معها فى منزل المحامى ريثما يشرب القهوة فأبى البقاء وحتم عليها مغادرة ذلك المكان ، فاطاعته ، وعادت معه الى الكوخ

حاول الزوج أن يقنعها بالسفر معه الى القاهرة فأبت ، فأظهر لها غضبه وسخط من مزاح الاستاذ مع ابنتها (رتيبة) فأجابته منفعلة :

(ذلك أمر يعنينى ولا يعنيك ، فأنا أمها المتصرفة فى أمورها وليس لك فيه شأن)

وقامت بينهما لجاجة وخصام ، وثار ثائر الزوج الحليم ، فكسر الاطباق وحطم الاوانى وأصبح فى حال من الغضب انسته كل شيء

-- لا بد من السفر معى فى الحال

— كلا لن اسافر معك

— هل تجرئين على ذلك

— ولم لا

— إذن اتركك

— فى الف داهية

• • •

أخذ معه بناته الصغيرات مصمما على السفر الى القاهرة ، ولم يكد يصل الى المحطة . سائلا عن موعد سفر القطار الى القاهرة حتى علم أنه يقوم بعد ساعتين ونصف ساعة

لبث مدة مع بناته الصغيرات يداعبهن بقلب مكلوم حزين حتى اذا لم يبق على موعد سفر القطار الا ساعة واحدة خرج ليأتيهن بطعام فقابله عربى شهم من أصدقائه القدماء ، فعلم منه القصة بحذافيرها ، فرثى لحاله ، وأقسم عليه ليأخذنها معه رغم انف عشيقها وما زال به حتى اضطره الى العودة اليها مع بناته وذهبوا جميعا الى الكوخ . ولما رأت الزوج تصميم العربى على مساعدة زوجها التفتت اليه مغضبة :

— ماذا تريد ياشيخ احمد

— اريد أن تسافرى مع زوجك

— وماذا يهمك من أمرى

— يهمنى أنه صديقى الوفى .

— هون عليك ، فقد اتهمك من قبل بأنك كنت تغازلنى .

لم يكد العربى الشهم يسمع من فيها هذه التهمة الكاذبة حتى استعاذ بالله من سوء ظن الزوج ، وفترت همته فى مساعدته

وفى اليوم التالى بحثا عنها فى دمياط فلم يجداها ، لقد هربت الى اين ، لايعرفان سألا عنها المحامى فتظاهر بأنه لايعلم مقرها ، كأنه لم يدبر لها خطة الهرب .

واصل الزوج البحث حتى علم انها ذهبت الى اهلها فى الريف فاسرع بالسفر اليها . فوجدها عند عمها . فسأله الاخير عن سبب سفرها . فلم يستطع الافضاء اليه بالحقيقة كاملة . ولكنه لمح له بطرف منها واخبره انها كثيرا ماتسمح لابنتها رتيبة بالمزاح مع المحامى

فوبخها عمها على ذلك وارغمها على السفر معه

وبعد لأى ماسافرت معه الى القاهرة

***

عاد الزوج وزوجه الى القاهرة فوجد المحامى قد سبقهما الى العودة ومضى الاسبوع الأول بسلام

واحتاج الزوج يوماً الى من يقرأ له عقداً مكتوبا بالفرنسية ويترجم فحواه ، فعثر فى طريقه بكاتب عاطل كان يعمل فى مكتب الاستاذ ناشد ثم طرد منه منذ أيام قلائل ، فطلب اليه الزوج أن يترجم له العقد فسأله : —

— « ولم لم تذهب الى الاستاذ ناشد ليترجمه لك ؟ »

— « لقد قاطعته نهائيا فقد كاد يخرب بيتى ويفسد على امرأتى »

— « لقد طالما ترددت فى اخبارك بنهتك هذا الاستاذ الخليع ، ولكننى خشيت أن لاتصدقنى »

— « ليتك فعلت »

— « ولكن ألم تلاحظ على زوجك شيئا حين كانت تعود متأخرة من مكتب المحامى ؟ »

— لم ألاحظ شيئا سوى أنها كانت تغيب أحيانا الى ساعة متأخرة من الليل

— ألم تلاحظ عليها أنها كانت تعود ثملة ! . .

— ثم . . . لة . ثم . . . . . لة . رباه . أحق ذلك ؟ أتجد ؟ أكانت تسكر معه ؟

لا أعلم ، لا أعلم ، لا . . لا . . . لعلى أخطأت القول ، آه . لقد قادتنى السرعة وعدم الاحتراس الى قول ما لا ينبغى قوله

* * *

عاد الزوج ثائر النفس الى بيته ، ولم ينبس ببنت شفة ، وانتهز الكاتب

المطرود هذه الفرصة . فذهب الى مكتب استاذه متملقا . وانبأه أنه قبل الزوج . وانه سبه وطعن عليه متهما اياه بمحاولته افساد زوجه . ولكنه دافع عنه امامه دفاعا مجيدا .

غضب الاستاذ المحامى من وقاحة الزوج وقلة ادبه . كيف يجرؤ على مس شرفه كيف يتهمه بافساد زوجه . الي الانتقام اذن الى الانتقام اذن من ذلك الزوج الوقح

نعم فان من ينتهك حرمة الزواج المقدسة . ويتخذ من الواجب وسيلة للافساد والاغواء ومن الصداقة سبيلا الى تدنيس اقدس رابطة انسانية . جدير ان يغضب إذا بلغه ان مثل ذلك الزوج الحليم قد دفعه الألم الى التفوه بكلمة تشعر بارتيابه من ذلك القانونى البارع !

وكم فى الحياة من غرائب ومدهشات !

٭٭٭

غضب الاستاذ وبعث رسولا الى « رتيبة » يحثها الى الذهاب اليه فى الحال ، فلبى الرسول الأمر ، وابلغها اياه — وكانت جالسة مع زوجها — فغضب الزوج من هذا الطلب الخبيث المشوب بلهجة الآمر المتصرف ، وأمر الزوج ان لاتخرج فأبت فكر رتليها الامر ، فلم تذعن ، فمكث فى المنزل يمنعها من الخروج فتظاهرت بعد قليل بالعدول عنه حتى اذا اطمأن الزوج الى بقائها فى المنزل ، ذهب الى عمله ، ولم يكد يخرج حتى أسرعت الى مكتب المحامى الذى نفث فيها سحره . وزين لها طريق الغى . واختط لها سبيل الفرار من ذلك الزوج

عادت الى منزلها متشبعة بنصح المحامى . وقضت مع زوجها ليلة صاخبة . ثم قامت صائحة فى منتصف الليل منادية الخفير لينقذها من زوجها الذى يريد قتلها بخنجره . صعد الناس فوجدوا الزوج يستيقظ من نومه مذعوراً ووجدوا الخنجر فى يدها فوبخوها بلطف على ذلك التجنى الجرىء . وفى الصباح هربت مع ابنتها الي حيث لا يعلم الزوج

٭٭٭

واصل الزوج البحث عنها شهرا فلم يهتد الي مكانها . توسل الى المحامى أن يرشده الى طريقها . فسبه المحامى ولعنه وطرده طردا ، عاد الزوج الى منزله مكتئبا حزيناً ولكنه لم ييأس . بل واصل البحث متنسما الاخبار . يسمع انها فى شبرا . فيذهب منقباً

باحثاً بلا جدوى . ثم يسمع انها فى العباسية . وأخرى انها فى حى القلعة وثالثة انها فى حى مصر القديمة . ورابعة انها فى الظاهر . وهكذا ظل دأب نحو ثلاثة اشهر من غير أن يصل الى نتيجة مجدية !

وفى ذات يوم قابله خباز منزله — وكان عارفاً بالقصة متأثراً بوقائعها — وبينما هما سائران اذ لمح الزوج المحامي سائراً فى الطريق . فلفت اليه الخباز . وسأله أن يتتبع سيره متخفياً . ففعل حتى اذا وصل الى محطة حلوان التفت الاستاذ يمنة ويسرة فلم يجد احدا يتعقبه فقطع تذكرة فى الدرجة الاولى وقطع الزوج والخباز تذكرتين فى الدرجة الثالثة . فلما وصل المحامي الى حلوان نزل ونزل الخباز والزوج يتعقبانه

وخشى الزوج أن تعين من المحامي التفاتة اليه فيفسد عليهما التدبير ، وثم جلس فى حانوت جزار يعرفه ويخلد اليه بالثقة

أما الفران فسار متتبعاً المحامي مدة طويلة حتى اذا قرب المحامي من منزله ، التفت يمنة ويسرة فلم يجد سوى الخباز ، فداخلته الريبة فى أمره

ولكن الخباز لم يدع الريبة تثبت فى نفسه ، فأسرع ينادي — :

« يا أولاد الحلال ، بقشاشها عزيزة ، ولمدا به على ... الخ »

اطمأن المحامي ودخل المنزل فعرف الفران ، وأسرع عائداً الى الزوج والجزار وأخبرهم بمكان المحامي والزوج الخائنة فأطبقوا جميعاً عليهم واستاقوهم الى القسم ، حيث لقى الاستاذ والزوج جزاءهما العادل . « ك . ك »

بين الأدباء

ننشر فى هذا الباب الرسائل التى دارت بين كبار الأدباء والطرف التى تقال فى مجالسهم ، تكميلا للناحية الناقصة ، وسداً للفراغ الناشىء عن اهمال هذه النواحى التى يعتمد عليها المؤرخون فى تسجيل تاريخ العصر الحديث .

ومن مميزات هذه الرسائل أنها كتبت عفو الخاطر ، فلم يتعمد كاتبوها ولم يتكلفوا تزويقها وتنميق عباراتهم لانهم لم يكتبوها للجمهرة من الناس بل لأصدقائهم خاصة .

وسيتعرف القراء من هذه الرسائل نواحي كثيرة كانت جد خافية عليهم . فلعل أكثر القراء يجهلون مثلا أن للأستاذ العالم الجليل فريد وجدى بك شعرا . والعصور ترحب بكل ما يردها من حضرات الأدباء من هذه الطرف .

من الأستاذ الزين إلى الأستاذ وجدى بك

غرام كل يوم فى ازدياد ... ونأى منك برح بالفؤاد

وأشواق يذكيها ادكارى ... ويورى نارها ورى الزناد

إذا قال الخلى خبت لظاها ... رأى جمرا كمينا فى رماد

وإن قلت : اكتفت غير الليالى ... رمانى رائح منها وغادى

تفرق بين أحبابى وبينى ... وتسلمنى إلى عيش الوحاد

تهون - نوائب الايام الا ... نوى الأحباب أو قرب الأعادى

***

أصحبى مذ نبت عنكم دیاری ... نبا عنى الكرى ونبا وسادى

وكان بقربكم اسعاد عان ... وسلوة واله وشفاء صادى

سأذكركم إذا غبتم فانى ... أرى ذكراكم خير العتاد

فلا تحسب محمد أن عيشى ... يطيب على صفاء وابتعاد
فريد — إن تقسه بمن سواه ... فهيهات التماثل من الوهاد
قبس - ضلالة - نجما بشمس ... إذا طلعت يضيء على البلاد
فدمت فريد للعليا، نورا ... ودمت تتاج آمال العباد

أحمد الزين

من الاستاذ وجدى بك الى الاستاذ الزين

كأنك قد علمت بما أعانى ... من الأشواق والغير العوادى
فجئت منفسا عنى بعذب ... من الكلمات والفقر الهوادى
فرب عشية لك أذكرتنى ... من التاريخ عهدا من اياد
ورب قصيدة لك خلت انى ... -اذا رويت- أحدث عن زياد (١)
أعدت الى القريض حلى التبدى ... وصنت الشعر من وهم الفساد
وجردت اللغا عما أقلت ... من اللحن الزرى المستعاد
وأحييت الرواية فهى حوض ... وأنت عليه تروى كل صادي
وبعد، فقد بعثت الى شعرا ... فما أغلى وما أحلى لشادى
شوارد لا تذل لغير فحل ... وغر دونها خرق القتاد
فأكثر من نظائرها فانى ... اراها منك آيات الوداد
وعش يازين مصر تعيد مجدا ... وتبني سؤددا سامى العماد

محمد فريد وجدى

قاطع من يقاطعك

من الاستاذ الزين إلى صديق له

أبخل باعين بالدمع على ... من بصافى الود منه بخلا
طالما أسهدتنى فى حب من ... نام عن ليلى قريرا وسلا
وشغلت الجفن بالدمع إذا ... بان من عنى ودنا قد شغلا

---

(١) هو النابغة الذبيانى

مرة تبكين عهـــدا ناضرا وارف الظل وآنا مـــنزلا
غيضى من دمعك الآن فقد غاض ماء الود منه وقـــلا

٭ ٭ ٭

أفؤادى طالما كلفتنى ودمن يبغى بودى بدلا
تحفظ العهـــد لمن ضيعه وترى المعرض وجها مقبلا
طالما حملتنى فى حبه زفرة حـــرى وسقما معضلا
ماعساك اليوم تجنى منهم تغرس الكرم وتجنى حنظلا
حال من أحببته عن عهـــده لم تزل تتبع من قد رحـــلا
فاقطع اليوم حبالا وثقت إنه قد شاء ألا توصـــلا

أحمد الزين

استدراك

سقط بيت من قصيدة الاستاذ أحمد الزين التى كتبها الى الاستاذ وجدى بك وقد نشرناها فى العدد السابق ونحن ننشر ذلك البيت والذى قبله وهما :

وما زلت حتى جدرث قديمه بجدك وازدان الطريف المولد
ولاحت لراجيه المعالم بعد ما عفت من قواميه طريق معبد

حنين المطايا

دع المطايا تنسم الجنوبا (١)
إن لها لنبأ عجيبا

***

حنينها – وما اشتكت لغوبا
يشهد أن قد فارقت حبيبا

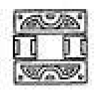
***

ما حملت الا فتى كئيبا
يسر مما أعلنت نصيبا !

***

لو ترك الشرق لنا قلوبا
إذن لأثرنا بهم النيبا (٢)
إن الغريب يسعد الغريبا

بعض الأعراب



---

(١) تشم نسيم الجنوب
(٢) النوق المسنة

ذكرى مى

ذكرت — فاهتاج السقام المضمر
وقد يهيج الحاجة التذكر —
ميا (١) ، وشاقتك الرسوم الدثر

***

أم الدموع سجم ؟ أم تصبر ؟
وليس ذو عذر كمن لا يعذر ! ،
وما إلى مطموسة مستعبر
قفر ، يعفيها العجاج الأكدر
قد مر أحوال لها ، وأشهر
وقد يرى فيها لعين (٢) منظر
مجالس ، وربرب مصور
جم القرون (٣) ، آنسات خفر
أتراب مى — والوصال أخضر
ولم يغير وصلها المغير
وقد عدتنى عاديات شجر (٤)
عنها ، وهجر — والحبيب يهجر

ذوالرمة (٥)

---

(١) مفعول ذكرت أى ذكرت ميا
(٢) النساء الحسان وأصل معناها البقرات الوحشية
(٣) ليس لها قرون
(٤) موانع
(٥) اسمه غيلان بن عقبة العدوى الربابى

اعرابية تندب ابنها

لئن كنت لهوا للعيون ولذة ... لقد صرت سقما للقلوب الصحائح
وهون حزنى أن يومك مدركى ... وأنى غدا من اهل تلك الضرائح

أعرابية اخرى تندب ابنها

أبنى ! غيبك المحل الملحد ... اما بعدت فاين من لا يبعد
أنت الذى في كل ممسى ليلة ... تبلى ، وحزنك فى الحشا يتجدد

أعرابية ثالثة تندب ابنها

ياقرحة القلب والاحشاء والكبد ... ! ياليت امك لم تحبل ولم تلد
لما رأيتك قد أدرجت فى كفن ... مطيبا للمنايا آخر الابد
أيقنت بعدك أنى غير باقية ... وكيف يبقى ذراع زال عن عضد

« رثاء رابع »

يا ساكن القبر الذى بوفاته ... عميت على مسالك الرشد
اسمع أبثك علتى ، ولعلنى ... أطفى بذلك حرقة الوجد

اعرابيه

* * *

أما فى بنى حصن من ابن كريهة ... من القوم طلاب التراث غشمشم
فيقتل جبرا بامرىء لم يكن له ... بواء ، ولكن لا تكايل (١) بالدم

* * *

من لقلب شفه الحزن ... ولنفس مالها سكن
ظعن الابرار ، فانقلبوا ... خيرهم من معشر ظعنوا
معشر قضوا نحوبهم ... كل ما قد قدموا حسن
صبروا عند السيوف فلم ... ينكلوا عنها ، ولا جبنوا

---

(١) المكايلة بالدم منعها الاسلام فاصبح لا يقتل بدل الواحد الا واحد ـ شريفا كان أو وضيعا .

فتية باعوا نفوسهم لا وربإ البيت ما غبنوا
فأصاب القوم ما طلبوا منة ـ ما بعدها منن

° ° °

لعمرك ما خشيت على أبي متالف ـ بين قو فالسلى
ولكنى خشيت على ابى جريرة رعه فى كل حى
فتى الفتيان محلول مر وأمار بإرشاد وغى
فيالهف الارامل واليتامى ولهف الباكيات على أبى

حزمى وفضلى (١)

زعمت تماضر أنى ـ إما أمت ـ ° يسدد أينوها الأصاغر خلتى

° ° °

تربت يداك ! وهل رأيت لقومه ° مثلى ـ على يسرى وحين تعلتى
رجلا إذا ما النائبات غشينه ° اكفى لمعضلة ـ وإن هى جلت

° ° °

ومناخ نازلة كفيت ، وفارس ° نهلت قناتى من مطاه وعلت
وإذا العذارى بالدخان تقنعت ° واستعجلت نصب القدور فملت (٢)
دارت بأرزاق العفاة (٣) مغالق (٤) ° بيدى من قمع العشار الجلة (٥)

° ° °

ولقد رأيت ثأى العشيرة بينها ° وكفيت جانيها اللتيا والتى
وصفحت عن ذى جهلها ، ورفدتها ° نصحى ـ ولم تصب العشيرة زلتى
وكفيت مولاى الأحم (٦) جريرتى ° وحبست سائمتى على ذى الخلة

---

(١) قالها سلمى بن ربيعة الشاعر الجاهلى
(٢) اذا لبست العذارى قناعا من الدخان الذى يغشيها فأسرعت تدخل قطعة من اللحم أو الخبز فى الملة (الرماد الحار) لتأكله بسبب القحط
(٣) السائلين (٤) قداح (٥) من أعالى سنام النياق العشار (٦) القريب

زوج كليب ترثيه (١)

يا قتيلاً قوض الدهر به ... سقف بيتى جميعاً من عل
ورمانى فقده من كثب ... رمية المصمى به المستأصل
هدم البيت الذى استحدثته ... وسعى فى هدم بيتى الأول
مسنى فقد كليب بلظى ... من ورائى، ولظى مستقبلى
ليس من يبكى ليومين كمن ... إنما يبكى ليوم ينجلى
درك الثائر شافيه، وفى ... دركى ثأرى ثكل المثكل
ليته كان دمى، فاحتلبوا ... دركا منه دمى من أكحلى

أشعل لظى الحرب (٢)

قلت لزيد: « لاتترتر ، فإنهم ... يرون المنايا دون قتلك أو قتلى،
فإن وضعوا حربا فضعها، وإن أبوا ... فعرضة عض الحرب (٣) مثلك أو مثلى
فإن رفعوا الحرب العوان التى ترى ... فشب وقود الحرب بالحطب الجزل »

أكرم الأقوام (٤)

القائلين إذا هم بالقنا خرجوا ... من غمرة الموت فى حوماتها: عودوا
عادوا، فعادوا كراما، لا تنابلة ... عند اللقاء ولا رعش رعاديد
لا قوم أكرم منهم يوم قال لهم ... محرض الموت: عن أحسابكم ذودوا

البعيث بن حريث يفخر بنفسه

خيال لأم السلسبيل ودونها ... مسيرة شهر للبريد المذبذب (٥)

---

(١) زوج كليب هى جليلة وقد رثته بهذه الأبيات حين قتله أخوها جساس.

(٢) قالها موسى بن جابر الحنفى الشاعر الاسلامى النصرانى مخاطبا أخاه زيداً.

(٣) أى المتعرض لنا بالحرب

(٤) قالها عمرو القنا التميمى الأموى المعاصر لعبد الملك بن مروان.

(٥) الذى لايستقر

فقلت له : « أهلا وسهلا ومرحبا » فردت بتأهيل وسهل ومرحب

***

معاذ الإله أن تكون كظبية ولا دمية ولا عقيلة ربرب (١)
ولكنها زادت على الحسن كله كمالا ، ومن طيب على كل طيب

***

وإن مسيرى فى البلاد ، ومنزلى لبالمنزل الأقصى — اذا لم أقرب
ولست — وإن قربت يوما — ببائع خلاقى(٢) ، ولا دينى ابتغاء التحبب
ويعتده قوم كثير تجارة ويمنعنى من ذاك دينى ومنصبى

***

دعانى يزيد — بعد ما ساء ظنه وعبس ، وقد كانا على حد منكب
وقد علما أن العشيرة كلها سوى محضرى — من خاذلين وغيب
فكنت أنا الحامى حقيقة وائل كما كان يحمى عن حقائقها أبى

ذكرى أيام الوصال(٣)

تمذنى بالود سعدى ، فليتها تحمل منا مثله ، فتذوق

***

ولو تعلمين الخير ، أيقنت أننى ورب الهدايا المشعرات صدوق
أذود سوام الطرف عنك وماله إلى أحد الا عليك — طريق
أم بصرم الحبل ثم يردنى عليك من النفس الشعاع فريق
تهيجنى للوصل أيامنا الالى مررن علينا والزمان وريق
ليالى لاتهوين أن تشحط النوى وأنت خليل لايلام — صديق
ووعدك إيانا وقد قلت — عاجل بعيد — كما قد تعلمين — سحيق
فأصبحت لاتجزيننى بمودتى ولا أنا للهجران منك مطيق

---

(١) بقرة وحشية (٢) حظى أو نصيبى
(٣) قالها معقرس المزنى

وأصبحت عاقتك العوائق، انما كذاك وصل الغانيات يعوق

***

وكادت بلاد الله يا أم معمر بما رحبت يوما على تضيق
تتوق اليك النفس ثم أردها حياء ومثلى بالحياء حقيق
وإنى وإن حاولت صرمى وهجرق عليك من احداث الردى لشفيق

***

وان كنت لما تخبرينى فسائلى ــ فبعض الرجال للرجال رموق
سلى ، هل قلانى من عشير صحبته وهل ذم رحلى فى الرحال ــ رفيق
وهل يجتوى القوم الكرام صحابتى ــ إذا اغبر مخشى الفجاج عميق
واكتم أسرار الهوى فأميتها اذا باح مزاح بهن بروق

***

شهدت برب البيت أنك عذبة الثنايا وأن الوجه منك عتيق
وأنك قسمت الفؤاد فبعضه رهين وبعض فى الحبال وثيق
صبوحى ــ إذا ماذرت الشمس ــ ذكركم وذكركم ــ عند المساء ــ غبوق

***

وتزعم لى ياقلب أنك صابر على الهجر من سعدى ، فسوف تذوق
فت كدا ، أو عش سقيا ، فانما تكلفنى ما لا أراك تطيق

ألم (١)

وأدنيتنى حتى اذا ما استبيتنى بقول يحل العصم سهل الأباطح
توليت عنى ــ حين لالى مذهب ــ وغادرت ماغادرت بين الجوانح

توبة غير صادقة

أليس وعدتنى ياقلب أنى اذا ماتبت عن ليلى تتوب
فها أنا تائب عن حب ليلى فمالك كلما ذكرت تذوب !

(١) مما يروون أن جريرا حين سمع هذين البيتين قال لمنشدهما : « لولا أنه لا يحسن بشيخ مثلى النخير لنخرت حتى يسمع هشام على سريره ! »

أمل

وإنى لأرضى من بثينة بالذى لو ابصره الواشى لقرت بلابله
بلا، وبأن لا أستطيع، وبالمنى وبالأمل المرجو قد خاب آمله
وبالنظرة العجلى، وبالحول ينقضى أواخـــره لاتلتقى وأوائله

ثأرى قطع لسانه (١)

معاوى إلا تعطنا الحق تعترف لحى الازد مشدوداً عليها العمائم
ويشتمنا عبد الاراقم ضلة وماذا الذى تجرى عليك الاراقم
فالى ثأر دون قطع لسانه فدونك من يرضيك منه الدراهم

⁂

وإنى لاغضى عن أمور كثيرة سترق بها يوما اليك السلالم
أصانع فيها عبد شمس، وانني لتلك التى فى النفس منها أكاتم
فما أنت والامر الذى ليس أهله ولكن ولى الحق والامر هاشم!

رزء فادح (٢)

يريب علينا دهـرنا فيسوءنا ويأبى، فما نأتى بشىء نغالبه

---

(١) قالها النعمان بن بشير مؤنباً معاوية على هجو الأخطل الانصار، وموجز الخبر أن معاوية أراد الطعن على الانصار — لانهم أصحاب على بن أبى طالب خصمه لاله ـ فلم يجرؤ أحد على ذلك حتى اهتدى معاوية الى الاخطل فدعاه وأمره بهجائهم فقال له: «على أن تمنعنى» قال: «نعم» فقال فيهم قصيدة منها قوله:

لعن الاله من اليهود عصابة بالجزع بين صليصل وصرار
قوم — إذا هدر العصير — رأيتهم حمـراً عيونهم من المسطار
خلوا المكارم لستم من أهلها وخـذوا مساحيكم بنى النجار
إن الفوارس يعلمون ظهوركم أولاد كل مقبح أكار
ذهبت قريش بالمكارم والعـلا واللؤم تحت عمائم الانصار

فلما بلغ ذلك النعمان بن بشير دخل على معاوية وأنبه بهذه القصيدة

(٢) من كلام هند القرشية بنت عتبة أم معاوية وامرأة ابى سفيان وكانت تتغنى بهجاء النبى فأمر بقتلها يوم فتح مكة ثم عفا عنها بعد اسلامها ثم شهدت واقعة اليرموك مع زوجها وماتت سنة ١٣ هـ فى أول خلافة عمر بن الخطاب

أبعد قتيل من لؤى بن غالب ... يراع امرؤ إن مات أومات صاحبه ؟

ooo

ألا رب يوم قد رزئت مرزأ ... تروح وتغدو بالجزيل مواهبه
فأبلغ أبا سفيان عنى مألكا ، ... فان ألقه - يوما فسوف اعاتبه
فقد كان حرب يسعر الحرب ، إنه ... لكل امرىء فى الناس مولى يطالبه

هند بنت عتبة

مات إخوتى (١)

إخوتى ! لا تبعدوا أبدا ... وبلى والله ! قد بعدوا !
لو تملتهم عشيرتهم ... لاقتناء العز أو ولدوا
هان من بعض الرزية ، أو ... هان من بعض الذى أجد
كل ما حى - وإن أمروا - ... واردو الحوض الذى وردوا

فاطمة الخزاعية

إن تبكيا ، لا تبكيا هينا ... وما بما مسكما من خفا
إذ يخرج الكاعب من خدرها ... يومك ، لا تذكر وفيه الحيا

هند بنت معبد

مات أبى

أأميم ! هيهات الصبا ! ذهب الصبا ... وأطار عنى الحلم جهل غرابى
أين الألى بالأمس كانوا جيرة ؟ ... أمسوا دفين جنادل وتراب
ماتوا - ولو أنى قدرت بحيلة ... لأحدت صرف الدهر عن أحبابى

ooo

ما حيلتى إلا البكاء عليهم ... إن البكاء سلاح كل مصاب

هند بنت معبد

---

(١) من كلام فاطمة الخزاعية زوج الجراح وسليلة أحد سادات العرب، تزوج أبوها من خالدة بنت هاشم بن عبد المطلب

النقد والتأليف

مصرع كليوباترا

تأليف أحمد شوقي بك

تعد هذه الرواية الشعرية التمثيلية غاية مابلغته عبقرية أمير شعرائنا أحمد شوقي بك ، وإذا قلنا أمير شعرائنا أو حذفنا هذا النعت المصطلح عليه تقليدياً منذ ترعرع شوقي بك في ظل أمير مصر السابق ، ومنذ كان شاعره الخاص ، فما نحن بذلك نرفع ولا نخفض من قدر الشاعر المصري الكبير مؤلف (مصرع كليوباترا) ، وهي وحدها كفيلة بأن تصون له منزلة ممتازة بين شيوخ شعرائنا البارزين .

يقع كتاب هذه الرواية في ١٥١ صفحة من القطع الصغير ، منها ١١٢ صفحة خاصة بقسمها الشعري التمثيلي والباقي وقف على نظرات تحليلية بقلم المؤلف في موضوع الرواية وتاريخها وشخصياتها . ويبلغ عدد شعرها زهاء مائتين وألف من الأبيات وهي مطبوعة طبعاً نقياً وموضحة بطائفة من الصور بريشة الأستاذ صاروخان وإن لم يكن موفقاً في بعضها بسبب جهله العربية وعدم إلمامه الوافي بدقائق الرواية على ما نقدر ، لأن منزلة هذا الأستاذ الرسام فنياً في المرتبة الأولى في مصر .

وقد قرأنا أوصافاً شتى لهذه الرواية التي هي نتيجة مجهود سنوات متتابعة ، ونحن نوافق من نعتوها «ميلودرامة» ونخالف من اعتبروها صالحة لأن تكون أوبرا ، ودليلنا على ذلك التنويع المحدود في نظمها ، وما فيها من الالتفات الى نواح ودقائق لا تعنى بها الأوبرات ، فضلا عن كبر حجمها نسبياً ، حينما الأوبرات تستدعي الايجاز مطاوعة للغناء . وكيفما كان نوع هذه الرواية التمثيلية فعندنا أنها كانت جديرة بالتقدير من لجنة المباراة التمثيلية لأنها صنف من التجديد في الشعر قمين بكل تشجيع .

وفي الواقع أن شوقي بك أنصف سمعته بين المجددين باخراج هذه الرواية وإن كنا نعترف بأنها ليست الأولى من نوعها ، كما نعترف بأن مؤلفها الكبير انتفع

بمجهود من سبقوه فى التأليف الشعرى للمسرح . ولكن هذا كله لا ينقص من قدره حتى وإن لم يجىء لنا شوقى بك بأسلوب فنى جديد ، وآية ذلك أننا ما نزال مفتقرين الى الشعر التمثيلى ، فلا يسعنا الا الترحيب بكل أثر يضاف الى ماعندنا من آثار قليلة لنفر معدود من شعرائنا الجريئين ، لأن هذه الآثار ما تزال ضئيلة العدد ، لا تكفى لتكوين هذا النوع من الأدب التمثيلى بدرجة تعتز بها اعتزازاً بين الأمم المثقفة.

بقي علينا أن نشير الى دفاع شوقى بك عن كليوباترا وقد انتقده كثيرون من أجله ولكننا نعده حقه الفنى كمؤلف وشاعر ، وأن نشير الى أسلوبه الذى امتاز فى مواقف متعددة بالسلاسة والصفاء وبالرنة الموسيقية وإن جنح أحياناً الى التعابير البدوية المملولة ، ثم الى تصرفه فى اخراج شخصيات الرواية فنقول إنه كان فى الجملة موفقاً ، وبعد هذا نهنئه ونهنىء الأدب العصرى بهذا الأثر الجليل .



مختار القصص

تأليف الاستاذ كامل كيلانى

يعرف قراء (العصور) وغيرها من المجلات العربيه نفثات يراعة الكاتب المتفنن الاستاذ كامل كيلانى فهى فى غنى عن التعريف بها وإن تنوعت وكثرت . ولكن الذى يستحق التنويه به هو نشاطه الذى لا يكل الجديربأن يحتذيه أدباؤنا، فبينما كثرهم يؤثر السخط والتذمر من غير إنتاج مشرف

وآخر ما استمتعنا به من تصانيف الاستاذ كامل كيلانى كتابه الشائق (مختار القصص الذى عنيت بنشره مكتبة الوفد بالقاهرة) جامعاً النخبة ممتازة من قصص مصرية وضعية وأخرى مترجمة عن بو وتشكوف وغيرهما ملخصة عن السينما فكان متناسب الوضع والاختيار والتنسيق ، جميل الطبع ، كثير التوضيح نبيل الغاية بما فيه من نزعات تهذيبية سامية مبسوطة فى غير مواربة ؛ مكشوفة للمصريين النابهين

فاذا هنأنا الاستاذ كامل كيلانى بمصنفه هذا البديع فاننا فى الوقت ذاته نهنىء معه أنصار الادب الجديد ؛ وسوف ننشر مغتبطين فى العدد الآتى من (العصور) مقالا نقدياً ممتازا لكتابه من قلم الناقد المعروف الاستاذ على محمد البحراوي فنكتفى الآن بهذه الاشارة الحقة بجهده المتسامى وفضله المتواصل على الادب العصري

النيل في السودان

مصدر للقواقع المسببة لانتشار مرض البلهارسيا في القطر المصرى

بقلم الدكتور محمود مصطفى حلمى

(دبلوميه في الصحة العامة ودبلوميه في أمراض المناطق الحارة من جامعتي مونبليه وباريز)

يدين الباحثون عن كيفية استئصال مرض البلهارسيا من مصر للاستاذ ليبر باكتشافه للدور الهام الذى تقوم به قواقع خاصة فى نمو طفيليات البلهارسيا وانتشار المرض بين الأفراد.

ولقد استفزت البلهارسيا منذ عهد بعيد — نظراً لسعة الاصابة بها بين سكان القطر المصرى وخطورتها — همم كثير من الباحثين لاستكمال البحث فى ادوار نموها وذلك املا بالوصول الى طريقة تضع حداً لضحاياها. ولقد استعصى الامر طويلا عليهم وتضاربت اقوالهم، حتى ذهب البعض الى القول بأن البلهارسيا توجد فى الاسماك النيلية والخبز والحبوب حتى الفواكه لا تكاد تخلو من جرثومتها.

ولكن قضت ابحاث الاستاذ ليبر على كل هذه الفروض، وأبان الاستاذ بوضوح ان ابويضات البلهارسيا — التى تفرزها المرضى فى بولهم او برازهم — اذا لحقها الماء تنطلق منها اجنة تسبح فيه ولا تصيب الانسان، فاذا صادف هذه الاجنة قواقع خاصة دخلت اجسامها ونمت فيها نحو شهر، ثم خرجت منها وقد تضاعف عددها حائزة هذه المرة على المؤهلات التى تمكنها من دخول جسم الانسان من أية جهة فيه، مسببة بذلك انتشار المرض. وقد ظهر من هذا ان المرض ليس من الامراض التى تنقل مباشرة من المصابين الى الاصحاء بل ان الطفيليات المسببة له لابد لها من دورة نمو فى القواقع.

وقد بدأ على نور هذه الحقائق تحليل معضلة البلهارسيا فرأى بعض المؤلفين امكان القضاء على المرض بواسطة علاج المرضى وهذا مما يتعذر تطبيقه اذا لاحظنا ان عدد المصابين بالمرض يقدرون بنحو عشرة ملايين، وان اقصى عدد تمكنت مستشفيات البلهارسيا من علاجه سنويا الى الآن لا يتجاوز نصف مليون شخص، خصوصا وان

المريض اذا عولج وشفي وعاد الى قريته لا تمضي عليه سنوات قليلة — بل عدة أشهر احيانا — الا و يصاب بالبلهارسيا ثانية وتكاد تعود الحالة اذ ذاك الى ما كانت عليه .

واقترح الآخرون طرقا لوقاية الاشـــخاص من الاصابة وايقاف انتشار المرض وذلك بحث الناس على تلافى مس المياه فى المناطق الموبوءة أو باستعمال الملابس الواقية وهو أيضا ما يصعب تطبيقه اذ أن الفلاح المصرى حاليا يضطره عمله دائما الى ملامسة الماء مباشرة ولا يسمح له فقره من باستعمال أحذية المطاط الخ ، وهو عدا ذلك لا يمكن الاعتماد عليه — وقتيا على ما أعتقـد — فى الكف عن تعريض غيره لعدواه لانه لايدرى عاقبة تلويث مياه الترع ، و يلزم لهذا افهامه خطورة ذلك وتعليم أمة يتطلب عشرات السنين ومجهوداً هائلا .

ولما كان حتما عمل شيء لايقاف انتشار المرض فقد استقر رأى بعض الباحثين على اعتبار القواقع الناقلة للعدوى ايسر مكان يقضى فيه على الطفيلى ، اذ لو أبيدت هذه القواقع لما تيسر لهذا الانتقال من المريض الى السليم أى لزال خطر العدوى ، وقد تسارع المؤلفون الى ابتكار الطرق لابادة تلك القواقع فأشار الاستاذ ليبر بأبادة هذه بتجفيف ترع الرى كما أشار باستعمال سلفات النشادر (وهى المستعملة فى الاسمدة) للقضاء على القواقع فى الجهات التى لايتيسر تجفيفها تماما، الى غير ذلك من الطرق التى لاتخلو من قيمة كبيرة والتى اذا لم تقض على القواقع قضـاء مبرما فهى تقلل كثيرا من انتشـارها .

واعتمد آخرون على نتائج أبحاث شاندلر عن تأثير سلفات النحاس فى القواقع والحيوانات المائية الرخوة فأشاروا باستعمالها لتطهير المناطق الزراعية ، كما ذهب آخرون إلى القول بتقسيم القطر المصرى إلى عدة مناطق تجفف كل منها بالتوالى لمدة ثلاثة أو أربعة أشهر، وكل هذه الطرق قد قامت بلاشك على فكرة أن القواقع لا توجد إلا فى ترع الرى الصغيرة ، و إنى لا أدرى لماذا تعذر على هؤلاء المؤلفين رؤية القواقع تتربى وتتوالد فى مجرى نهر النيل فى أشهر إبريل ومايو ويونيو و يوليو حيث ترى بكثرة فائقة تجعل من نهر النيل نفسه بؤرة خطرة لانتشار البلهارسيا يتعذر مقاومتها باستعمال الجفاف ، أو بسلفات النحاس مثلا الخ .

وقد كان لى من الحظ أن تمكنت من إثبات — عدا ما ذكر — أن القواقع الناقلة لعدوى البلهارسيا تدخل إلى ترع الرى باستمرار مع المياه خصوصاً فى وقت الفيضان إذ تكتسح المياه القواقع على طول مجرى النيل — فى نيل مصر كما فى نيل السودان — وتدفع بها إلى ترع الرى مسببة بذلك تجدد عامل عدوى هذه الترع بالقواقع فجاء ذلك مباغتة قاسية انهار أمامها صرح تلك النظريات الخلابة كما كان فيه تنبيه إلى الحقيقة المرة وهى أن معضلة البلهارسيا فى مصر أشد خطورة بكثير عما كانت تظن.

***

وبدت الضرورة إلى تفهم معضلة البلهارسيا بتحليل أدق، وكان أهم ما يجب الوقوف عليه معرفة أصل تلك القواقع لمحاولة درء شرها بقطع دابرها من مصدرها.

وبالرغم من أن أبحاث المؤلفين فى البلهارسيا قد أخفقت مراراً فى العثور على قواقع ناقلة لعدوى المرض فى مجرى النيل نفسه فى مصر — وقد ذكروا ذلك مراراً فى مؤلفاتهم — فقد اتفقوا على أن مصدر القواقع المنتشرة فى ترع الرى لابد أن يكون النيل نفسه، وقد بنوا نظرياتهم على النتائج التعليلية التى أدت إليها ملاحظاتهم عن ظهور القواقع فى جهات أثبت الفحص خلوها منها قبل ذلك. فقد شاهد الأستاذ ليبر مثلا وجود قواقع ناقلة للعدوى على المصافى الموضوعة على الأنابيب التى توصل المياه من النيل إلى أحواض شركة المياه بروض الفرج، فجاء ذلك برهاناً على أن مياه النيل أمام روض الفرج بها قواقع ناقلة للعدوى، كما شاهد آخرون انتشار القواقع فى جهات كانت صحراء جرداء كأرض منطقة كوم امبو ظهرت القواقع فيها بعد عمل مشروعات الرى بها وهذه ترجع إلى عهد حديث. وشاهد آخرون أيضاً فى كوم امبو وجود قواقع فى أحواض الترسيب المستعملة لترشيح مياه النيل توطئة لاستعمالها فى إدارة الطلمبات الرافعة للمياه فى المنطقة المذكورة، وهو برهان أيضاً على أن مياه النيل أمام كوم امبو تحوى فى وقت ما تلك القواقع أيضاً.

وليس هناك أدنى شك فى أن هذه القواقع جاءت مع مياه النهر من جنوب كوم امبو أى السودان، وهى بديهية ملموسة تبدو للأنظار فى أول وهلة. يؤيدها ما نعلمه من انتشار نفس القواقع الموجودة فى مصر وفى السودان (*) وما تؤدى إليه الملاحظة البسيطة عن

(*) انتشار القواقع الناقلة لعدوى البلهارسيا فى النيل الابيض والازرق فى السودان

هجرة القواقع والأعشاب والأشياء عامة مع تيار المياه . وقد بينت الدور الهام الذي تقوم به الأعشاب المائية وأخصها نباتات البوتاموجاتن الذي ينتشر على مقربة من ضفتي النهر في مصر والسودان من إيواء القواقع وحمايتها من التيار مما يؤكد إمكان هجرتها . هذه الحقائق ليست بوليدة اليوم بل لقد تقدم عنها اقتراح أمام البرلمان المصري بأنه مادامت جميع مياه النيل تحجز في خزان اسوان وفي القناطر المختلفة فيمكن عمل طريقة في هذه الأماكن لحجز القواقع الآتية من السودان .

وقد ورد ذكر هذا الاقتراح في تقارير اللجنة الاستشارية للبلهارسيا كما ذكره الاستاذ ليبر في تقريره الأخير عن أبحاثه في أوائل سنة ١٩٢٨ وعلق عليه بأن مثل هذا الاقتراح لا يمكن تحقيقه من الوجهة العملية

ولقد تمكنت بعد تصفح كل هذه الحقائق من تكوين نظرية خاصة كان لي حظ ابدائها أمام مجمع الأطباء في الأيام الطبية بالاسكندرية في شهر مايو الماضي ، وهي تسمح بتفهم معضلة البلهارسيا وتتلخص في أن مجرى النيل يمكن تقسيمه من وجهة انتشار القواقع الناقلة للعدوى فيه إلى قسمين :

(١) قسم تنتشر فيه المياه في شكل مستنقعات كبيرة تكاد تكون راكدة وبحيرات غاصة بمختلف الأعشاب المائية وغيرها .

وهذا القسم هو مخزن للقواقع ، تعيش فيه هذه وتتوالد وتتكاثر باستمرار ، ويتسرب

ليس من اكتشافات اليوم بل انه حقيقة طالما رددها المؤلفون العديدون . وقد اشار الاستاذ ليبر في كتابه المطبوع في سنة ١٩١٨ إلى ان المستر Lonstaff قد عثرت على قواقع ناقلة للعدوى في النيل الابيض عند بحر الظراف وبحيرة نو وحلة النور وجبل احمد اغا ومنطقة السدود الخ ، كما عثرت البعثة السويدية على هذه القواقع ايضا منذ عشرات السنين .

اما عن النيل الازرق فقد ذكر الاستاذ ليبر ان القواقع الناقلة للعدوى معروف وجودها وانتشارها بكثرة فائقة في الحبشة ، كما اشار إلى ان المستر Lonstaff قد عثرت على قواقع في بحيرة شامب وجزيرة مصوان . وقد علمت من محادثتي مع الاستاذ برمت والدكتور هيس ان القواقع تنتشر في السودان بكثرة في النيل الابيض والازرق .

جزء منها مع المياه المنصرفة الى مصر خصوصا فى وقت سقوط الامطار (الفيضان) إذ تزداد سرعة التيارات فيه مما يساعد على انتقال كية كبيرة من القواقع .

هذا القسم هو نهر النيل فى أعالى السودان حيث البحيرات والمستنقعات الكبيرة ومنطقة السدود الخ.

(٢) وقسم آخر وهو النيل فى جزء من السودان ومصر حيث تجرى المياه فى مجرى خاص . والمياه فى هذا القسم سريعة الجريان نسبياً لاتدع للقواقع فرصة للسكن فى النهر بل تحملها معها فى سيرها.

وان انتشار النباتات المائية فى ذلك الجزء من النهر فى بعض أشهر السنة هو أكبر العوامل التى تجعل ذلك الجزء المذكور ملجأ للقواقع النازلة من القسم الاول تحتمى فيه من تأثير التيار وتعيش وتتوالد وتتكاثر فيه .

وتتسرب منه الى ترع الرى العديدة حتى إذا ما أتى الفيضان تقذف المياه المتدفقة الاعشاب بما عليها من القواقع على طول المجرى الى ترع الرى والى البحر ، ثم ينقضى الفيضان ويعود النبات ثانية للنمو وتعود الحالة الى ما كانت عليه .

* * *

والآن وقد انتهينا من بيان النقط السالفة فلاشك أننا نملك من الحق ما يمكننا من القول إن بلهارسيا مصر هى وليدة بلهارسيا السودان ، وإن معضلة البلهارسيا فى القطرين عامة وواحدة، وانه إذا أريد مقاومة البلهارسيا بمهاجمة القواقع الناقلة لعدواها فلا مراء أن المجهود يكون حظه أكبر فى النجاح لو تضامن القطران ، إذ أن مصر والسودان امام تلك المعضلة جزء لا يتجزأ ؟

القاهرة: محمود مصطفى حلمى

الاحلام الشاردة

تمضي الليالي غير تاركة لنا إلاّ أسى ، وتوجعاً ، وحنينا
وتمرُّ بالإنسان أحلامُ المُنى تبدو له حيناً ، وتخفى حينا
كالطير لا تدرى أمِن جزع به أمْ مِن سرور لا يودُّ ركونا ؟!
لا يستقرُّ على الغصون ولا على أوكاره فكأنَّ فيه جنونا !
فإذا تبسَّطَتْ المُنى فبدَت كما تبدو النجومُ الباعثاتُ فتونا
ورمَتْ بإشعاع يجول كخاطر الـ أطفال لا تنثنُّ منه مجونا
طلعت سحاباتُ الهموم فغيَّبت ذاك الضياءَ ، وأخلفتهُ دُجُونا
ورمَتْ على طرب الحياة سوادَها وهمومَها حتى استحالَ شجونا
فأرى الرياضَ الزاهياتِ مَواحشاً وأرى الطيورَ خوافتاً وسكونا
وأرى الذبولَ مع الدَّواسع الفَنا يُصمُّون زهراً يانعاً ، وغصونا
وتعود أحلامى كأحلام الأُلى سكنوا قصىَّ العالمينَ قرونا
لا يعرفون سوى الصخور بما كنا وسوى الوحوش صواحباً وقرينا
وتمرُّ ساعاتُ الحياة سريعةً كالبرق يخطف بالسناء عيونا
فإذا انتهت لمفازة الأحزان لم تخطُ الحياةُ فكان ذاك كمينا

***

فى أىِّ قوهة ، وأىِّ مغارة تخفى الليالى كي تُضِلَّ عيونا ؟

وهل الوصول الى قرارة بئرها صعبٌ كقبضِ الريح ليس مكينا ؟ (١)

***

يا مَنْ صحبتِ سعادتى وهناءتى وتركت لى الاحزانَ خلاَّدُونا

هلاَّ بعثت بها إلىَّ فأنثنى جَذِلاً أغرِّدَ كالطيور حنونا ؟

وأُرتلَ الشكرانَ شِعْراً خالداً يبقى كما يبقى الغرامُ سفينا ؟

حسن كامل الصيرفى

(١) مكين : كممكن

صور تحليلية*

المخلوق العجيب

(١)

كنت طالباً باحدى المدارس المصرية — وكنت في السنة الرابعة حينذاك — ولي صديق معمم لم أر في كل حياتي إلى الآن مثله في الغباء والجهل والوقاحة والادعاء، فهو رجل قد أصبح الافتراء فيه ديدناً وطبعاً واختلط الكذب بلحمه وامتزج بدمه

سألني هذا المعمم — ذات يوم — أن أعلمه القسمة البسيطة لأنه انتهى منذ أيام — كما يقول — من حفظ «جدول الضرب» ويريد أن يتعلم القسمة، أو — على حد تعبيره الظريف — يريد أن يكون عنها فكرة ولو إجمالية.

لبيت طلبه، ولم أكد أشرع في تعليمه القسمة حتى ظهر لي أنه لم يتقن حفظ «جدول الضرب» بعد، فكتبته له ليحفظه أولا، فخرج من منزلي شاكراً.

وما راعني في اليوم التالي إلا مفاجأة صديقي «س» بقوله: —

«أصحيح أن الشيخ فلاناً قد شرع في تعليمك القسمة — بعد أن طلبت اليه ذلك — وأنه وجدك جاهلا بجدول الضرب، فكتبه لك لتحفظه أولا قبل الشروع في تعلم القسمة؟».

ولم أكد أسمع قوله حتى اعترتني دهشة وحيرة ما لبثتا أن تحولتا إلى ضحك عال، من تعرف هذا النوع الجديد من الأخلاق.

وقد رأيت أن خير عقاب أعاقبه به على هذا التدليس هو أن أحرمه من الدرس بعد هذا اليوم.

(٢)

وحدثت لهذا المعمم نادرة أخرى مع صديقي «س» أيام كان طالباً

قد عن لهذا المعمم أن يتعلم النحو — أو على الأصح — أن يتظاهر بتعلم النحو، وحسب أن أقرب طريق للوصول إلى هذه الغاية، أو — على الحقيقة — لادعاء الوصول إلى هذه الغاية، أن يستظهر عدة جمل وأن يحفظ — عن ظهر قلب —

طريقة لإعرابها ، ومتى تم له ذلك عرف النحو كله من أوله إلى آخره ، وهل النحو كله إلا إعراب جملة أو جمل ؟

وبدأ بتعلم إعراب الجملة المشهورة التي أنهكها طول ترددها على الأفواه واستعمالها عند الطلبة ، وهى جملة « جاء زيد » ، فطلب إلى صديقى « س » أن يعلمه إعرابها — وكانا سائرين فى الطريق — فشرع صديقي « س » يعربها له فيقول : —

« جاء فعل ماض مبنى على الفتح لا محل له من الاعراب ، وزيد فاعل مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة فى آخره »

ولم يكد صديقى « س » ينطق بآخر كلمة من إعراب هذه الجملة حتى قابلهما صديق ثالث فحياهما وسار معهما فى الطريق ، وما كاد يراه صاحبنا « المعمم » حتى سأل سيد أفندى بلهجة عجيبة : —

كيف تعرب « جاء زيد » إذن ؟

فأعاد عليه ما قال ولم يكد ينتهى من إعراب هذه الجملة حتى ظهرت على فم صاحبنا ابتسامة الاستاذ الراسخ فى العلم لتلميذه الصغير إذا رغب فى تشجيعه على إتمام دروسه ، ثم قال له موهما رفيقهما الثالث أنه يعلم صاحبه ولا يتعلم منه :

« أحسنت كل الاحسان ، فتح الله عليك ياولدى ! »

قلب الحقائق

قال لى أحد معارفى :

« إذا أردت أن تقتل خصمك قتلا أدبيا ، فافتر عليه رذائل ليست فيه ، وإذا أردت أن يذيع اسمك بين الناس فالصق بنفسك فضائل مخترعة ، وتغن بها فى كل فرصة بمناسبة وغير مناسبة »

فأما ان الافتراء سلاح فاتك فتاك فى رأى أمر يترفع عن التشكك والجدل وكثيراً ما أوذى ناس من افاضل المصلحين بسبب ما عزاه اليهم خصومهم من النقائص ونحلوهم اياه من المثالب

واما ان يلصق الانسان بنفسه فضائل مخترعة تكبره فى اعين سامعيه ، فلا اشك لحظة انه الوسيلة الفعالة التى اشتهر بها كثير من ادعياء هذا البلد ممن تسنموا ذروة الشهرة بعد ان سلكوا للوصول الى ذلك اقذر طريق

ولكن جزاء عادلا ينزل بهؤلاء واولئك جميعا

فأما مفترى الاكاذيب فهو وان صعب اتقاؤه واحرج الصدور افتراؤه وامض النفس ما يلفقه من التهم الباطلة التي لاحيلة للانسان فيها ولا فى رد اذى مختلقها الذى عناه القائل:

لى حيلة فى من ينم وليس فى الكذاب حيلة
من كان يخلق ما يقو ل فحيلتى فيه قليلة

الا ان عقابه العادل هو افتضاح سره وشيكا، وظهور امره، وعدم تصديق الناس ما يرويه لهم ولو كان صميم الصدق ولباب الحقيقة، وربما اتخذ ذمه معيارا لفضل المذموم على حد قول ابى العلاء:

وإذا اتتك مذمتى من ناقص فهى الشهادة لى بأنى كامل

وثم يذهب كل جهد يبذله فى انتقاص الناس بلا جدوى وتنعكس الآية.

واما ذلك المتهافت على الشهرة، الذى يكثر من التغنى بما ينحله نفسه من الصفات الكاذبة، فله جزاءان

الاول احتقار العقلاء إياه، وإن أكبره جمهور العامة حيناً والجزاء الثانى هو عقاب الزمن الصارم، الكفيل بضياع الزبد وإبقاء ما ينفع الناس. وكم من الناس ذاع صيتهم فى عصرهم، ثم دار الزمن فاذا بهم خاملون وإذا آثارهم الغثة قد بادت أدراج الرياح وظهرت آثار أناس آخرين كانوا أقل شهرة ولكنهم عم نفعاً، وأغزر فضلا

«أبو مصطفى»

تحفة أدبية لكم ولاولادكم

الشعر النسائى المصرى

وشهيرات نجومه

ليس الرواج العظيم الذى ناله هذا الكتاب راجعا فقط الى كونه أحسن تأليف للمحفوظات لمدارس البنات الابتدائية والثانوية، بل يرجع كذلك الى أنه تصنيف أدبى شائق يرتاح اليه كل أديب وجدير بان لاتخلو منه مكتبته.

ثمن العدد ٣ قروش مصرية وأجرة البريد قرش.

ويطلب فرادى من المكاتب الشهيرة فى العالم العربى، وبالجملة بأسعار خاصة للمدارس، من مكتبة الوفد بشارع الفلكى بجوار مكتب بريد باب اللوق بالقاهرة.

اسمى يوسف

(ثم ماذا ؟)

خطر ليوسف الثانى امبراطور النمسا أن يزور شقيقته مارى انتوانت ملكة فرنسا فغادر عاصمته فينا فى جوقة كبيرة من الأعوان والحشم حتى اذا أوشك أن يصل الى حدود فرنسا صرف المعية على أن توافيه الى باريس واتخذ له سبيلا آخر ولم يستصحب إلا الكونت روزنبرج فتنكرا وسافرا كأنهما من عامة السائحين حتى اشرفا على جسر عند الحدود . فقال الامبراطور:

ــ أرجو أن تصح أحلامى وان يبسم لى المستقبل . أما الآن فانى أمبراطور مقيد بارادة سواى (١) وانما أذهب الى فرنسا الآن باسم الكونت فالكنستين هيا بنا نجتاز الكبرى الذى يصل بين فرنسا والمانيا وفى الوقت نفسه يفصل بينهما (٢)

و وصلا الى الفندق الصغير فى بلدة (فيترى) الصغيرة وهى أول بلدة فرنسا وبلغاها بعد أن تجاوزا الحدود . وكان مدير الفندق فى الوقت نفسه مدير بوسته تلك الناحية وكانت خادمات الفندق فى أبهى ملابسهن وهن فى شغل شاغل يحولن صالة الفندق الى مائدة كبيرة ازدانت جدرانها بالأزهار والتحف وتحولت ناحية منها الى مقصف ترتبت عليه الحلويات والصحون . وكان مدير الفندق وناظر البوسته يراقب هذه الترتيبات والزينات والطهاة يهيئون الطعام وقد مدت الموائد لثلاثين مدعواً وقد أعدت قنانى الخمر للمدعوين . وكان المسيو (اتيان) يراقب هذه الترتيبات باسم الثغر هنىء البال حتى اذا رأى كل شىء حسنا فى قاعة الطعام انتقل الى المقصورة المجاورة وفيها امرأة استلقت على ديوان عند النافذة وهى حسناء ولكنها صفراء اللون وملابسها جميلة وبجانبها سرير لشبه طفل حديث الولادة . وهي زوجة المسيو اتيان صاحب الفندق وكل هذه الاستعدادات لأجل تنصير الغلام . فقال الرجل

---

(١) اشارة الى أنه مقيد بارادة والدته الأمبراطورة ماريا تريزا

(٢) كلمات الأمبراطور بعينها . راجع « تحارير يوسف الثانى » صحيفة ١٧٥

— أرجوك أيتها العزيزة اثناسيا أن تقاوى ضعفك وأن تلبثى مع ضيوفنا اليوم لقد مضت ٣ أسابيع على الولادة

— سأبذل جهدى ياعزيزى :

— إن حفلة التنصير اليوم ذات شأن وأهمية وهى عيد كبير بشرط أن لا يأتينا أحد من السائحين ولوجاؤا لما عرفت أين أجد محلا لنزولهم فان أفضل من يأتى فندقنا ليس أهلا للاجتماع بضيوفنا الكرام فضلا عن أنى محتاج الى جميع عرباتنا وخيولنا لنقل المدعوين . ولكن ماهذا . أنى أسمع صوت عربة ونفير السائق . أنها عربة المحطة وفيها قوم غرباء

وأسرع الى الباب الخارجى فرأى عربة المحطة ومن ورائها عربة أحد ضيوفه فساءه أن السياح حضروا وقت حضور المدعوين فشى الى المدعوين يحسن استقبالهم وأهمل غيرهم وكان أهم ضيوفه كاهن القرية والمأمور ثم عاد وتذكر واجباته ورجع الى السائحين فرأى رجلا عليه هيئة الأعوان بجانب السائق وإذا برجلين فى العربة ففتح بابها وقال

— أتريدون ياسادتى الذهاب الى المحطة الثانية

— لا . وإنما رأينا فندقك حسناً فنريد غرفة وطعاماً

— أرجوكم أن تواصلوا سيركم الى البلدة المجاورة

— ولماذا ونحن نرى القوم يدخلون فندقك أفواجا . فكيف ذلك

— سيدى أن هذا اليوم . . . . سيدى لاتؤاخذنى هل أنت أب

فقال السائح بحزن — لقد كنت أباً (١) ولكن مامعنى هذا السؤال

— إذاً أنت تشعر معى متى أخبرتك . أننا اليوم نحتفل بتنصير ولدنا الأول

— وهؤلاء الناس ؟

— هم الذين دعوناهم للحفلة ولذلك تلتمسون لى عذراً

— إذاً أنت تطردنا ؟ لا . أنى وصديقى لانستطيع القبول لأننا نفضل

---

(١) كان ليوسف الثانى أمبراطور النمسا ابنة من زوجته الأولى فماتت وحزن عليها كثيراً

«الاقامة معضيوفك فاسمح لنا أن نحضر وليمتك وأن نشترك فى حفلة التنصير فانها حفلة تستوجب الفرح و نريد أن نشترك معك فى فرحك

ـــ على الرحب والسعة إنكم ضيوف ولدى الصغير

فدخلا واختلطا بالمدعوين . فقال المسيو اتيان :

ـــ اسمحالى أن أقدمكما الى زوجتى مدام اتيان فانها تسر باستقبال وجهاء نظيركما

ولما رأتهما مدام اتيان أدركت للحال أنهما من الأعيان فأحسنت استقبالهما وعهدت الى زوجها أن يجلس الكاهن بجانبه وأجلست أحد الضيفين عن يمينها على المائدة والآخر عن يسارها وأخذت تحدثهما عما وقع لها فى مرقص المحافظ فى العام الماضى أما أحد السائحين فانه تحول الى محادثة جيرانه وسأل الكاهن والمأمور عن أحوال الأهالى

فلما انتهى الطعام بدىء بتنصير الغلام وذلك فى فسحة مهيأة لذلك فقدم أحد السائحين ذراعه لمدام اتيان . وقال .

ـــ أتسمحين لى ياسيدتى أن أكون عرابا لطفلك ؟

فأجابته الى ماطلب مسرورة وقالت فى نفسها «سنعرف اسمه» وبدأت حفلة التنصير الكنسية وبعد أن أتم الكاهن تنصير الغلام تحول الى العراب . وقال :

ـــ مااسم حضرة العراب

فتحولت أبصار الجميع اليه وهم ينتظرون أن يسمعوا لقب كونت . فقال الرجل :

ـــ اسمى يوسف

ـــ يوسف ماذا ؟

ـــ كنت أظن ان اسمى الأول يكفى

ـــ لاياسيدى بل يجب تدوين الاسم كاملا فى سجل الكنيسة

ـــ اذآ فاسمى يوسف الثانى

ـــ الثانى . الثانى . . هل هذا هو لقب عائلتك

ـــ نعم اسمى الآخرهو «الثانى»

ـــ كما تشاء يوسف الثانى . والآن ماهى صناعتك . لاتؤاخذنى فانى ألقى عليك الاسئلة العادية القانونية

فتردد الرجل قليلا وكرر الكاهن سؤاله قائلا

ــ ماهى مهنتك

فأجاب الرجل باسماً

ــ امبراطور النمسا

فصاح القوم صيحة الدهشة وسقط القلم من يد الكاهن واستلقت مدام اتيان على كرسيها وقد تغلب عليها الفرح وتناول المسيو اتيان غلامه من ذراعي الخادمة وأسرع الى الامبراطور فركع أمامه فاقتدى به الجميع وجثوا رجالا ونساء فقال المسيو اتيان بصوت تخنقه الدموع

ــ ياجلالة الامبراطور أنك صيرت ولدى شيماً وسيبقى الشرف الذى وهبته لنا الآن موضوع حديث الأهالى الى مابعد مائة سنة . وأهالى (فيترى) لاينسون تنازلكم الى الجلوس معهم كواحد منهم . مولاى : ان ولدى فرنساوى ولكنه سيكون نمساويا فى قلبه مثل جلالة مليكتنا الحسناء فهى نمساوية وفرنساوية فى وقت واحد . وأسأل الله أن يحرسكما بعنايته فتحى مليكتنا مارى أنتوانت . وليحى شقيقها الكريم امبراطور النمسا

فهتف الجميع بذلك الدعاء وانتبهت مدان اتيان فنهضت وسارت الى الامبراطور فأسرع جلالته اليها وأجلسها بلطف قائلا

ــ ليس بين الوالدة والعراب تكليف . ثم دفع اليها علبة سعوط مرصعة وقال

ــ أرجوك أن تقبلى هذه الهدية تذكاراً لزيارتى السارة وعليها صورتى ، وقد قيل لى أن جميع الحسان فى فرنسا يتنشقن السعوط فأرجو أن تذكرينى كلما استعملت هذه العلبة

ثم تحول الى المسيو اتيان وقال :

ــ والآن أرجوك أن تهيء لنا عربة تنقلنا الى المحطة الاخرى

« عن مجلة الاخاء »

فهرست العدد

تابع الفهرست

